

من إحدى المزوايا

يحيى حقى



هذه التدوة

احسست وأنا استمع الى خطاب الرئيس ، -والى حد ما - وأنا اطالع قرارات التدوة جسامه المهام الواقعة على عاتق هذا الجيل ، نوعا وعددا ، وربما أخذني شيء من الرهبة ، ما كان اسهل اغرامها لي بان تتحول الى اشفاق رخيص عليه ، وأن اتسفعضع لها فاتكص عن امتحان النفس وتحمل المسئولية ، وأخيرا ان استغرق في الأحلام ، كأنها كل ما أقدر عليه من جهاد ، وهى الهروب بعينه ، بل أشبه فضائله خبايا للنفس .

هذا الشرق العربى الذى دافع عن الحضارة لا عن نفسه فحسب بصد التتار والمغول ، والذى دافع عن أصالته ووحدة أراضيه باجلاء الصليبيين بلقى الآن على الجيل الحاضر من ابنائه أشق واشرف مهمة عرفها تاريخه الى اليوم ، مرة أخرى أن لا يدافع عن نفسه فحسب ، برد اعتبى عدوان وقع على أراضيه ، بقلب هزيمة قاسية الى نصر ، باسترداد عروبة فلسطين ، بحماية الأماكن المقدسة ، بل أن يدافع أيضا عن الحضارة ، أن يتولى وحده كسر الصهيونية وفشج زيفها وخطرها ، ليبرا العالم المتمدين كله من نصبها عليه وتفلقلها سرا في أحشائه لتضليله والسيطرة عليه ، ليبرا اليهود أنفسهم من جنون التميز والعظمة الذى يلوث انسانياتهم ويشغل الامل جميعا بمشكلة مفتعلة مفروضة عليها بالارهاب، تحرمها من الأطمئنان أن الولاء واحد لا مزدوج . أن يعطى ابنا، هذا الجيل للتاريخ تفسيره الحق ، فينشق له اقوم الطرق نحو مستقبل يسود فيه السلام ويمتتع العنوان .

وكان هذا كله لا يكفى ، فهذا الجيل مطالب أيضا لا بمتابعة السير بل بالوصول ، لا بتريد مقدمات النظرية مرة بعد أخرى بل بالاعتماد، اليوم الى الحل ، فالأسئلة التى طرحها الرئيس بوضوح وجمع بين البساطة والعمق ، شأن المستوى الرفيع الذى يبلغه دائما فى قضايا الفكر ، ربما واجهتها أيضا أجيال سابقة منذ الحملة الفرنسية بقيت لنا وإن تكن فى صورة جديدة أشد انقادا، لأننا فى عصر غزو الفضاء ، ما كان أكثر تقلبيها على الجنين منذ مولدها ، أبناء هذا الجيل هم المطالبون بالانتقال من الجدل الى رأى يجمعون عليه ويؤمنون به ويقدمون على تحقيقه، ياله من تكليف عسير أشد العسر ، كيف يستطيع شعبنا أن يعيش عصر الفضاء، وفى نفس الوقت يستبقى

جدوره في ترابه الوطنى ، كيف يستطيع شعبنا أن يوفق بين الأصالة وهى التاريخ وبين التجديد وهو المستقبل ؟ كيف يستطيع شعبنا أن يعيش عصر العالمية الذى تلاشت فيه الحدود والمسافات وفى الوقت ذاته لا يضيع ذاته وصفاته . كيف يستطيع شعبنا أن ينطلق الى آفاق التكنولوجيا الحديثة وفى نفس الوقت لا يلبس على التراث المجيد .

قد لا نواجه وحدنا ضرورة الإجابة على هذه الأسئلة لذلك كان كلام الرئيس بصيغة الجمع (شعوب) لا صيغة المفرد المنطبقة على شعب ، وإذا كان العجز العالمى للحضارة الإنسانية يشهد لمصر والأمة العربية كلها ، كما قال الرئيس أيضا ، بإسهامها الموفور والمقتدر فان الاجابات التى ستعطيها مصر على الأسئلة الفلسفية التى غداها ستكون بلا ريب إسهامها الجديد فى العصر الحديث .

ليس من قبيل الأحلام بل بتضرع ايمان يحتل القلب توجهت الى المولى سبحانه أن يقبض لهذه الأمة - وهى تجتاز محتتها - صفوة من ابنائها ينشغلون بهذه القضايا الكبرى كل الانشغال ويدركونها تمام الإدراك ويكرسون أنفسهم لخدمة العلم لوجه الله والوطن بلا انتظار لجزء ، لاناخذهم فى الحق لومة لائم ، يكفون عن النزاع والخيلا والمزج بكل فضل مهما قل عن التشكى والتراشق بالتهم والتنازع على المناصب والجاه ، يصبرون على المشقة ، يقوم كل منهم بواجبه غير ملتفت هل سار غيره أم قعد ، هل أحسن أم أسأ ، وأن يكون من بينهم شاعر يشدو بأعجاد الأمة ويحلو خطاها ويعملها عن سلبية اللامبالاة الى ايجابية العمل والجهاد .

وإذا كانت قرارات الندوة محصورة فى دائرة أنانية الاختصاص ، وقد لا تعد الا اشارة بسيطة جزئية الى المهام الجسيمة التى تنتظرنا فانها مع ذلك ترمز لها وتنفذ الى صميمها ، فهيأت لبلد يهمل تاريخه ويتنكر لماضيه أن يتعرف أين طريقه من غد .

انصرفت عن صفوف المستمعين وفى قلبى شعور مزدوج : الاعتزاز الشديد بما ثبت عليه فتح بندى الاصيل من تسامح برفضه التفريق بين الأجناس والأديان فى دعوة العلماء الاجانب الى الندوة (دون أن يطلب الاستعانة وان كانت تسرنا لو وافقتا تطوعا إبان المعركة التى نخوضها وبسببها فحسب ، فلعل وعسى) وشعور بالحسرة والغيرة لأن عناية هؤلاء العلماء الاجانب بدقائق تاريخ بلدى وأثاره قد يقال عنها أنها ربما كسفت عنايتنا نحن أهل البلد .



خطيب السيد الرئيس

في افتتاح

الندوة الدولية لتاريخ القاهرة

أيها الأصدقاء ..

من دواعي سعادتي أن تساح لي هذه الفرصة للقاء بهذه الصفوة من العلماء والمفكرين الذين يجتمعون في هذا المكان من القاهرة للحفاوة بالعيد الألفي لهذه العاصمة المجيدة عن طريق هذه الندوة الدولية لتاريخها .

وفي الحقيقة أيها الأصدقاء .. وأظن أن بعض ذلك قد وصل إلى علمكم أن الاحتفال بالعيد الألفي للقاهرة أحاطت به أفكار متعددة متنازعة .. كان هناك رأي يقول بأن القاهرة أقدم من هذه الألف سنة التي يحتفل اليوم بها وأن هذه الألف سنة هي في الواقع بداية حقبة في تاريخ القاهرة وهي حقبة بارزة وظاهرة ولكنها ليست البداية وإنما البداية سبقتها بكثير .. وإلى حد ما فإن ذلك صحيح ..

وكان هناك رأي آخر يتخذ من الظروف التي يعيشها وطننا الآن وأمتنا العربية كلها نزعة إلى التأجيل بصرف النظر عن حساب الألف سنة أو حساب آلاف السنين .

وفي النهاية فلقد كان القرار الذي انتهينا جميعا إليه هو أن يمضي احتفال الألف سنة على تاريخ القاهرة في طريقه المرسوم له خصوصا وأن الطريق الذي رسمته له وزارة الثقافة المصرية كان طريقا مستتبعا وجادا وليس أدل على ذلك من هذه الندوة العظيمة التي أتاحت لنا فرصة لقاءكم جميعا .

واعتزف أمامكم أيها الأصدقاء، أنني أعطيت صسوتي لصالح المضي في احتفالات العيد الألفي للقاهرة حين بحث هذا الموضوع وكنت أصدر عن احساس لعلمكم تاذنون لي أن أعرضه عليكم .

لم يكن يشغلني حساب الألف سنة أو آلاف من السنين ورأيت فيه على أي حال أن تكريم الجزء، تكريم للكل كما أن تكريم الكل تكريم للجزء .. وفوق ذلك فلقد وجدت أن الظروف التي يعيشها وطننا الآن وأمتنا العربية كلها ليست مانعا من الاحتفال بعيد القاهرة الألفي بل لعلها أن تكون دافعا يرجح إقامة هذا الاحتفال في موعد تقرر له .

كان شعوري في ذلك أن الشعوب والأمم أشد حاجة في أوقات الازمات إلى تاريخها لتمثل عصوره الباهرة وتستذكر أبطاله ورجاله .

ان الامم في اوقات الازمات تحس بالامن اذ تفتش في تاريخها وتجده فيه اسبابا اضافية تضيفها الى امكانياتها في مواجهة ما يحيط بها من مخاطر بحيث يكون لها من ذلك طمأنينة نفسية وروحية تهيب بها الى انها القادرة في الحاضر كما قدرت في الماضي .. وانها واجهت الظلم من قبل ودفعته بالحق وواجهت الظالم من قبل وبددته بشعلة حضارية تعرضت للرياح الهوج كثيرا ولكن شعلتها لم تنطفئ، ولم ينضب الزيت منها على طول المصور .

وليس احق من شعبنا بهذه الطمأنينة التي يستطيع التاريخ أن يعطيها للحياة المعاصرة ذلك ان شعبنا حين يتطلع الى الوراء، ينص حقا وصادقا انه القادر على الاجتياز والتخطي .. القادر على الاختيار والتحدى ..

لقد حقق في تاريخه وانجز .. وقدم الكثير واعطى .. ولم يكن ما حققه وقدمه محدودة أو رخيصة ، بل على العكس فلقد كان هذا الشعب بداية أول الحضارات كما ان المجري العالمي للحضارة الانسانية يشهد لهذه الامة العربية كلها اسهامها الموفور والمقتدر وذلك التاريخ الطويل كله وما حفل به تهون ازاءه أزمة عارضة صنعتها المطامع التي تتصور نفسها غالبة بينما التاريخ الطويل يؤكد انها مغلوبة ، وفرضتها القسوة العمياء، بينما التاريخ الطويل يشير الى ان الايمان كانت له في النهاية الكلمة العليا .. الى جانب ان التقدم لا يمكن اعتراضه فحركة الشعوب دائما هي حركة التقدم الى امام وذلك درس من دروس التاريخ لا يمكن ان ينسخ وان تناساه الاقوياء أو مدعو القوة على تضاد مع المبادئ، وعدا، لها .

أيها الاصدقاء، ..

وفوق ذلك فان نبوتكم هنا قد تكون اسهاما فيها في قضية من اهم القضايا التي تواجه شعبنا الآن ولعلها تواجه شعوبا غيره تعيش في معاناة التطور وتعالج قضاياها الكبيرة والملحة .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

والتطور الصحيح امتداد للتاريخ وليس انقطاعا عنه بل ان الثورة وهي اسرع درجات التطور ليست في حقيقة امرها الا محاولة مكثفة للحساق بحركة التاريخ والانسجام معها والسير فيها نحو التقدم .

ولكن هناك أسئلة كبيرة تواجهنا وتواجه غيرنا ..

كيف تستطيع شعوبنا ان توفق بين الأصالة وهي التاريخ ، وبين التجديد وهو المستقبل ؟

كيف تستطيع شعوبنا ان تعيش عصر الفضاء، وفي نفس الوقت تستبقي جذورها في ترابها الوطني ؟

كيف تستطيع شعوبنا ان تعيش عصر العالمية الذي تلاشت فيه الحدود والمسافات وفي نفس الوقت لا تفقد ذاتها وصفاتها ؟

كيف تستطيع شعوبنا ان تتنقل الى افاق التكنولوجيا الحديثة وفي نفس الوقت لا تنموس على التراث المجيد ؟

تلك كلها أسئلة كبيرة واجاباتنا حيوية .. لكننا أيها الاصدقاء، انتظرونا نبوتكم هذه لنسمع لا لتكلم ولست أشك لحظة أن كثيرين في هذا الشعب الذي يسعد بضيافتكم كما ان كثيرين في هذه الامة العربية المناضلة ، بل أكاد أقول ان كثيرين في امم عديدة غيرنا ينتظرون هذه الندوة باهتمام فكري لا يعدله اهتمام .

فلتبدأوا على بركة الله .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..



خطاب

السيد وزير الثقافة

السيد الرئيس

انى - عن هذا الحشد من العلماء والفكرين - احبى حضورك افتتاح الندوة الدولية لتاريخ القاهرة *

فان حضورك يا سيادة الرئيس يعكس بجلالها تنطوى عليه نفسك من اهتمام بتاريخ القاهرة، وحفاوة بان يكون هذا التاريخ موضوع ندوة دولية بشارك فيها هذا الجمع الجليل من العلماء والفكرين *

ولئن دل هذا الاهتمام على شئ فهو ان القاهرة اليوم امتداد لآلاف عام التي مضت من تاريخها . كذلك فان الحفاوة بالعلماء والفكرين ، ليست لا ثمرة لنبت قديم اصبل ثمارا فى احياء القاهرة وترعرع ، وكانت له فى كل جيل " ثمرات متفرقة اهتمام " ناهضة بالحياة والامل *

وان من مفاخر القاهرة بلسيادة الرئيس بان خلقها التاريخ قد اتصلت ، الواحدة بالآخرى ، بشمع من الامل لا ينقطع ، ونور من اليقين لا يخفى .

واذا كنا اليوم نلتقى فى هذه الندوة الدولية فاننا لانسى ما لكم عليها من الفضل ليتم انعقادها هذا تحت سماء القاهرة ، تستهدى تاريخها الطويل المضي ، فى طريق طافر منتصر تحت قيادتكم ان شاء الله *

السيد الرئيس - ايها السادة

ان ابرز ما تدل عليه هذه الندوة الثقافية فى تلك الساعات الحرجة التى يجتازها وطننا العربى ، وبين تلك المشاكل السياسية والعسكرية التى تجمت عن ذلك العدوان المدير ، هو أن ثمة ايمانا راسخا بالقيم الانسانية العليا ، وثقة كاملة بالحضارة والتقدم مهماتكن مشقات السير وظلمات الطريق *

ثم ان تلك المشاركة التى شاركت بها عواصم العالم اجمع القاهرة بمناسبة هذه الذكرى لتدل هى الاخرى دلالة لا ريب فيها على ما يكنه العالم لهذه المدينة من اكرام وتقدير وعرفان بما قدمته للانسانية والحضارة *

وما ينبغي ان تمر هذه الذكرى دون موسم ثقافى يكشف عما قامت به هذه المدينة فى ذلك التاريخ الطويل اعنى على مدى الف عام مرت منذ انشائها *

وهذه المدينة فى مكانها الذى اختلط فيه لم تبعد كثيرا عن عواصم مصرية اخرى سبقتها وكانت لها حضارتها وثقافتها فى عصور طويلة تكاد تبليخ ستة آلاف عام اشعنت فيها على العالم وزودته بعلوم وثقافات ، شهد بذلك كثير من المؤرخين اذكر من بينهم الفيلسوف المؤرخ العلامة ابن خلدون اذ يقول :

« ونحن لهذا العهد نرى أن العلم والتعليم اتعاهوا بالقاهرة من بلاد مصر ، كما أن عمرانها مستمر وحضارتها مستحكمة منذ آلاف من السنين فاستحكمت فيها الصنائع وتفننت ومن جعلتها تعليم العلم » .

ومامن شك في أن هذه الندوة الثقافية ، سوف تتمخض عن الكشف عن كثير مما كان للقاهرة من مشاركات ذات شأن في ميادين الحضارة والثقافة والعلم والفن ، ومامن شك في أنكم وأنتم الصوفوة من العلماء المتخصصين سوف تزودوننا بالكثير من الآراء ذات القيمة ، فإن من يتصفح تاريخ هذه المدينة ليدرك كم كان لها من حرص على الثقافة والعلم وكم كان لها من قدرة على اجتذاب العلماء وأهل الفن من جميع الآفاق وتأهيلها وترحيبها بهم حتى لقد كادوا ينسئون بها وطنهم ويحسون أنهم يعيشون بين أهل وأحياء .

ولا تزال القاهرة تحتفظ بأروع القنن والآثار التي تجمع بين الجمال والاتقان ، لذا كان من الحق علينا أن نعرض أمثلة من ذلك في معرض الفن الاسلامي الذي سيشرق افتتاحه بكم بعد أيام قلائل .

ولقد هيئت لهذه المدينة منذ انشائها أن تضم أقدم جامعة في العالم وهي جامعة الازهر التي كانت منذ نشأتها مهلا للثقافة الدينية فكتب للمقاهرة بذلك أن تحمل لواء الثقافة الدينية بين شعوب العالم الاسلامي ، كما كانت تلك الجامعة الازهرية مشعلا للفكر فايقظت الرأي ، وأنارت الطريق أمام المفكرين ، وكذلك كانت المنبث للنهضة العربية في القرن الماضي ، ولقد أصبحت هذه الجامعة بهذا وذاك كعبة للمفكرين من الشرق والغرب .

ولعل مما زاد من شأن القاهرة ثقافة وحضارة وقوعها في منطقة بين بحرين وبين قارتين . ولقد مكن لها هذا الموقع ، واتصال حلقات تاريخها عبر آلاف السنين ، أن تفرد حضارة من حواضر العالم منذ الزمن القديم ، وأن تتجمع فيها لغات فرعونية وأفريقية ولايتينية ومسيحية وبيزنطية واسلامية ، فيكون من هذا كله مزيج له خصائصه ومقوماته .

وهكذا نرى أن القاهرة على مر السنين أصبحت الملتقى بين حواضر العالم علما وثقافة وحضارة وفنا وأصبحت بلاصة مرموقة يستوفون الحياة في ترويضها كلها على تعاقب السنين فكانت ثمة مأس وكوارس وسلوكها على الرغم من هذا ذلك لم تتغير ولم تتخلف .

لهذا جاء تاريخها صفحاتها مشحونة بالأمم والكتابات والكوارث ، ويعمها الاشرار حينما مع الرخاء والطمانينة .

ولسوف تثير هذه الذكرى بخلوعا ومرعا في نفوس الأجيال الحاضرة العظما والعبر ، كما سوف تحيي فيهم الآمال بمستقبل مجيد يضيف الى الماضي ويزيد .

واني لأستأذنك يا سيادة الرئيس ، فأرحب ، عن اخواني وزملائي ، بضيوفنا الكرام ، معبرا لهم عن فرحتنا بتقدمهم الينا واعتباطنا بوجودهم بيننا ، ولسوف يعيشون في قاهرنا أياما تمثل الماضي بآثاره العتيدة والحاضر بوقفة منه صليبة عاتية لا تتراخي .

ولسوف يؤمنون معنا بأن عزائنا أقوى من أن تليق للكوارث وأنها لن تقل قوة وجلدا عن أسلافنا في تحملهم للصعاب واجتيازهم للعقبات ثم في مضيقهم قدما الى الامام ينسون ويشيدون ، واننا أشوق ما نكون الى أن يسود العالم عدل وسلام وتعمه ثقافة انسانية سامية تجمع ما بين الافراد على الحب والاخلاص .

كذلك استأذنك في توجيه الشكر لجامعة الدول العربية وللسيد أمينها العظام على ما قدموه من تسهيلات لافتتاح الندوة في دار الجامعة . السيد الرئيس

ان تفصلكم بافتتاح هذه الندوة الدولية لما يؤكد دوركم الطبيعي في قيادة القاهرة نحو آفاق من الفكر أرحب ، وأمال في التقدم اخصب ، وأعمال باهرة تؤكد قدرة القاهرة في تاريخ الانسان وقدرتها على التفاعل مع عواصم العالم في سبيل الحق والخير .

ولنشهدن القاهرة بأذن الله أعز انتصار تتوجبه هامتها على يديكم .

واني بعد هذا ، أرجو أن توجهوا كلمتكم الى هذا الجمع من العلماء والمفكرين بل والى جماهير الامة العربية والعالم أجمع بهذه المناسبة التاريخية العظيمة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،



خطبة

السيد أمين الجامعة العربية

سيدي الرئيس ..

أيها السيدات والسادة الافاضل من ضيوف القاهرة الكرام :

باسم الامانة العامة لجامعة الدول العربية ، بل باسم كل العرب ممثلين في جامعتهم العربية احبيكم اطيب تحية ، وارحب بكم اجمل ترحيب ، بل اشكركم بالثبانية عن انفسكم ، فانكم - وانتم اهل فكر وعلم - واجدون في القاهرة ، كما نجد نحن ، اسبابا تصل ما بيننا .. واواصر تقربنا ووشائج من انسانية كريمة ، كانت لديكم ، كما هي لدينا ، محل اعتزاز ومحبة وتقدير .

فهذه المدينة التي جئتم اليوم للاحتفال بعيدها الالفى ، قسيم مشترك ما بيننا ، تجمعنا على اصدق ولا ، واخلص محبة وانبل دعوة . وستظل القاهرة ، بفضل تعاوننا ، ومشاركتنا في تكريم ما لبني الانسان من مائر وتراث ، باقية على عطاها وعلى عهدنا ، ملتزمة برسالتها ستظل باقية على ما تريدون لها ، وما اختارت لنفسها : احدى دعائم السلام العالمى ، وجسرا تعبرون عليه بافكاركم وفنونكم ولادابكم ، للاتقاء على خير بنى الانسان جميعا بالسمى الامين والاخلاص الوثيق .

أيها الاصداقاء الافاضل :

فاذا راعكم اليوم وانتم تشاركونا فرحتنا بمدينتنا ، سحابة كريمة تكدر صباحها ، وقد الفتوة مشرقا وضاء ، وعاصفة حاقدة تهب على المدينة الراحعة ، لتعكر صفاءها ، فانه لا يسعنى ، أيها السادة الافاضل الا ان اذكركم بما يطمئنكم وانتم على علم بمكانه من عظمة التاريخ وحكمته ان الحق اخيرا منصور ، وان الظلم مدحور ، وان طال به الامد ، ويذا للسدى زين له الشيطان ما زين ان الاقدار تقف الى جانبه ، وهو وهم مردود عليه ، بان الشر ضعيف وان كان كثيرا ، وان الحق ابقى واقي .

والقاهرة التي تخوض اليوم معركة حق الدفاع عن النفس ، بل الدفاع عن حق الانسان في كل مكان ، ومعها كل اصداقاء الحقيقة والخير والسلام يقفون الى جانبها ، تعتز بهم اعتزازهم بها .

القاهرة اليوم لا يصرفها ما يلبد سماءها من سحب العدوان ، وما يهب على رحابها من عواصف الحقد والبغضاء ، عن آداء واجب عليها للفن والادب والفكر .. فها هي تدعو المسالم كله لاجياء ايامها ولياليها .. في ندوات واحتفالات متصلة طوال هذا العام ، تفعل هذا ، في مناسبة ترى فيها حقاً للعالم ولتاريخه عليها لا بد ان تؤديه عن طيب خاطر ورحابة صدر .

واعود لاذكركم أيها الاصداقاء الافاضل ، والعالم يضع يده على قلبه ، جزعا من احتمالات مستقبل غامض مفرع ، يتهدد امنه وهُدوءه وسلامه ، اعود لاذكركم ان هذا البلد ، يعمل للسلام ، ويعيش له ولا يعرف غير السلام وسيلة للتعايش بين الأمم والشعوب ، ولا غير السلام ميدانا للمطاء والبناء في هذه الحياة ..

واعود لاذكركم أيضا بما انتم على يقين منه ، أيها السادة الافاضل ان المسيح عليه السلام لم تجد أمه اليتول .. مريم العذراء ، الا هذا البلد مستقرا لها وامانا ، من شر هيرودس السفاح الذي امر بقتل كل الاطفال من لدات المسيح وأخوة طفولته .

حدث ذلك قبل ألف عام من ميلاد القاهرة ، واليوم وبعد مرور ألفى عام على تلك الحادثة ، احب ان اتساءل معكم ، أيها الاصداقاء الاعزاء ، ان كان التاريخ بعيد نفسه .. ان كانت مذابح هيرودس الجبار عادت مرة أخرى ، في قببة ودير ياسين .. وطبريا .. والسموع وكفر قاسم .. والد والخليل .. وغزة .. والقدس .. وبافا .. الخ مذابح بعدها مذابح وضحايا تنلونها



قرارات الندوة

١ - شكر عميق من أعضائها جميعا الى السيد رئيس الجمهورية الذي تفصل فشمها برعايته .

٢ - تقدير واعجب بالمجهود الذي بذله السيد وزير الثقافة واسهامه في الاعداد لهذه الندوة وتدابير كل رسائلها وتيسير سبل البحث والدراسة لها . وانها تمثل رابع للتنظيم الدقيق والعناية التامة .

٣ - متابعة الكشف عن الوثائق والمخطوطات والأعمال الفنية المتصلة بالقاهرة وتاريخها . وجمع نسخ وصور فوتوغرافية منها في مركز خاص يعين على البحث والدراس .

٤ - العناية بالمصادر المصرية للعصر العثماني الذي لم يزل بعد حظه من الدراسة ونشر الوثائق والمخطوطات المتصلة به نشرها عالميا .

٥ - وضع أطلس طبوغرافي تاريخي لمدينة القاهرة يمثل نموها وتطورها في عصورها التاريخية المختلفة .

٦ - مع ما للحاضر والتطور العمراني من سلطان ، فإن للماضي حرمة وقداسته والأمل وطيد في أن يرعى ذلك القائمون على تنظيم المدن الإسلامية وتخطيطها ، وفي مقدمتها القاهرة ، ولن يتعارض التوسع العمراني مع الاحتفاظ بمخلفات الماضي النفيسة .

٧ - رغبة أكيدة في تشجيع الجهود المختلفة المتصلة بماضي القاهرة التاريخي وحاضرها العمراني مما يهدد لتخطيط بعيد المدى للمستقبل .

٨ - تحية خالصة للسادة الزملاء الذين أسهموا في هذه الندوة ولم يتمكنوا من الاشتراك فيها ، وعزاء لزميل كريم هو المرحوم مصطفى السقا الذي اختطفه الموت قبل افتتاحها بقليل .

٩ - أمل عظيم في أن تنشر البحوث والدراسات والمناقشات التي أثيرت في هذه الندوة في أقرب فرصة تعميما للاستفادة منها .

ضحايا ، ذلك كله ولا فرق بين سفاح الأسر البعيد وبين سفاحي اليوم .. فان دوافع العنصرية التي أسلمت هيروودس الجبار لذلك الاثم الفظيع ، هي الدوافع نفسها التي زينت للصهيونيين أن يفعلوا بأبناء فلسطين مسيحيين ومسلمين ، ما فعله سلفهم الشرير بلدات المسيح وأخوة طفولته ..

أيها السادة الأفاضل :

إن الصهيونية وقد كشفت القناع عن حقيقتها الزائفة ، أصبحت معزولة عن شعوب العالم وأمه ولا يؤيدها اليوم إلا تجار السياسة وغلاة دعاة العنصرية .. واعداء الإنسانية .. فالعالم اليوم يتطلع الى غد أفضل ، الى مجتمع دولي تسوده روح المحبة والوئام .. فقد انى السخرة والرق والاستعمار والاستغلال والاضطهاد الديني والعنصري .. ونادى بأخوة إنسانية ، وأن الإنسان أخو الإنسان ، أما الصهيونية فانها بما قامت عليه ، وما تعمل له وتخطط من اجله ليست الا تكريما لتلك الأوضاع الهمجية .

الا ما اجمل ما يدعو الى الحق ، حتى اذا تربص به ذصاة الشر وقف الشرفاء - كل الشرفاء - من جميع أنحاء العالم يدافعون عنه ..

الا ما اجمل عالما يسوده السلام والمحبة والاخاء ، حتى اذا ما أعدى عليه غيرهم .. قمنا جميعا نكبح جماح المتكبرين الذين نزلوا من مجتمعتنا .. وننفيهم عن عالمنا الجميل ..

الا ما اجمل عالما يجعل للماضي قايما وتراثه ومآثراته .. ويحتفي بالحاضر ، في سبيل مجتمع دولي ارقى وإنسانية أكثر ترابطا .. ويعمل لمستقبل تتعايش فيه الأمم والشعوب بلفاتها وأجناسها وألوانها المختلفة ، في سلام وأمان ..

الا ما اجمل عالما تنتصر فيه العدالة .. وتيسع السلام .. وتعيش فيه المدن والقرى آمنة مطمئنة .. لتزدهر قوتها وتوسع شوارعها وتعلو مبانيها .. وتكثر مساحاتها .. وتتضاعف مدارسها وجامعاتها .. ودور الكتب فيها .

ولكم أيها السادة .. باسم القاهرة .. باسم أهلها الذين يحيونكم من أي صوب قدمتم ، وبأى لسان تحدثون .. لا نهم برون فيكم أهل محبة وسلام جثتم تحيون معهم مدينة السلام والمحبة ، وباسم الأمانة العامة لجامعة الدول العربية .. وباسم كل العرب الذين اختاروا هذه المدينة العظيمة لتكون مقرا لجامعتهم ومركزا لعملهم الجماعي المشترك .. لكم جميعا أيها الأصدقاء الأفاضل اصدق الشكر .. واجمل التحية وأخلص الود .. والله أسأل لشعوبكم وبلادكم الأمن والطمأنينة والسلام ..



مصادر تاريخ القاهرة

بقلم: د. أحمد دراج

التي تتناول تاريخ القاهرة في نواحيه المختلفة .
وبهذا ، في هذا المجال ، أن تشير إلى أن مصادر
تاريخ القاهرة كان نصيبها من الأبحاث التي
قدمت في هذه الندوة لا يعدو بحثين اثنين ، وهما
البحث الذي قدمه كاتب هذه الكلمة وموضوعه
« الوثائق العربية المحفوظة في دور الأرشيف
الأوروبية وخاصة بمصر الإسلامية » ، والبحث
الذي قدمه الأستاذ الدكتور محمد أنيس وموضوعه
« مدرسة التاريخ المصري في العصر العثماني » وقد
أقيم هذا البحث في الجلسة الأولى من جلسات
هذه الندوة والتي خصصت للحديث عن مصادر
تاريخ القاهرة .

ولعلنا على الرغم من هذه القلة العديدة في
أبحاث مصادر التاريخ فقد أثار عذنان الباحثان
اهتماما كبيرا بين جميع العلماء المشتركين في الندوة
وليس في الجلسة الأولى فقط ، وإنما على امتداد
جميع الجلسات التي عقدتها الندوة . ففي كل
جلسة كان موضوع مصادر تاريخ القاهرة يعود
ليفرض نفسه على جو المناقشات بالندوة ، ويذكر
الباحثين بأننا لا زلنا نجهل الكثير عن مصادر
تاريخ القاهرة وتاريخ مصر الإسلامية ومصر الحديثة
في نواحيه المختلفة ، سياسية كانت أو اقتصادية
 واجتماعية وفكرية وأثرية ودينية ، وإلى غير ذلك
من النواحي العديدة التي تشكل في مجموعها
تاريخ شعب من الشعوب وحضارة أمة من الأمم .
وإذا كانت الندوة لم يلق فيها سوى هذين
البحثين عن مصادر تاريخ القاهرة فإن الأمر لم
يخل من التعريف ببعض المصادر الجديدة من خلال
البحوث التي أقيمت في الندوة ، فبعض هذه
البحوث تناول الكشف لأول مرة عن بعض هذه
المصادر وأضاف إلى معلوماتنا عن مصادر تاريخ
مصر إضافات جديدة لها أهميتها الكبرى والبعض
الآخر من هذه البحوث أوضح أهمية بعض المصادر
التي كانت غير معروفة للكثيرين من المشتغلين
 بدراسة تاريخ مصر أو التي لم تقيم بعد تقييمها
صحيحا .

الحديث عن القاهرة في عيدها الألفي يتطلب
- في المقام الأول - من الباحث محاولة استعلاء
بعض الجوانب أو بعض الفترات التي لا تزال غامضة
في صفحات تاريخها الطويل عبر القرون . فصل
الرغم من أن تاريخ مصر الإسلامية ومصر الحديثة -
وهو في الوقت نفسه تاريخ مدينة القاهرة - قد
نال الشيء الكثير من عناية المؤرخين ، غربيين
وشرقيين ، حتى أصبحت صفحاته مجلوة لنا ،
فإن البحث العلمي يكشف لنا كل يوم أننا
لازلنا نجهل بعض جوانبه وأن بعض فتراته
التاريخية لا زالت في حاجة إلى المزيد من الدراسة
ولهذا كان أمرا طبيعيا أن يضع القاسمون على

تنظيم عقد الندوة الدولية لتاريخ القاهرة على أساس
الموضوعات التي اقترحوها لتكون مجالاً للبحث في
هذه الندوة موضوع مصادر تاريخ القاهرة ، وذلك
بقصد استكشاف الجديد من المصادر التي تعين
الباحثين على استعلاء الغامض من تاريخها .

وكان من المفروض أن يسبق عقد هذه الندوة
اجتماع تمهيدى أو نوع من الاتصال ، بين القائمين
على تنظيمها من رجال وزارة الثقافة وبين فريق
العلماء الذين قبلوا الاشتراك بأبحاثهم في هذه
الندوة ، أو على الأقل بينهم وبين فريق العلماء
المصريين المشتركين في الندوة والموجودين في
القاهرة ، وذلك بقصد التنسيق بين الموضوعات
المقترحة للبحث وبين الموضوعات التي يمكن أن
يسهم بها هؤلاء العلماء المتخصصون ، كل حسب
تخصصه وحسب اتجااهه العلمي حتى يمكن تغطية
جميع الموضوعات المقترحة للبحث .

غير أن عقد مثل هذا الاجتماع التمهيدى ، أو
مثل هذا النوع من التنسيق ، كان أمرا يتعذر
تحقيقه بسبب كثرة عددا لأساتذة الأجانب المشتركين
في هذه الندوة من جهة ، ومن جهة أخرى فانه من
التعذر في مجال البحث العلمي تحديد الموضوعات
الطلوب الكتابة فيها . ولهذا فإن الأبحاث
التي قدمها الأساتذة المشتركون في هذه الندوة
لم تق بصورة كاملة ومتناسقة بجميع الموضوعات

ولتحاول - في هذا المقال - أن نضع أمام القارئ عرضاً موجزاً للبحثين اللذين ألقيا في الندوة عن مصادر تاريخ القاهرة ، وما كشفت عنه بعض الأبحاث الأخرى من إضافات جديدة في هذا الميدان ، وأخيراً ما انتهت إليه توصيات الندوة في هذا الصدد .

إن الهدف من كتابة البحث الحساس بالوثائق العربية (الخاصة بمصر الإسلامية) المحفوظة في دور الأرشيف الأوربية هو التعريف بهذه الوثائق وبيان مدى أهميتها في دراسة تاريخ العلاقات بين مصر والمدن والجمهوريات والممالك الفرنجية خلال الفترة الممتدة من النصف الثاني من القرن العاشر حتى أوائل القرن السادس عشر ، أي من قيام الدولة الفاطمية في مصر حتى سقوط الدولة الملوكية .

ففي ظل الخلافة الفاطمية تمتعت مصر بالاستقلال التام ، وقد ترتب على تمتعها بحقوق السيادة الكاملة إطلاق يد الخلفاء الفاطميين في عقد المعاهدات الدولية . كما شهدت هذه الفترة أيضاً بداية عصر اليقظة الاقتصادية في المدن المطلة على الضايف الأوربي للبحر الأبيض المتوسط . وهذه اليقظة الاقتصادية التي جعلت البحر الأبيض المتوسط يستعيد مكانته التجارية التي كانت له زمن الإمبراطورية الرومانية أدت إلى نمو هذه المدن وتطورها في طريق الحكم الذاتي ، وقد انتهى هذا التطور بقيام القومونات أو الجمهوريات في هذه المدن . وكانت المدن الإيطالية مثل أمالفي ، وبيزا والبندقية ، وجنوة أسبق من غيرها من مدن البحر الأبيض في طريق هذا التطور ، ثم تبعها مدن جنوب فرنسا كمرسيليا ، ونربونه ، ومونبيلييه وبرشلونة في اسبانيا .

وترتب على هذه التغييرات السياسية في الشرق الأوسط وفي حياة المدن التجارية المطلة على البحر الأبيض المتوسط ، في إيطاليا وجنوب فرنسا وأسبانيا ، بداية عهد جديد في تاريخ العلاقات التجارية بين الشرق والغرب . فلم تعد الحركة التجارية بين الشرق والغرب قاصرة على الجهود الفردية للتجار اليهود الأوربيين . ذلك أن هذه الجهود الفردية أخذت تختفي شيئاً فشيئاً لتحل محلها علاقات تجارية دولية تنظمها المعاهدات المعقودة بين الخلفاء الفاطميين وحكام هذه القومونات والجمهوريات . وكانت هذه المعاهدات تتضمن الحقوق والامتيازات والاعفاءات المنوحة كل طائفة من طوائف تجار الفرنج ، كالخصول على فندق لهم بالاسكندرية يكون مركزاً لنشاطهم التجاري بها ، وتعيين قنصل لهم يرعى مصالحهم

التجارية في مصر ، وتقدير بعض الاعفاءات الجمركية لهم ، والاتفاق على الشروط الخاصة بمعاملاتهم التجارية ، وغيرها من الأمور التي تتصل بنشاطهم التجاري في مصر وإقامتهم بها .

وفضلاً عن هذه المعاهدات التجارية فقد استتبع الأمر تبادل المراسلات والمكاتبات بين الخلفاء والسلطان وبين حكام هذه القومونات وهذه الجمهوريات وملوك دول الفرنج التي دخلت فيما بعد ميدان هذه العلاقات الرسمية حول ما ينشأ من خلاف بين طوائف رعاياها من التجار والسلطات الرسمية في مصر ، أو حول ما يتعرضون له من مناعب ومضايقات أثناء إقامتهم في مصر .

وموجز القول أن معظم الوثائق العربية المتبادلة بين خلفاء الفاطميين وسلطان الأيوبيين والممالك من جهة ، وحكام الجمهوريات الإيطالية وملوك الفرنج من جهة أخرى ، والتي تشمل الفترة الممتدة من بداية القرن الحادي عشر حتى بداية القرن السادس عشر ، إنما تعالج تاريخ العلاقات التجارية بين مصر وهذه البلاد . فلم يكن يوجد بين مصر وهذه البلاد في العصر الوسيط علاقات ذات صبغة سياسية ، اللهم إلا فيما ندر . وأما كانت التجارة هي العلاقة الرئيسية التي كانت تربط بينهما . وكانت هذه الجمهوريات والممالك الفرنجية هي التي كانت تسعى بأموالها وتجارتها وقنصليتها إلى أسواق مصر والشام حرصاً على المكاسب الباهظة التي كانت تجنيها من الاتجار مهمها . ولم تكن مصر في حاجة إلى إرسال تجارها إلى هذه الجمهوريات والممالك ، أو تبادل التمثيل القنصلي معها ، إذ لم تكن لها مصالح خاصة بهذه الجمهوريات والممالك تدعوها إلى ذلك .

وكانت أمالفي هي أولى القومونات الإيطالية التي عقدت في بداية القرن الحادي عشر معاهدة تجارية مع مصر ، ثم تبعها بيزا ، والبندقية ، وجنوة . هذا فضلاً عن العلاقة التجارية القديمة بين الاسكندرية والقسطنطينية ، وبين الاسكندرية وبالرمو .

وأدت هذه العلاقات الرسمية إلى ازدهار الحركة التجارية بين مصر وأوروبا طوال العصر الفاطمي ، وما ساعد على ذلك الازدهار سياسة التسامح الديني التي انتهجها الفاطميون إزاء تجار الفرنج ، فقد عاملوهم معاملة طيبة ، كما سمحوا لهم بحرية التنقل داخل البلاد .

وليس ثمة شك أن الحروب الصليبية أضرت بالحركة التجارية بين مصر وأوروبا . فقد تحول

نشأته التجارة الإيطالية إلى موانئ الشام بعد قيام مملكة بيت المقدس الصليبية . وقد بطن صلاح الدين إلى خطورة ذلك الوضع على اقتصاد البلاد وبالتالي على حركة الجهاد ضد الصليبيين . ولذلك التحى على الرغم من حالة الحرب القائمة بينه وبين الصليبيين ، وما أثارته من عوامل الكراهية بين المسلمين والغرب بصمة عامة ، إلى الترحيب بالتجار الإيطاليين واعرائهم بالعودة إلى نشاطهم التجارى السابق بالاسكندرية ، وقد نجحت جهوده فى هذا الصدد ، كما استمر خلفاؤه من بعده يتبعون هذه السياسة الحكيمة ، مما أدى إلى نتائج طيبة فى الفترة الأخيرة من عصر الأيوبيين . هذا ويعبر عصرهم كى العصر الذهبي لتاريخ العلاقات التجارية بين مصر وأوروبا .

وكما قلت من قبل فإن هذه العلاقات التجارية كانت تنظمها المعاهدات والمكاتبات المعقودة والمتبادلة بين مصر من جهة ، وكل مدينة من هذه المدن من جهة أخرى . ولو تتبعنا تاريخ علاقة كل مدينة من هذه المدن مع مصر فى المراحل الخاصة بذلك ، لرأينا كم وفدت من معاهدات ، وكل سؤدد من مراسلات ومكاتبات وكل بيروقراطية معاملة مسكنة من مشاكل الخلافات وموجز القول أن هذه العلاقات الخاصة بكل مدينة من هذه المدن يعامى بمعتبرهم الوثائق إن لم يتعداها إلى المئات .

ولنأخذ على سبيل المثال ، جمهورية البندقية التى كانت تعتبر أكبر قوة بحرية تجارية فى البحر الأبيض المتوسط طوال العصر الوسيط لتعرف على وجه التقدير ، ومن خلال ما وصل إلى علمنا من تاريخ علاقاتها مع مصر ، أنها عقدت مع مصر معاهدة والأوسمة والمطوكية اثنتين وعشرين معاهدة . هذا فضلا عما يتصل بكل معاهدة من هذه المعاهدات من الوثائق الخاصة بها ، سواء ما كان منها على هيئة تعليمات صادرة من دوج البندقية إلى السفير المكلف بالتفاوض مع السلطان ، أو على هيئة مكاتبات متبادلة بين السلطان ودوج البندقية أو على هيئة مراسيم يصدرها السلطان إلى المسئولين من رجال دولته لوضعها لتنفيذ عليه الأمر فى المعاهدة المعقودة موضع التنفيذ .

وبالإضافة إلى ذلك فإن العدد الضخم من السفارات التى أرسلتها البندقية إلى سلاطين المملوك بصمة خاصة ، اقتضى أيضا تبادل الكثير

جدا من المراسلات والمكاتبات بين السلاطين وأدواج البندقية . ويطول بنا المقام لو قمنا بمثل هذا العرض للتعرف على حجم الوثائق الخاصة بكل مدينة من هذه المدن التى كانت تربطها بمصر علاقات تجارية .

غير أن هذا العدد الضخم من هذه الوثائق العربية قد فقدت جميع نسخته الأصلية التى كانت محفوظة فى ديوان الإنشاء فى مصر . كما لم يصلنا من النسخ الأصلية الأخرى لهذه الوثائق ، والتى كانت محفوظة فى دور الأرشيف الخاصة بكل مدينة من هذه المدن سوى عدد قليل جدا ، وهو على وجه التحديد ٢٣ وثيقة محفوظة فى ثلاث فقط من دور الأرشيف ، وهى دار البندقية ، وفلورنسة ، وبرشلونة .

وهذه الوثائق العربية التى حفظتها دور الأرشيف بالبندقية وفلورنسة وبرشلونة قليلة جدا إذا ما قيسنا بالحجم الحقيقي للوثائق العربية الخاصة بتاريخ علاقات كل مدينة من هذه المدن .

لذلك ، فإننا نرى أن هذه الوثائق العربية التى كانت محفوظة فى دور الأرشيف فى المدن الأوروبية الأخرى التى كانت تربطها بمصر علاقات تجارية كالمغرب ، والبرتغال ، وإسبانيا ، وبروكسل ،

تعتبر بالإنعكاس فى نفس الوقت أن معظم دور الأرشيف فى هذه المدن قد حفظت الجانب الأكبر من الترجمات الخاصة بهذه الوثائق العربية ، سواء باللغة اللاتينية ، أو باللغات الفرنسية المشتقة منها . هذا بالإضافة إلى الوثائق الأوروبية التى كانت محفوظة فى هذه المدن ، وهى تعتبر مكملة لوثائق العربية فى دراسة تاريخ هذه العلاقات .

وإذا كانت الوثائق العربية الأصلية التى كانت محفوظة فى ديوان الإنشاء فى مصر الإسلامية قد فقدت جميعها ، فإنه مما يعرنا عن ذلك أن صورا من هذه الوثائق - وهى أكثر نسيجا مما حفظته لنا دور الأرشيف - قد صممتها بعض مؤرخى مصر الإسلامية كتبهم ، وعلى وجه التخصيص من عمل مهم فى ديوان الإنشاء . فهؤلاء أتاح لهم عملهم فى ديوان الإنشاء لفترات زمنية طويلة نقل نسخ عديدة مما كان تحت يد كل منهم من الوثائق المحفوظة فى الديوان .

إن ظاهرة ضياع معظم الوثائق العربية الخاصة بمصر الإسلامية ليست قاصرة عليها وحدها ، بل هى تعبر ظاهرة عامة بالنسبة للدول الإسلامية

الأحرى في العصر الوسيط . فإدما ما استثنيا مصر وشمال أفريقيا والأندلس ، وهي البلاد التي حفظت لنا بعض دور الأرشيف في أوروبا عددا محدودا من الوثائق العربية الخاصة بها ، فإن مثل هذه الوثائق تكاد تكون معدومة بالنسبة لبلاد اسلامية أخرى ، مثل الشام والعراق وفارس .

والأمر على العكس من ذلك بالنسبة لتاريخ أوروبا في العصر الوسيط . فالباحث في تاريخ أوروبا في ذلك العصر يجد نفسه ، على الرغم من الغارق الحضاري الكبير وقتذاك بين الشرق الإسلامي وأوروبا ، أمام فيض كبير من الوثائق التي حفظتها دور الأرشيف الأوروبية . كما أن هذه الوثائق تتناول جميع نواحي الحياة اليومية ، الرسمية والفردية ، في المجتمع الأوروبي الوسيط .

ولم يكن المسلمون أقل من الأوروبيين حفاظا على وثائقهم ومكتاباتهم الرسمية ، ويكفي أن نحيل القارئ إلى ما ذكره الفلقشندي في وصف ديوان الإنشاء في مصر الإسلامية ، ووصف سير العمل به ، لنعرف مدى الاهتمام الذي كانت تعاط به عملية حفظ الوثائق والمكاتبات ، وإن احصا مدى كبر مسعى ذلك العصر في حفظ الوثائق .

النظام الدقيق المتبع في دور الأرشيف في مصر في ذلك العصر .

فإذا كان الجانب الأكبر من وثائق الدولة في

والمراسلات العربية التي كانت في ديوان الإنشاء في مصر الإسلامية قد أحرق ، فإن ذلك يرجع إلى ما تعرضت له البلاد من دمار وحروب وما تعرضت له ديوان الإنشاء من حرائق أو نهب بسبب تقلب الدول على مر العصور .

وفي مصر الأيوبية والملوكية كان ديوان الإنشاء مقره القلعة . ومن المعروف أن القلعة تعرضت للحريق عدة مرات في عهد المماليك ، وامتدت هذه الحرائق إلى ديوان الإنشاء كما امتدت إلى أماكن كثيرة غيره بالقلعة .

وفي سنة ٦٨٤ و ٦٩١ و ٧١٥ و ٧٧٤ هـ شبت النار بالقلعة . وكانت أخطر هذه الحرائق تلك التي حدثت في سنة ٦٩١ و احترقت فيها خزائن الكتب ، وتلك التي حدثت في سنة ٧٧٤ بسبب صاعقة وقعت على القلعة وأحرقت أشياء كثيرة بها .

هذا ويذكر لنا المقريزي أنه أثناء الفتنة التي أطاحت بالظاهر بركوق من عرش السلطنة في سنة ٧٩١ هـ اختلت أمور كثيرة بالقلعة ، وكان ديوان الإنشاء من بين ما اختل بها . إذ نهب معظم ما كان به من وثائق ومكاتبات .

وبعد ما ن سبر إلى أن هذا البحث آثار بين الاساتذة المشتريين في التدرة كثيرا من العليقات ، منها ما أحيا الآمال في إمكان العثور على مزيد من هذه الوثائق العربية الخاصة بتاريخ العلاقات بين مصر وأوروبا في العصر الوسيط وعلى وجه التخصيص في أرشيف مملكة أرغونه الحديثة ترشولونه . ومنها - ولعله أهم ما أثير من تعليقات - ما ذكرته السيدة كليلا سارني أستاذة التاريخ الحديث بمعهد الدراسات الشرقية

بنابيل عن أهمية تقاسير قناصل الفرنج الذين كانوا يمثلون مدنهم وممالكهم لدى بلاطسلاطين المماليك كمصادر على جانب كبير من الأهمية في دراسة تاريخ هذه العلاقات المصرية الأوروبية بصفة خاصة ، وتاريخ الدولة المملوكية بصفة عامة . وقد أشارت - على سبيل المثال - إلى تقارير قناصل البندقية في الاسكندرية في الفترة الممتدة من سنة ١٤٩٦ حتى سنة ١٥٢٢ ، وهي التي تبدأ بسلطة الأشرف قايتباي ونهى قوط الدولة المملوكية وبداية العهد العثماني

في مصر . وهذه التقارير التي تقوم حاليا السيدة سارني على أساسها بكونها مجموعة من الرسائل التي أرسلها قناصل البندقية إلى سلاطين مصر ، ولا بد أن سارني

في بحثها عن تاريخ مصر في العصر العثماني . سارني أن تضع أبحاثها في إطارها العام . ولا بد أن سارني

لبدء الفترة التي تلت تاريخ مصر . وأما البحث الثاني الذي تقدم به الاستاذ الدكتور محمد أنيس فهو عن مدرسة التاريخ

المصري في العصر العثماني . وقد دفع الدكتور

أنيس إلى كتابة هذا البحث القيم ملاحظه من

أن العهد العثماني في مصر لم يزل حتى الآن

عناية كاملة من جانب المشتغلين بدراسة تاريخ

هذه الفترة من المؤرخين ، المصريين والعربيين على

حد سواء ، وأن مرد ذلك يرجع إلى الاعتقاد

الشايع لدى جمهورهم عن ندرة مصادر هذه

الفترة . هذا فضلا عن عدم الاهتمام حتى الآن

من هذا القرن بكتابة تاريخ مصر العثمانية ،

فحتى ذلك الوقت كانت دراسات هذه الجمهورية

من المؤرخين تتركز حول تاريخ مصر في القرن

التاسع عشر وبالأخص حول تاريخ أسرة محمد

على . ويقسم الدكتور أنيس مصادر تاريخ مصر

العثمانية إلى أنواع ثلاثة :

أولا - الوثائق الرسمية ، وهذه الوثائق منها

١٣

المقالات ، حتى نشأت لهم منه « علوم وفنون
في مجلدات يفتخر بها القتون » .

وبعد ، فهذا عرض موجز لما القى في
الندوة من بحوث عن مصادر تاريخ القاهرة ،
وللجديد من المصادر الذي عرفناه من خلال
البحوث الأخرى التي تقدم بها بعض الأساتذة
المشاركين في الندوة ، وكما سبق أن أوضحت في
مقدمة هذا المقال فإن الحديث عن مصادر
التاريخ المصري لم تخل منه جلسة من جلسات
الندوة . وقد أوضحت المناقشات التي دارت
حول هذا الموضوع ضرورة الاهتمام باستكمال
هذه المصادر ، سواء ما كان منها محفوظا في دور
العلماء ، أو ما لا يزال منها مخطوطا ، والعمل
على جمعها ونشرها لتكون في خدمة المهتمين
بالتاريخ المصري .

واستجابة لهذا الشعور العام أوصت الندوة
بإنشاء مركز لتسابعة الكشف عن الوثائق
والمخطوطات والأعمال الفنية المتصلة بتاريخ
القاهرة وجمع نسخ وصور فوتوغرافية منها وأن
يعد لها مركز خاص بمبنى المدارس والباحثين .

وفي مجال المخطوطات عرفت أيضا اهتمام
الدومينيكانى الأب جورج شحده بموسى لمخطوطات
صعيرة للمقريزى . شيخ مزرجى مصر الإسلامية
ففى بحثه الذى اشترك به فى الندوة وعنوانه
« وجه من وجوه الكفاح ضد الزندقة فى القرن
الخامس عشر حسب مخطوطه لم تنتشر للمقريزى »
قدم لنا نص هذه المخطوطات التى يسميها المقريزى
« كتاب البيان المفيد فى الفرق بين التوحيد
والتلحيد » . وقد أثبت المقريزى فى خاتمتها
أنه كتبها بخانقاه خاتون فى طاهر دمشق فى
أثناء نهار الأحد ثلاث خلون من شهر رجب الفرد
سنة ثلاث عشر وثمان مائة . وهذه المخطوطات
هى إحدى الرسائل الصغيرة التى كتبها المقريزى
لمعالجة موضوع معين فى مناسبة معينة لا يوضح
وجهة نظر معينة . وفى مقدمة رسائله هذه
يوضح المقريزى الغرض من كتابتها بقوله : « و قد
فهذه أوراق لطيفة ، كاتبة مفيدة ، إن شاء الله
لمن أراد معرفة ما أحسنه طائفة من شخصه
بالصوفية فى طرائق التلحيد » .
عند الإشارات ، وأطالوا فى تشويق عباراته



الجامع
الأزهر



القاهرة

بوصفها مدينة

بقلم : د. عبد الرحمن زكي

عقدت الجلسة الخامسة من الندوة الدولية لتاريخ القاهرة في الساعة الرابعة مساءً يوم الثلاثاء أول إبريل ١٩٦٩ برئاسة الأسلا جوسسيف فون جرونباوم مدير مركز الشرق الأدنى بلوس انجلس في كاليفورنيا وكان مقرر الجلسة الدكتور عبد الرحمن زكي .

د. زكي : هم وصف للمدينة وصل إلينا هو ما كتبه
... الفارسي بصرى خسرو الذي زار مصر
... الحادي عشر ، فإنه أسهب في
... وصفها وجمعها و...
... عملها وحركتها التجارية . ثم
... عن التفتيش التي أحرقت في
... وأمدته إلى متحف الفن
... من قطع الخزف والرجاج والتسيج
... وهكذا تكلم عن العسكر العاصمة الثانية
... العاصمة الثالثة .

والمعروف أن خاتمة الفسطاط كانت في عام
١١٦٨ م حينما أتى الحريق الذي شب فيها عمدا
خوفاً من أن تقع في أيدي الصليبيين على ما تبقى
منها فتحولت إلى أطلال وكيمان . .

● القاهرة وبابلليون مصر :

كان الموضوع أن يتحدث إلينا في هذا الموضوع
السلامة المستشرق ميخائيل كوروسوف
الأستاذ بمعهد الدراسات الشرقية بوسكو ، لكنه
اعتذر عن عدم الحضور ، فلم يناقش موضوعه ومع
ذلك فقد وزع موجز موضوعه للمشاركين بالمصو
وقد أثار مناقشة بين المثقفين على صفحات الإهرام

● كان موضوع الباحثين متصل بمصر
كمدينة وأحداثها التاريخية
الأستاذ أحمد ممدوح حمدي مدير متحف
الاسلامي ، تحدث عن ...
القاهرة ، مبتدئاً بالفسطاط ...
ابن العاص في سنة ٤٦١ م ...
المعروف باسمه - وفي عام ٧٥١ م أصيب إليها حي
في الشمال الشرقي ليكون مقراً للأمرء ومسكر
لحيوشهم فسميت بذلك « العسكر » ثم قامت في
شمالها الشرقي ضاحية أخرى أو مدينة صغرى
بناها أول حاكم استقل بحكم مصر حوالي سنة
٨٦٠ م هو أحمد بن طولون . وسميت تلك المدينة
« القطائع » وبني فيها جامع الذي ما زال قائماً .
ثم ما لبثت هذه المدن الثلاث أن أصبحت مدينة
واحدة مندمجة في الفسطاط ، تقوم بوظيفتها
كعاصمة سياسية وإدارية وتجارية للملاد حتى
وقد الفاطميون بقيادة القائد جوهر الصمقل
وأنشأ القاهرة باسمهم وكان ذلك في عام ٩٦٩م

وصف الفسطاط كثير من المؤرخين والرحالة
العرب الذين قصدوا مصر ، فقال عنها ابن حوقل :
« أنها كانت ذات أسواق عظام ومتاجر فخام
ولها ظاهر أنيق وبساتين نظرة ومسرات خضرة »

جامع ابن طولون

● مدينة القاهرة في جغرافية الإدريسي

وصاحب هذا البحث هو العالم الجليل المشرق روبرتو روبانشي الأستاذ بمعهد الدراسات الشرقية في جامعة نابولي . فقد ذكر لنا أن الإدريسي (١١٠٠ - ١١٦٦) خص القسطنطينية في كتابه « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » بـ « مدينة » . وذكر في كتاب « وصف جزيرة العرب » (ملك صقلية) ، « مدينة » . وذكر في كتاب « حكاية ابن بطوطة » (توفي ٩٧٧ م) ، « فحدثنا عن مدينة القسطنطينية واسطورة اليمامة التي ذكرها اليعقوبي والمسعودي ومع ذلك فلا يعتبر هذا الوصف عاما من ناحية طبوغرافية المدينة ، ولكنه عنى بوصف دورها وطوائفها وعزلها كما فعل ابن حوقل وناصر خسر والرحالة الفارسي ، وذكر الإدريسي عدد الجوامع الكبرى كما ذكرها ابن حوقل وعنيتان منها : جامع عمرو بن العاص ، وجامع أحمد بن طولون . كما تحدث عن مسجد المقياس الكائن بحزيرة الروضة .

وبنوه الأستاذ روبانشي بمقياس الروضة أو دار المقياس ، وعن الإدريسي وصفه كاملا ، وبقر العلامة بأن هذا أحسن وصف ورد في كتاب عربي قبل الإدريسي لأنه يتسم بالدقة ويتفق الأستاذ كريستوبل مع روبانشي على ذلك وإن اختلفا قليلا في بعض التفاصيل الفنية . وفي أحراب القرن الثامن عشر تمكن العلامة الفرنسي « مارسيل » من أعضاء البعثة العلمية الفرنسية مجلة المجلة - ١٧

أبداءها الأستاذ الدكتور عبد المعص أبو بكر ردا على الأستاذ كوروستفتسف الذي أكد في بحثه أن « القاهرة » اسم مشتق من اسم فرعوني هو « كا - هي - رع » ويعني مكان المعركة . و المعركة التي حسم وطيسها بين « كاهنك » و « ست » وبين الشمس وأكد الدكتور ، « بكر » هذا الاسم لا معنى له ، هذا عما أنه لم يرد نص من النصوص المصرية القديمة التي تذكر المعاجم الجغرافية . كما أوضح في كتابه « تاريخ الحضارة المصرية » . « أن اسمها المصري القديم هو « خري عحا » .

واشترك في هذا النقاش العلمي كل من الاساذ الدكتور لويس عوض الذي انضم إلى رأى الدكتور كوروستفتسف ، كما أسهم الدكتور إبراهيم أحمد رزقانة (الأهرام ١٠ أبريل ١٩٦٩) ، فقال أنه كانت « خري عحا » ذات أهمية جغرافية خاصة ، فكانت المكان الذي ينزع عنه مجرى التسلسل إلى فروعه العديدة ، التي كانت تكون دلتاه ، وخلاصة القول أن « خري عحا » لم تكن مدينة كبرى ، ولم تكن عاصمة قبل أي يوم بل لم يصار مستعاضها الحضري والعماري إلى « عاصمة اقليمية » ، فلم يرد ذكرها بهذه الصفة ، من القوائم التي تذكر مديريات مصر القديمة وعواصمها . أما « القاهرة » فاسم عربي لا تربطه أية صلة أو شبهة باسم فرعوني أو قبلي قديم ، فاستحقت منا بذلك أن نتحدث بعينها الألفي .

التي رافقت نابليون في حملته على مصر أن يمدد
ببحث كاف عن هذا المقياس العربي .

وبالرغم من افاضة الادريسي في وصف
انفساط والروضة وعين شمس ومنف فانه لم
يتحدث اطلاقا عن القاهرة الفاطمية وكانت حينذاك
في عتوان مجدها وذروة شهرتها . فهل نفس
ذلك بأن الادريسي لم يزور مصر أصلا ، أو أنه
زار مصر ثم تجاهل القاهرة لفاطميتها ، وهو ذلك
السني العريق في سنيته الذي لا يود أن يذكر
شيئا من محاسن الفاطميين أعداء مذهبه الديني .
وأمام هذه المشكلة يترك الأستاذ رويناتشي لزملائه
أعضاء الندوة حل تلك القضية التاريخي .

● المسلك إلى القاهرة :

قدم هذا البحث الأستاذ عثمان الكماك من وفد
الجمهورية التونسية . تناول فيه ما سبق يوم
ارتحال الحملة الفاطمية إلى مصر من أعدادات تم
انتقال الحملة من مدينة المنصورة قرب القرويين إلى
الاسكندرية ثم إلى القاهرة .
مرت بها وضبط مواقيتها . وهو ذكر في
بها لحال المرور . ويهدف إلى إثبات
حقائق كثيرة في هذه الحملة .
ببأسباب التي دعت القواطم إلى الانتقال إلى مصر .
وهل هي راجعة إلى سياسة فشلت في شمال
أفريقية ، أو إلى اخفاق نظام قائم أو أزمة مذهبة
أو ضائقة مالية أو حب توسع ؟ ويقول الباحث
أن الفاطميين كانوا يدون القضاء على خلافتين
اسلاميتين ، إذ لا يمكن أن تقوم إلا خلافة واحدة
فأرادوها لأنفسهم إذ رأوا أنفسهم الأحق بها .
ودوافم الله أنهم ليست توسعة فحسب ، بل أنها
دنية وعقائدية واستراتيجية دفاعية . وحمة في
آن واحد . ويضيف الأستاذ عثمان الكماك قائلا
آخر فيقول أن المغرب الفاطمي في القرن الرابع
الهجري كان يزخر بالثغوس وبخز بالمحصولات
الزراعية والصناعة . . وحجم هذا يؤلف مشاكرا
لا ند من حلها . إذن فلم تكن للمعز بد من استخدام
الحشد في حملة عسكرية طيلة النفس .
الناطق .

تحدث عن جميع مراحل اعداد الحملة إلى القاهرة :

وما تطليته ، وعن اعداد المعز استخلافه بقباية
الدقة واختياره الوصي حتى لا يترك شيئا في
موطنه للصعدة . وتحدث عن الأسباب التي من
أهلها نقل المعز لدين الله الخلافة الفاطمية من
المهدة إلى القاهرة . ثم ما كان من فوز القائد
جوهر الصقلي ثم وصول المعز إلى القاهرة يوم
الاثنا لسمع خلون من شهر رمضان ودخوله
ابصر الذي أعده له جوهر . ويترك السيد
البخانة للاستاذة الباحثة الجال ليدرسوا ما نتج
عن الحملة من نتائج سياسية واجتماعية وعامة
واقتصادية فقد اشتملت الحملة المعرية على العلماء
كما شملت الجنود والشعراء والأهراء والمعمارين
والقصاة والدعاة والمفكرين .

● امتداد القاهرة وتوسعها من عصر الفاطميين إلى عصر المماليك :

قدم هذا البحث كاتب هذه السطور (دكتور
محمد الرحمن زكي) ، وقد بين فيه امتداد المدينة
عاصمة شمالا وجنوبا في أثناء حكم الباطم .
سمح الأمازيج دخول القاهرة
لأنها كانت في آن واحد ، الناطق والماني خارج
التي كانت في آن واحد ، يعبر بالله من المعز لدين
الله الذي حكم مصر تقريبا بين عامي ٩٧٥ و ٩٩٦ م
شيد دار صناعية للسفن بالقوس وكانت تقع على
النشاط الشرقي للنيل بالقرب من ميدان رمسيس
اليوم وكانت حينذاك ميناء القاهرة الشمالي ، وشيد
فيها الحاكم بأمر الله مسجدا ، وفي أيام هذا
الخليفة الذي حكم بين ٩٩٦ و ١٠٣٠ م توسعت
القاهرة من ناحيتها الشمالية والجنوبية . فقد
ذكر القزويني أن الطائفة المسننة سكنت حارة
المسننة خارج باب الفتوس ، وكانت تتألف من
حارات شتى ، وفي زمنه أيضا أخذ الأهالي جنوب
الصور الجنوبي ، يعمرن وينون خارج أسوار
زويلة والتمس ، وكانت هذه المنطقة من قبل غير
عمارة بالمنازل حتى مدينة القطايم الطولونية ،
وسرعان ما تفضت ضاحية امتدت تدريجيا حتى
كثرت مساكنها في أيام المستنصر لدين الله
(١٠٣٥ - ١٠٩٤ م) وفي خارج باب زويلة ،
خلعت حارة اليانسية التي سميت إلى أبي الفتح

● هيئات الإدارة من غير المسلمين في عصر المماليك

قدم هذا البحث الأستاذ دونالد ريتشاردس بالمعهد الشرقي التابع لجامعة أكسفورد وتحدث فيه عن مدى اسهام غير المسلمين في الادارة الحكومية والوظائف الخاصة عند الامراء والاعيان ، وقال أن القرن الرابع عشر يعتبر الفترة التي تحول فيها عدد عظيم من القبط الى الدين الاسلامي ولا سيما الموظفين منهم ، ومن هنا كان اهتمام دراسة الأستاذ ريتشاردس لاحوال هؤلاء الموظفين شخصيا وكذلك وضع السادة المسلمين بالنسبة اليهم وكانوا يعرفون حينذاك بالمسالمة . ظلت هذه الدراسة بعدة عن تناول الباحث حتى وقتنا هذا ، ولذلك اتجه دكتور ريتشاردس الى دراسة المراجع التاريخية والأدبية وكتب التراجم الشخصية لاقتباس حذور مادة بحثه وتقيم أصحاب هذه الدراسة عد آخره لعقب عد المناصب الم بها ومحال سكنهم ، والطروق التي تولوا فيها ، والى ان كانت هذه معاملة ونظرة العلماء ، والامة ، صاحب البحث ان كثير

القط بدوا العمل في بيت
الناكالة فتم اخذها لتدق
وتجوز كمناسبتهم ، فلما تم الامراء
هؤلاء شاة هؤلاء الموظفين بالنسبة حتى تسلموا
المناصب ال قيمة وجمعها الثروات ، ومع ذلك فان
الامراء لا تمسكهم في أي المناسبات جمعوا قبيها
تلك الشهادة ، كانت تكتب المظنة في تلك
الأزمان تقدم كما شرب حواء معنا نقدا ، الأخ
غلة ، وال جانب ذلك كان تسلم المظنة القدر
نمسا ، تكتب من الجود والحب ، علف الجود ، أما
الكاره فكانت تصدق لمد السك ، الشمة ، واليات
والمس ، استم ، بالإضافة الى ما تقدم له
في الامداد الاسلامية . كانت أعلا ال وائب ،
ما بتقاضاه الوزير ، فكان يدفع له ٢٥٠ ديناراً
حشياً في كل شهر ، يضاف اليها العلوات وعشاء
ولا حظ مست ، ريتشاردس ، حدوث ضغط شديد
عنا القبط في القرن الرابع عشر ، وشاعت كثافة
ال سائلا المدحة ضدهم ، منها رساله هتبه ،
« من الصواب في قسم استقطاب أهل الكتاب »
وقد اقتبس من لفظاً كثيراً من آيات القرآن والحديث
كما دعا ما كان يقوله السلاطين وعما لکم عن

يونس مملوك الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله
(١١٣٠ - ١١٤٩) ولها اليوم مدخلان أحدهما
من شارع الدرب الأحمر تجسده جامع قجماس
الاسحقى (أبو حريية) وثانيهما بشارع المغرلين
كذلك أنشأ بدر الجمالي مشهداً فوق جبل المقطم
(١٠٨٥ م) ، كما شيد غيره من القواطم في خارج
القاهرة عدة مشاهد ، وأدرك القواطم ما كان لجزيرة
الروضة من موقع هام أمام مدينة الفسطاط في
النيل ، فأنشأ الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي
في عام ١٠٩٦ م يستانا سماه الروضة ، والجدير
 بالذكر أنه حدث في أيام القواطم أن طرح النيل
أرضاً كسبتها القاهرة وزاد في عمرانها .

وعلى أيام الأيوبيين ولا سيما في أعقاب بناء
قلعة الجبل ، انتقل مركز ثقل القاهرة الى الجنوب
حينما نهضت القلعة ، لازداد العمران في أسفل
هذا المعقل العتيق ، كما سمح صلاح الدين الأيوبي
للأهالي بالسكنى في القاهرة بعد أن كان ذلك
محظوراً عليهم في أيام الف

ضم المدن الثلاث ، القاهرة ، و
حتى بركة الفيل ونمت منطقة
على أيام الأيوبيين ، كما ازدهرت
بما أنشاه السلطان الصالح نجم الدين الأيوبي
فيها كالقلعة والقصور والدور .

أما امتداد القاهرة وتوسعها في أيام المماليك
فكان مستمرا . امتدت شمالا الى صحراء الريديانية
ولم تقتصر على الحسيتية ، وطرح النيل أراضى
شاسعة في غربي القاهرة وشمالها (الطرح
السادس عام ١٢٨١ م والسابع عام ١٤٠٣)
فانتسعت مساحة المدينة وقام حي شبرا ، وكان
أصلا جزيرة النيل ، كما نهض حي بولاق واتسع
وزاد العمران في جزر النيل ولا سيما في جزيرتي
الروضة والزمالك .

واختتم صاحب البحث كلامه بأن اقترح رسم
خرائط تاريخية لتوضيح نمو القاهرة وتطورها
واتساعها وبيان المعالم القديمة عليها وذلك لكي
يتيسر للعلماء القيام بدراساتهم التاريخية .

٢ - الباب الثاني فى الأدبيات .

٣ - الباب الثالث فى الأخلاق المحمودة والمنعومة

٤ - الباب الرابع فى قواعد بقيمة الزمان وفوائده
نزعة الاخوان .

ونرجو أن لا يمر وقت طويل حتى نعيد من
هذا الكتاب بعد تحقيقه ونشره .

● مدينة القاهرة ومشاكلها

فى القرنين السابع عشر والثامن عشر :

صاحب هذه الدراسة الأستاذ اندرية ريمون
مدير المعهد العربى للدراسات العربية بدمشق
وقد نشر له قبل اليوم عدة بحوث قيمة فى المحلة
عن القاهرة فى العصر العثماني ، تذكر منها
التوراث الشعبية فى القاهرة العثمانية ، وتطور
الأحياء الاستقرائية فى القاهرة فى العرس
سبع عشر والسابع عشر ، والسقاية والسقا
فى القاهرة .

حدثنا الأستاذ رمون فى بحثه المفيد عن فصاي
القاهرة منذ ثلاثمائة سنة . حيثما
على ثلاثمائة ألف نسمة .

يذكر صاحب البحث انه بالرغم من انحدار
الهيئات أو المديرية أو المرافق التى بهت
بالخدمات فى قاهرة العنانيين ، مما عرفه اليوم
المدن العربية وغير العربية . فقد كانت هناك
ما يشبه تلك النظم التى يعصلها سائر ادارة المدمة
بشكل مقبول . ولا عراية فى ذلك فقد انعدمت
ايضا تلك الترتيبات فى القاهرة على أيام المالك
فلم يعرف نظام البلديات فى القاهرة الا منذ
سنوات قلائل .

كان تنظيم المدينة يعتمد على نظام الطوائف أو
الحارات . وكانت الطوائف عتصرا هاما فى حياة
مدينة القاهرة . وهذه الطوائف أو نظامها كان أمرا
معترفا به لدى السلطات . تلك الطوائف التى
ضمت جميع أصحاب الحرف والصناعات والتجار .
وكان شيوخ الطوائف أو النقابات هم الذين يقومون
بنقل أوامر السلطة العليا وتعليماتها الى أفراد
طوائفهم الذين يعملون على تنفيذها . وكانت

أسباب استخدامهم القبط وتفضيلهم على المسلمين
فى بعض الوظائف . وقد تمكن الدكتور ريتشارس
من كتابة تيت احتوى على أسماء اثنين وعشرين من
أصحاب الوظائف الكبرى بين القبط ، وندكره
منهم على سبيل المثال :

١ - بيت كريم الدين الكبير فى حارة الديلم .

٢ - بيت كريم الدين أبو شاكرا بن أمين الدين
فى رقاق الكنيسة .

٣ - بيت ابراهيم بن بركة البوشيرى ببركة
الرطلى .

٤ - بيتا فخر الدين ماجد بن أمين الدين
الحاسب فى حارة زويلة وفى قم الحور .

٥ - بيت كريم الدين شاكرا بن غنام بالقرب من
الأزهر .

● مخطوط روضة الأدب ونزهة الأرباب

لشمس الدين بن ظهير الحنفى الحموى .

صاحب البحث الدكتور محمد
والمعروف عنه أنه كتب
فى القرن التاسع مخرى .

دار الكتب بولطه جو . احتوى على بعض
المعلومات الدقيقة الخاصة بالنظام الإدارى المصرى
فى القرن التاسع وإن كان فى أكثر فصوله
يعتمد على كتب سابقة . بدأ الباحث بالتحريف عن
المؤلف وكان ذلك يتطلب جهدا شاقا لأن كثير من
يحملون ذات الاسم واللقب (!) ثم ذكر أن هناك
ثلاثة مخطوطات من الكتاب . النسخة الأولى فى
دار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم ٣٧٨٠ ،
والنسخة الثانية فى مكتبة المخطوطات العربية
بالاسكوريال ، النسخة الثالثة باستانبول وقد
أشار إليها بروكلمان فى ملحقاته (١٠٣٦ : ٢)

وهذا المخطوط الذى بحثه الدكتور محمد
الهيلة لا يحوى غير الأبواب الأربعة الأولى من
الكتاب وقد فهرس محتوياتها حتى نقتفى على
ما تتضمنه :

١ - الباب الأول فى السياسة (السلطان ،
الخراج ، العشور ، الحسبة . الخ) .



محمد علي

يلجأون الى الشيخ الشرفاوى والسيد عمر مكرم
يسعد بنى الوالى ٠٠ ثم عمت الغوصي وأضرب
الأزهر وأغلقت الاسواق واشترك الأولاد في المقاومة
وفي أثناء ذلك ورد رسول
أحمد علي باشا حبه . فامسح
هذا الرجل من اطلوع الى القلعة فنزل الياشا
وقلده في بيت سعيد أعا . ولم يرفض محمد علي
الولاية ولو أنه رأى فيها حطة لابعاده عن مصر .
وقد رادت من هيئته ومكانته وقد وجد فيه الشعب
وزعمائه الشخص الوحيد لوضع حد لهذه الغوصي
وأخذوا يدبرون أمر توليته . يواصل الاستاذ
مكي شببيكة شرح الأحداث في القاهرة لتقرب من
نهايتها وفي ذلك ذكر الجبرتي :

واجتهد السيد عمر أفندي النقيب وحررض
الناس على الاجتماع والاستعداد وركب هو والمشايخ
الى بيت محمد علي باشا ومعهم الكثير من المشايخ
والعامة والحاقلية والكل بالاسلحة والعصى
والثيابيت ولارموا السهر بالليل في الشوارع
والحارات ، ويسرحون أحزابا وطوائف ومعهم
المشاعل ويطوفون بالجهات والنواحي وجهات

عسكرية واقتصادية تتعلق بوضع الامبراطورية
العثمانية ، وأسباب خاصة تتعلق بولاية مصر .
وكان ضعف الامبراطورية بدأ يبدو في الامق في
اعقاب وفاة السلطان سليمان القانوني (ت ١٥٦٦) ،
ثم ازدياد نفوذ الانكشارية وفساد نظامهم ، وافق
ذلك تأثر اقتصاد الدولة العثمانية بنقص واردات
الضرائب التي كانت تفرض على بضائع الشرق
الأقصى المارة في أراضيها وذلك بسبب اكتشاف
طريق رأس الرجاء الصالح ، فانخفضت قيمة النقد
وانعكس ذلك على سلوك الموظفين والعسكريين .
وبين صاحب البحث أثر هذه الثورات بالنسبة
للولايات العربية في مناطق الاطراف في اليمن مثلا
حيث عدد الزيدون السلطة العثمانية ، ثم عمت
مصر والشام . ويلاحظ ان ثورة العساكر في مصر
تأثرت بقلية العنصر المملوكي فيها .

الذكور عبد الكريم مغربي
على سعود بن العنصر
اصحاب بلاد . وصل هذا
جاءت الحملة الفرنسية الى مصر
المصريين والماليك ضد الغزاة المحدد .

● دور زعماء وشعب القاهرة

في تولية محمد علي سنة ١٨٠٥ (١)

صاحب هذا البحث الأستاذ دكتور مكي شببيكة
استاذ التاريخ بجامعة الخرطوم ، بين فيه دور
الحماهير في تطور أحداث مصر عام ١٨٠٥ معتمدا
على ما جاء في تاريخ الجبرتي عند اشتدت مرحلة
الصراع نحو السيطرة بين محمد علي وخورشيد
باشا الوالى العثماني ، ولاسيما في أعقاب
مساويء الدلائية إحدى فرق الحامية العثمانية
في البلاد في أنحاء القاهرة ، مما جعل الناس

(١) لم يستطع الاستاذ مكي شببيكة العفود الى
القاهرة للمشاركة في الندوة ولذلك لم يناقش بحثه .

هذا هو البحث القريد في الندوة الذي تكلم فيه مقدمه عن مستقبل القاهرة ، وليس بداف أن أعلية الدراسات اتصلت بمصاى القاهرة أو حاضرها وذكر الدكتور سيدى أن معظم مشاكل المدن فى الوقت الحالى ترجع الى تضخم عدد سكانها بما يجى إليها من الريف بحثا عن عمل جديد .

فهل يمكن تلافي ذلك الامداد المتواصل من الريف ؟ ولا سيما أن الاعمال الجديدة لاتتسع لهذا السيل المستمر ، وتكون النتيجة أن تزدحم أحياء المدينة القديمة بالقادمين عليها ، فيشاركون ساكنيها بيوتهم القديمة وتكتظ الطرق والأسواق والمواصلات وهكذا تسير عجلة المدينة بصعوبة تزداد كل يوم . فهل من حلول لهذه الاحوال التي نمر بمعظم بلدان الشرق ، ولا سيما فى البلدان نامية . ان الدكتور المسيدى يدعو جميع المشاركين الى البحث عن طرق سرعة حل مشاكلنا .

السور ثم اتفقوا على محاصرة القلعة ، فأرسل محمد على باشا عساكره فى جهات الرميطة والخطابة والطرق الباعدة مثل باب القراة والحصريه وطريق الصليبيه وناحيه بيت أفيردى . وعملوا متاريس فى تلك الجهات وذلك فى ماسع عشرة . وصعدوا على مقارة السلطان حسن يرمون منها الى القلعة . وفى يوم الأيعاء ثاني عشرة منه ركب السيد عمر أفندى والمشايخ ومعهم جمع كثير من الناس ان الاربيكية وحضر جمع كثير من العامة وطوائف الأجناد . واتفقوا جميعا على مطالبه السلطان بتولية محمد على .

وأخيرا وصل رسول السلطان يحمل مرسوما بتولية محمد على وعزل خورشيد . وبالرغم عن عناد خورشيد الى آخر لحظة . فقد انتهى الامر بتولى محمد على منصب الولاية .

● بعض الأوجه الخاصة

بتخطيط القاهرة المستقبل :

صاحب هذا البحث الاسناد الدكتور
لستيدس الورى السابق في حرفة

تجارب طليعية ودراسات نقدية

واعمال جديدة لكتاب القصة المعروفين

تجاول في

عدد القصة

عدد خاص من

مجلة المجلة

يصدر فى اول اغسطس القادم

كأبتهالات إلى السماء تتصاعد المآذن في آفاق القاهرة
 بأفاع مكررة عبر عتباته .. ومع نزوغ العجور في حله السكينة
 النورانية عند مغرب الشمس في رمضان ترتفع من هذه المآذن
 ضراعات من نبض الإيمان والورع الذي يعايش قلب المدينة
 العتيقة ..

للمآذن القاهرية طابعها وخصائصها .. هي تفرق عن
 المآذن الفارسية والمآذن في الهند وفي غيرها من البلاد الإسلامية.
 وهي في بنائها وتعدد أشكالها تمثل اساق المنطق المعماري
 المصري ووحدانية النظم - دمج بروحه الإسلامي وبطل هذا



مئذنة جامع بيبرس الباجينجي

مئذنة جامع ابنك اليوسفي

مئذنة جامع الحسين

منذ ابن طولون الى صفت على طراز ماذن ساهرا حتى
ماذن العصر العثماني بشكل مسوعاه ويحقق عبره المزج بين
ثقافات مختلفة وسارات حضارة وجدت في هذه المدينة ارضا
صالحة قابضت ونوعت .

وهذه المجموعة من الماذن تمثل تطور فن المذنية في عصور
مختلفة . . المذنه الطولوسه بطرازها العرند . ومثلهذا جامع
الحيوسى الفاظمه بطرازها المسبق مع منطوق هذه العمار المنبسط
من الجبل والمذنه الايوسه الراسحه في صريح الصالح نجم
الدين آخر السلاطين الايوسين ثم مجموعه لمشروعات المذنه



مذنه جامع ابن طولون



مذنه جامع الحيوسى بالعلم



مذنه جامع الصالح نجم الدين ايوب

الملوكه فقد وجد الممالك في هذا المعمار السابق مجالا للانداع
والخيال ورسقوا في افق القاهرة مجموعه لا حد لروعها
ونوعها ، وبأني بعد هذا المئذنه العثمانيه بطرازها السبيه
بالسلة .

هي جميعا عالم تشكيل تلاقت فيه العمارة والنحت
والزخرفة اروع لقاء .

بدر الدين أبوغازي



مئذنه جامع الأزهر بالقاهرة



مئذنه جامع الأزهر بالقاهرة



مئذنه جامع مولاي طار بركة القل



البحوث التي ألفت

في الندوة الدولية

التاريخ القاهرة

بقام : د. سعاد ماهر

[illegible]

وفي النقطة الثالثة تكلم عن تاريخ التدريس بالجامع في مصر قديماً بجامع عمرو بن العاص وذكر أسماء المدرسين الأوائل الذين القوا به درساً مثل عبد الله بن عمرو بن العاص وابن لهيعة ، ثم أليث بن سعد كما كان للأمام الشافعي حلقة علمية فيه . ثم تكلم عن جامع ابن طولون الذي شارك جامع عمرو في رفع مشاغل العلم في القرن الثالث الهجري . ويذكر فضيلته أن المدرسة المصرية بدأت في الدراسات الإسلامية والعربية على يد اثنين من كبار الصحابة هما عبد الله بن عمرو بن العاص الذي كان يحدث عن الرسول صلى الله عليه وسلم وبنو

خصصت المدوة الدولية لتاريخ مدينة القاهرة،
الاممي الجلسة الثانية لقراءة ومناقشة البحوث التي
تناولت تاريخ الازهر وتطوره ، وكان عددها ستة،
الاول منها بمصيلة الاستاذ احمد حسن البشري
مدير الجامعة الازهرية وعنوانه : «
وتصوره في تاريخ مصر الحديثة »
«
مظهر من مظاهر نشاطه في
الاسابيع عرس حتى نهايته »
باللغة الفرنسية - واشتات
عنوانه : «
الازهر حاضره بعد احتلاله »
وكذلك
عبد العزيز الشاوي بحثان الاول : «
دور الازهر
في احتفاظ مصر بطابعها العربي ابان الحكم
العثماني » ، والثاني «
صور من دور الازهر في
مقاومة الاحتلال الفرنسي في اواخر القرن الثامن
عشر » ، وللشيخ محمد القاضي بن عاشور بحث
عن : «
صفة الازهر والحياة الفكرية في تونس » ،
ولكنه لم يطبع ولم يوزع على اعضاء الندوة .

وسأحاول تلخيص كل بحث منها على حدة علني
أستطيع أن أعطي صورة واضحة عن البحوث التي
ناقشتها الدوة عن الأزهر الشريف ، الذي يعتبر
بحق المئذنة الأولى في تاريخ القاهرة السياسي
والحضاري .

افتتحت الجلسة الثانية للدوة بقراءة البحث المقدم من فضيلة الأستاذ أحمد حسن الباقوري. وقد قسم الموضوع الى تسع نقاط استهلها بالحدث عن قبر الازهر كاقدم جامعة علمية في

الجامع الأزهر لوجهه
بين صحن الجامع
والزوايا القريبة للمسجد
تلوه منسلة فاسيلى في
الوسط وعلى يسارها
منذ القرنى ذات الراس

في عهد الأمراء وفي عهد الحملة الفرنسية وثورة
عربى وسعد رعلول اننى الأزهر الشريف لانها
في عهد البريطانى .
وكانت صممه الأزهر الجامعية على يدى
شيخ من شيوخه هما الشيخ محمد الأحمدى
والشيخ شمس الكليات الجامعية سنة
١٩٢٠ . وسعد رعلول
حدث علمى في تاريخ الأزهر في العصر الحديث
هو صبور قاتون تطوير الأزهر سنة ١٩٦١ .
وتناول الأب جاك جوميه موضوع : مظهر من
مظاهر نشاط الأزهر في القرن السابع عشر حتى
نهاية القرن التاسع عشر . فبدأ بقوله ان
الدراسات الحديثة أكدت أهمية العقائد الإسلامية ،
وكيف أنها ساهمت في المحافظة على الدين مع
توجيه الفكر نحو اتجاه معين . ثم تسأل : ما هو
دور الأزهر في مجال نشر العقيدة الإسلامية في
نهاية العصر العثماني ؟ ثم أضاف انه يرجو في
أبحاثه عن هذا السؤال أن يوضح جانباً من جوانب
تاريخ مدينة القاهرة . وقال سيادته انه لا فائدة
ترجى من الرجوع الى المصادر الكلاسيكية القديمة
التي جمعها بروكلمان والتي تناول الكثير منها على
مبارك من قبل . هذا بالإضافة الى ما كتبه الشافعية
مثل مخطوط أحمد الحسيني المسمى (بمقدمة
مرشد الأتام لبر أم الامام . كذلك يجب أن لا تغفل
٢٩

اول من قرأ القرآن بمصر في الصحابة . وكانت
أهم مواد الدراسة في تلك الجوامع في ذلك العهد
هي العلوم الشرعية وما يتصل بها من علوم
الجمعة . كما كانت تدرس في الأزهر
وترجمتها لبعض المؤلفات العسقية والم
السريانية الى العربية .
وفي النقطة الرابعة تكلم عن الأزهر في عهد
الأيوبيين . وادرس في الأزهر
الذين حاولوا القضاء على كل مظاهر التشيع .
ولكن الأزهر كجامعة علمية لم يتعرض لشل ما
يعرض له كمسجد وذلك بعد أن حولوا عنه
صلاة الجمعة وخطبتها الى مسجد الحاكم . وكان
على الأزهر في العصر الأيوبي أن يحاول تأكيد
كثافته إزاء المدارس النظامية التي أنشأها
الأيوبيون .

أما سلاطين المماليك فقد عتوا برعاية الأزهر
جامعاً وجامعة ، فالحقوا به المدارس كالمدرسة
الطيطرسية والمدرسة الأقبحارية والمدرسة
الموهرية . وبعتبر العصر المملوكى العصر الذهبي
للأزهر من حيث الانتاج العلمى .

ولعل أبرز رسالة للأزهر في العهد العثماني،
الى جانب رسائله الدنيئة ، هي المحافظة على
اللغة العربية وعلومها ضد التمار التركي الذي
قرضه العثمانيون .

وقد قاد الأزهر الحركات التحررية الكبرى و

تلك القائدة المفيدة التي قام بتسجيلها الشيخ
 أبو الوفاء المراغي مدير المكتبة الازهرية الحالي
 التي حصر فيها ما كتبه علماء الأهر من مخطوط
 ومطبوع ، مع ترجمة مؤلفيها ومكان وتاريخ
 وفاتهم . وقد تبين لسيادته أن بروكلمان لم يذكر
 الكثير منهم .

ويعتبر - على حد قوله - ان المؤرخ الجبرتي ذو فائدة عظيمة بالنسبة لهذا الموضوع ، اذ انه عني عناية خاصة بالكتابة عن الشخصيات الازهرية البارزة ، سواء تلك التي عاصرها والده او التي التقى بها هو شخصيا -

وقيل أن يتناول سيادته الأشخاص الذين
عملوا في حق العقائد ذكر بعضا من تولدوا
التدريس بالازهر وتناول طرفا من حياتهم
الخاصة والعامة .

وفد نوه الأب جوميه بنقطة لها قيمتها وهي أن
أساتذة الأزهر كانوا ينزلون انزالا تاما فرة
قيامهم بمؤلفاتهم العلمية والدينية . وذكر منهم
على سبيل المثال :

تردد الباقون من الاستقامة على منازلهم

محمد بن الجوهري الصفي
بوضع مؤلفات في التوحيد . كما
بعض المسائل المتعلقة بالحج والصوم وما إليها .

ويقول سيادته ان هناك مؤثرين هامين انرا
فى المجتمع الازهرى ، الأول هو ارتحال الأزهريين
لتأدية فريضة الحج والثانى الصوفية .

ثم يتكلم عن المؤلفات العقائدية التي استعملت في ذلك العصر فيقول انه يمكن تكوين فكرة كاملة عنها اذا استعرضنا القوائم الثلاث الآتية.

القائمة الأولى : وهي الواردة في المقدمة التاريخية للشيخ أحمد الجوهري وتشمل أسماء المدرسين الذين تلقى الشيخ أحمد العلم على أيديهم والدروس التي تلقاها عنهم . وقد أورد هذه القائمة الجبرتي من مخطوط بخط يد الجوهري . وبذلك استطعنا الحصول على تفسيرات للعقيدة السنوسية الكبرى ، والسنوسية الصغرى وعقيدة النسفي ، وعقيدة سعد التي تنسب إلى سيده الدين التفتازاني والجوهرة لعبد السلام اللقاني القائمة الثانية : وتشمل الدراسات التي قام

بها حسن الجبرتي والد المؤرخ العظيم كما تشتمل على مبحث في سيرة الكبرى ثم مباحث (الاسم الرسمي للسوسية الصغرى) كما درس تعليق القسطلاني على السوسية الصغرى . كذلك تشتمل القائمة على نص المواقف التي تبرز كلام (عبده داوود الابي) وأخيرا نجد المقاصد لسعد (مقاصد الطالبين في أصول الدين للثقاتراني) .

والقائمة الثالثة : تشمل الدراسات التي قام بها الشيخ أحمد الدمنهوري وهو الذي أعطى الجبرتي تلك المعلومات .

و جسم سرمدہ الکلام عن دلت اعوانہ ایلات
دعوله انها اتلفت جميعها على ابرار و معه
سبعة كبرى و صغرى و انجوز به لاد اهرم
اللقاني مع شرح لابنه عبد السلام ثم العقائد
الأسعفة .

و تناول سيادته دور علماء الأزهر في مجال
خلال فترة الاحتلال العثماني من خلال
عائد على المذهب المالكي بالأزهر

عشر ودراسته لبعض المنظومات
في القرن الثامن عشر
اسم عشر عرف الأثر نشاطا آخر
بني تراهم محمد اساحوري

كما كان لظهور الإمام محمد عبده وحركة الإصلاح
أثر واضح في تطور أدب العقائد بينما بقيت
الشروح والتفسيرات للعقائد كما هي .

ويختتم سيادته البحث قائلا ، انه بعد وصفا
نشاط الأزهر في مجال العقيدة في إطاره العام
وأشارتنا الى أهم الخلافات في هذا الموضوع ، بقي
علينا أن نلقي نظرة على الخلافات نفسها ، وبعد أن
أعطى أمثلة من ثلث عشرة منظومة عقائدية تنتهي
في المحوطة الآتية ، انه اذا كانت حركة الإصلاح
في مصر قد أدت الى تفتت القوى التي أظهرتها
الشروح والتفسيرات ، الا انها لم تهمل النصوص
نفسها ، كما انه يجب ألا يكون اسباب بعض
اعتقنا سببا في أن ننسى أهمية النصوص

ويقدم الدكتور محمد البهي ببحث موضوعه :
الأزهر في حاضره بعد أمسه وبمبدأ سيادته الحديث

لوحة تبين واجهة المدرسة
الطبرسية التي تقع على
يمين الباب الغربي .
استُلب سنة ٧١٩ هـ في
عهد السلطان الناصر محمد
من قلاوون على يد نقيب
الجيش الأمير علاء الدين
طبرس

عن الأزهر في أمسه فيقول :

ان الأزهر قام كمسجد للمعائير الدينية في
عهد الفاطميين ثم أضاف إلى رسالة الدين
نؤدى فيه رسالة الدعوة الإسلامية .
للتعليم الإسلامي ، وعنى في أول
الثانية باتجاه المذهب الشافعي .
العموم ، ثم تحول في عهد المماليك إلى
أحد مذاهب الشافعية .
باعتبار القاهرة مركزا للإتجاه السني في العالم
الإسلامي . وقد حُبست عليه مصادر الثروة
للإتفاق على شئون التعليم فيه ليظل بعيدا عن
الإنفاق الحكومي وعن سياسة الحكومة القائمة .
وبذلك يكون مستقلا ويكون علمائه مستقلين فيما
يعلمونه من رأى ينسبونه للإسلام .

وبلغ تمسك علماء الأزهر بأقوال وكتابات
السابقين والحرس عليها لدرجة أصبحوا معها
يناثون (الاجتهاد) والاستقلال في الرأى عن
السابقين . وإذا كان علماء الأزهر في أمسه
الترموا رأى الكتب التقليدية ، فإنهم كانوا أحرارا
فيما يقولون باسم الإسلام في تكييف الأحداث
والحكم عليها وفي تصرفات المسلمين حكاما
ومحكومين على السواء . كما كان للأزهر ورجاله
تلك المواقف المشهورة في وجه الفزاة الفرنسيين
وضد الاحتلال البريطاني .

ثم يتكلم عن الأزهر في حاضره ، فيقول ان

الاحتلال البريطاني ركز سياسته في التعليم في
أمرين

١ - ازدواج التعليم ، بعد فصل التعليم لى
الدولة .

٢ - إزاحة الأزهر من موقعه ، حصعه
في مكان آخر ، بعدد من حجب اسمه
في المدارس ، فبدأ
يضمحل استغلال الأزهر وتغوى تبصيته
للحكومة ولتوجيهها السياسي .

ومد تكوّن الأحزاب السياسية بعد استقلال
مصر ، أخذت السياسة الحزبية تقرب من الأزهر
كى تستغل سمعته العالمية ومكانته ، وأضحى علماء
الأزهر وطلابه يتبعون سياسة القصر أو سياسة
الأحزاب الأخرى . وقوانين (إصلاح الأزهر)
التي صدرت قبل ثورة سنة ١٩٥٢ كانت لأغواء
الأزهريين أغراء سياسيا ، وكلمة من الزمن على
(التبعية) للتوجيه الحكومي للأزهر استقر في
نموس الأزهريين أن رسالتهم هي أن يحققوا
الحصول على مرتباتها ، وبانتهاء النصف الأول من
القرن العشرين أصبح الأزهر معهد تخريج
لثوافات المختلفة وليس مركزا للفتوى والرأى .

ويقول سيادته عن قانون الأزهر الذى صدر

عن : (صور من دور الأزهر في مقاومة الاحتلال
الفرنسي في أواخر القرن الثامن عشر) :

لقد مهد سيادته للبحث بمقدمة ذكر فيها
أن الحملة الفرنسية تعتبر أول عزو عسكري أوروبي
لبلد عربي إسلامي في العصر الحديث .

ثم تناول سياسة بوناپرت الإسلامية بقلا عن
مذكراته (بوناپرت) التي أملاها في مفسده
بجزيرة سانت هيلانة ، ثم عاد فخلص هذه
السياسة في النقاط الآتية :

١ - اتاكيد في أذهان المصريين على أن
الفرنسيين مسلمون مخلصون

٢ - التقرب إلى مشايخ الأزهر

٣ - أنه جاء لينقذ المصريين من ظلم المماليك

٤ - الاحتفاظ بعلاقات ودية مع السلطان
العثماني

٥ - هدد بإحراق كل قرية أو مدينة تقاوم
الفرنسيين

وتكلم بعد ذلك عن موقف الشعب من سياسة
الفرنسيين

في البداية كانت
أول لحظة بقيادة عمر مكرم
في مصر ، فلما انتصر الفرنسيون في معركة
ميناه أتر عمر مكرم النفي الاختياري على التعاون
مع الفرنسيين .

كذلك لم يدعن المشايخ أعضاء الديوان
بارتداء طيلسان الجمهورية الفرنسية مما أثار
غضب بوناپرت عليهم . ثم يختتم هذه النقطة بأن
الشعب المصري في مجموعه يشكل مجتمعا ديسا
اسلاميا ينظر الى الدولة العثمانية على أنها
دولة الاسلام الكبرى ، وعلى ذلك لم تكن العاطفة
القومية هي التي أممت على المصريين مقاومة
الفرنسيين بل العاطفة الدينية ، وعلى أحسن
الفروض كانت العاطفتان الدينية والقومية
تتعاونان

ثم يتكلم عن دور الأزهر في المقاومة ، فذكر
أن الأزهر هو الذي قاد القاهرة في الثورة الأولى
على الفرنسيين ، وذلك عن طريق تعبئة الشعور

(البقية في ٤١)

لوحة بين في المدرسة الحرة
ل الطرف الشمالي الشرقي
جوهرة اللؤلؤ خاتمة الأثر والجمال

سنة ١٩٦١ هو محاولة للإصلاح من محاولات
الإصلاح التي تمت قبلها في سنة ١٩٣٥ وفي
سنة ١٩٣٦ والخطوات الجديدة في هذا التطوير
هي الحاق أنواع من التعليم في المرحلة العالية من
مراحل الدراسة فيه يمثلها عدد من الكليات
العلمية والفنية . وقد أضاف هذا القانون بعض
المقررات من مواد أخرى غير المواد العربية
والاسلامية في مناهج التعليم في المراحل الثلاث ،
استهدف بها تقريب طالب الأزهر من طالب وز
التربية ولكن يخشى من هذا أن يحمل قانون
تطوير الأزهر طلاب المرحلة الابتدائية فيه على أن
ينتقلوا منها الى مرحلة الإعدادي والثانوي في
مدارس وزارة التربية وهو بجزء ذلك . وعندئذ
يكون قانون تطوير الأزهر عاملا في قصر التعليم
الأزهري على مرحلة التعليم الابتدائي وحده .

وتقدم الاستاذ عبد العزيز محمد الشناوي
أستاذ كرمي التاريخ الحديث بجامعة الأزهر ببحث

القاهرة في رؤى الفن التشكيلي

القاهرة شكل وروح .. مدينة لاجد لروحها ..
ما استطاع شيء أن يطمس طابعها وجلالها ..
مدينة تهر بما حبتها به الطبيعة من موقع ..
وما أضفاء عليها التاريخ من عراقة وما ارتفع على
ارضها من آيات الفنون ..

يكم إفاض الكتاب في تعداد فضائلها .. وفي
الادب العربي والاحسي وكعب الرحيل تتلألا
مآذنها ونجلو عمانرها وتشرق الوانها العديدة
وتلوح خططا نابضة بالحياة ..

انعكست مساهمات من روحها في الادب كما
انعكست ملامح من صورها في الفنون منذ قدم
فنانو الحملة الفرنسية فارادوا من خلال وصف
مصر ان يكشفوا وجه هذا البلد الاسطوري ..
صوروا احياء وسكانه وببونه وجماماته الرائعة
التي شاد بجمالها ان ظهرو وعدها من محاسن
مصر والقاهرة ..

وبعد هذا الحظ الممتد من الفنانين المستشرقين
الذين حفلت لوحاتهم بصور القاهرة انتقل الامر
الى جيل الفنانين المصريين الاول فجاوبوا احياءها
القديمة واقاموا عند ضفاف نيلها ومضوا
يكتشفون ضواحيها ويسجلون في لوحاتهم روحها
المماهى ونبضها الخاص ..

كما تتبدى لنا ملامح القاهرة الازهر في «ايام»
طه حسين ، وكما يعيش حي الجمالية في ادب
نجيب محفوظ وكما تنبض نروانية حي السيدة
في قنديل أم هاشم وتتمثل حياة الحواري القاهرية
في خيوط المتكبوت فان القاهرة بأجوانها وطابعها
ومعاليها تعيش في الفن التشكيل .. مشاهد أحيائها



أما الروح القاهري فيعبر أعمال كثير من فنانيه
لا تقطع النفس بنفسه ، حتى الحياة الأناخلية
المشحونة بأسرار الأحاجي والأساطير نراها عند
حامد ندا وعبد الهادي الجزار وعفت ناجي .

والملمح القاهري يتبدى في التعت كما يظهر
في التصوير ، هي مدينة موحية ، لا حد لسحرها
والهامها يستعصى على الحصر الفنانون الذين هاموا
بها وحفظوا في أعمالهم طابعها وسماتها ...

فليكن هذا القليل إشارة الى ما في أعماق هذه
المدينة من سحر لم يكتشف .

القديمة وضواحيها في فن يوسف كامل وعلى
الأعوانى وهدايت ... ، وروحها الاسلامي في بعض
لوحات محمود سعيد ... ، ومواكب المحفل ومناظر
القلعة والتيل في اعمال ناجي ، والمقاهي الشعبية
والكنائس والحمامات والأسواق في فن راغب عياد
ومرجريت نخله ، والطابع البلدي عند جمال السجيني
وسيد عبد الرسول وجمال محمود وسعد كامل ،
واغربة المدينة وبيوتها وسكانها واعادها عند
جاذبية سري ونجدة حليم وانجي افلاطون ويوسف
سيدة وزينب عبد الحمد . وجلال القطم وعطاء
الطبيعة حول القاهرة في اعمال مجموعة حساند
سعيد .

بدر الدين أبوغازي







الزكية



مقام



ARCHIVE

مسجد شان ماسا سولای



دای النمر





(بقية إبحاث الأزهر المنشورة ص ٢٨)

الدينى ضد الفرنسيين والحضر على الثورة عن طريق الدعوة لها خمس مرات فى ليوم علنا من فوق المآذن .

أما عن دور أعضاء الديوان من مشايخ الأزهر فلم يسهموا إسهاما إيجابيا فى التحريض على الثورة واكتفوا بالإسهام السلبي . اختار الشعب الشيخ محمد السادات أحد شيوخ الأزهر لثلى قيادة الثورة ، وتوالى وقائع الثورة بسرعة مذهبة وأحرجت مركز الفرنسيين ، ولكن بوابرت استطاع بحكته العسكرية الانقلاب على الثوار فى معظم أحياء القاهرة ولم يبق غير حى الأزهر . لذلك ركز الفرنسيون كل قوتهم للهجوم على الأزهر بالمدافع والقنايل حتى ترعزت أركان الجامع وأوشك أن يتداعى من شدة الضرب وهدمت الدور المحيطة وانتهى الأمر باحتلال الأزهر وفى اليوم التالى اعتزل الجيش الفرنسى الأزهر علنا من علماء الأزهر وجوكموا وقسوا حرا .

١٧٩٧ والثانية سنة ١٨٠٤
الحركات التى نشبت فى مصر

عرصها إنهاء الحكم الفرنسى والعودة بمصر إلى حكم السلطان ، وبعبارة أخرى ، إعادة الممالك لحكم مصر تحت السيادة العثمانية .

وفى بحث آخر للدكتور عبد العزيز محمد الشناوى هو : دور الأزهر فى احتياط مصر بطابعها العربى إبان الحكم العثماني ذكر أن الحكم العثماني لمصر انطوى على عيوب كثيرة ولكنه لم يحل من مزايا ، وقد استطاع الشعب المصرى من هذه المزايا ومن بعض تلك الديوب ، واحتفظ إبان الحكم العثماني بصيغة الحرية ويحده لاهية واستمسك بمقوماته الأساسية اللغة والثقافة والتقاليد والمعادات وهى أهم العوامل فى المحافظة على القومية العربية . ثم تناول العوامل الهامة التى ساعدت المصريين على الاحتفاظ بقوميتهم بالشرح والتفصيل نوجزها قسما إلى :

أولا - تقوقع العنصر اجتماعيا وجنسيا فلم يتمجوا مع المصريين ولم يصهرؤا اليهم .

ثانيا - طبيعة الحكم العثماني نفسه فقد كان حكما عبر مباشر لم يتصل فيه العثمانيون بالمصريين اتصالا مباشرا .

ثالثا - لم يحاول العثمانيون ربط الشعب المصرى بالحضارة العثمانية .
الاسلامية لأنه لم يكن لهم ثراث حضارى معوق .

رابعا - ظل الأزهر يحافظ على دوائر الحضارة العربية وهى فوق كثيرا مستوى حضارة .
وهذه الحقيقة أكدها أعلام الفكر فى مصر عرب .

خامسا - لم تقطع الصلات بين مصر وشعبانها العربيات، فلم تكن هناك حدود فاصلة بحول دون أن يعد إليها العربى ويعيش فيها .
وهذه البحوث مع تقديري لها قليلة بالنسبة لما تلازم الشرف من تاريخ حاض مجيد ، فهو لا يزال والراوى الوحيد الذى يستطيع أن يفسر قصة القاهرة سياسيا وثقافيا واجتماعيا وثقافيا .

جمع إلى احتفاظ الكثير من المصريين عنه إلى عيده الألف سنة



لوحة من الرخام نقش عليها الرسوم الذى أصدره الملك الظاهر برقوق بن من بموت من مجسورى الأزهر من غير وارث شرعى وترك تركة أول نسوبه الى مجاورى الجامع وهو مثبت عند الباب الغربى الكبير



في الندوة الدولية لتاريخ القاهرة

بقلم: د. جمال محرز

خلفت الفنون والأثار مجلسي من جلسات الدوه . ولا عرو فان المسائي الاثري والمسابح
الغنية هي الدليل المادي الذي يدل على حالة هذه الفنون ومقدار ما اصابها من تقدم وازدهار او
نهبور وانحطاط . والساعات على ما يراها من اثار الجدران والارضيات والفسيفساء والفسيفساء
في اوتاب عصورها المختلفة .

وقد تناولت البحوث التي قُدمت في تاريخ العاصمة الإسلامية للبلاد وعمارتها وصناعاتها الفنية المختلفة ، وقد رأينا أن أهم ما يميزها هو أنها كانت وما زالت إلى سواول الناحية التاريخية الأثرية ، والثاني لعمارتها التي أصبحت لها مكانة خاصة في نفس الوقت المحافظة على التاريخ الزمني .

وكذلك يتحدث الدكتور جورج سكانلون بحث عنوان «الفسطاط والفاهرة وتنايهما» عن نتائج عاثره عام ١٩٦٤، ١٩٦٥، ١٩٦٦، ١٩٦٨، ويؤكد أن خطط الفسطاط لم تكن حاصصة لأسلوب مخطط بقدر ما هي توزيع مساحات على القبائل، ويشير إلى صعوبة تعيين حدود العواصم الثلاث الأولى التي اتصلت بعضها ببعض بسبب ما تم من أعمال ساقطة المنطقة وما كان يجري من تشجيع مساكن في بعض مناطق الفسطاط، وعدم توحيد المعلومات التاريخية ما هجر من الفسطاط ومقدار ما أعيد تسميته في العصر العاطمي. ويتحدث عن أهمية النتائج التي أدت إليها أعمال الحفر وبخاصة عند اتباع نظام الطبقات، ويضع معايير للتمييز بين مبادئ العصر العاطمي ومبادئ العصور الأخرى للحفرة مراحل استقلال المائتي في العصور المختلفة، فيقارن بين نظام البلاط في الأرصنام وشكل المهورات ونظام الأيونات والصفق الموحدة بها، يشير إلى أهمية الشسوار في تنسيق المراحل

قدم صاحب المقال بحثاً عن منازل الفسطاط بما تكشف عنها حقائق القاهرة وهو يتضمن حديثاً مختصراً عن النشأة العواصم الإسلامية المخلقة وإطلاق اسم مصر الفسطاط على العواصم الثلاث التي اتصلت ببعضها ببعض تمييزاً لها عن القاهرة، ويتحدث عن دهرمار المدينة واضمحلالها ورأى المؤرخين والعلماء فيها .

ثم يحاول الإجابة عما جاء على لسان المؤرخين
واقع ما كشفت عنه أعمال الجبر ، فيصف
منازل القساط ويخلص الى أن هذه المنازل كان
من بينها ما هو من أكثر من طابق ، وأن الأدوار
الارضية بعضها مكي بسكنى وسب
وجود مزرعات حول النافورات في الأدوار العليا
وإستخدام الأخيرة والقباب المنخفضة للتغطية ،
وتلك المسألة الأخيرة كنا نعلم عنها شيئا قبل
الكشف عن أحد منازل القساط المكون من أكثر
من طابق عام ١٩٦٤ .

والقاعات التي تظهر في منازل العسباط
تتكون من الدقاعة والايوان ولدينا من العصر
الفاطمي إحدى القاعات وهي المعروفة باسم قاعة
الدردير ويمكن أن نقول أن نظام القاعة كان
شائع الاستخدام في منازل القاهرة ابتداء من
العصر الفاطمي واستمر حتى منتصف القرن ١٩م
حيث صرف النظر عن نظام المنازل العربية
والعمارة العربية أيضا ، وحلت العمارة الغربية
محلها .

ومما تجدر ملاحظته أن العرب لم يلقوا
إحساسهم بالسعة التي يشعرون بها في الخارج
إلى داخل منازلهم استخدموا العناصر الهندسية
التي نزل على التقسيمات اللانهائية والانسجام غير
المحدود . وكذلك حرصوا على عدم التضحية
بالنسبة الانسانية في سبيل العمارة التذكارية ،
ويمكن أن نعتبر أن السفل كان وسيطا يربط
بين المقياسين الانساني والتذكاري . ولم يفصل
المعمار العربي بين الرسم التكويني والمفهوم
المعماري ، فجدران القاعة مرتفعة تكسر من حدتها
الدعامات أو الأشرطة ، واتخذت المسافة بين هذه
الدعامات مكانا للجلوس ، وأعلىها توحيده
المشربيات ، وحملت أرضيتها أعلى من الدقاعة
أو الأرض المستوية .
المناطق المعتدلة حيث لم تكن القاعة صدى
تعد من المرحلة الأولى نجد في العمارة
أفراد ، هي أحوال الضيق .

وكتب اصحاب القاعة في
مستمدة أساسا من المنور الموجود فوق الدقاعة
وكانت الشبائيك المنخفضة بالقاعة مغطاة دائما
بالمشربية .

وقد استخدمت المشربيات حديثا في العمارة
البرازيلية ولمعالجة شدة الحرارة في الصيف
استخدم المعمار اللقف لتلطيف درجة حرارة الجو
وقد عرف هذا الأسلوب في مصر القديمة في تل
العمارة كما نجده في رسوم طيبة .

وقد وجهت في المنازل الفاطمية عناية أكثر إلى
واجهة قسم الاستقبال المطل على الصحن أكثر مما
وجه إلى الواجهة المطل على الطريقة التي وجهت
إليها العناية في عهد محمد علي .

وقد حدث عدة تطورات في هذا التصميم في
عصور مجيئه ففي العصور الأخيرة نجد ذلك
الجزء المذكور من البنية يحل في سبيل
الاقتصاد والمنفعة واضمححل العنصر الذي يمثل
السماء وهو الذي كان يملا كل الجزء العلوي .

وفي مجال استخدامات جديدة لتصميم القاعة
يرى المهندس الاستاذ حسن فتحي أن استخدام
نظام القاعة يحل كثيرا من المشاكل الاقتصادية
وعبرها ، ويلاحظ أن الحلول التي يلجأ إليها
المهندسون حاليا لبناء مجموعات من المنازل
لحدودي الدخل لا تعتمد على الظروف
التي كانت سارية بحلول اعتنقت في الأصل
في مصر

فلاقطار العربية بعيدة عن كونها دولا صناعية
وبالرغم من رخص المواد المصنعة فإنها تتكلف
أكثر من المواد الطبيعية وليست في متناول
العلايين . ولذلك يجب على المعمار العربي أن ينظر
إلى بديل لها فضلا عن اختلاف الأجواء بيننا وبين
أوروبا .

وقد حلت هذه المشاكل بواسطة أسلاف
المهندسين العرب بناء الحانات والكالات وبالروح
إلى استخدام هذه التصميمات تحي هذه المشاكل
على أساس سليم ومناسب لتقاليدنا وعاداتنا
وجونا .

في عصر حبيب
العثمانية في القاهرة ، ويرى أن هذه الآثار
في العناية الكافية سواء من الدارسين أو
المؤرخين أو الشعب بصفة عامة . ولعل
فيها يعود إلى فترة تعتبر بصفة
العثمانية ، وأنها أقل فخامة وروعة
لكن يجدر بنا أن نقول أنه
و قد أن كاتب هذه الآثار العثمانية موجودة
وحدها في مدينة أخرى لعدت كثيرا ، على أن
الدعوة إلى العناية بها تستند أيضا إلى قيمتها
التاريخية الكبيرة ، إذ أنها توضح ليس فقط
في عصر من تاريخ لامرطوية
التي كانت مصر جزءا منها .

والمثناة في هذا المهد مثال شاذ للقاعدة العامة
التي تقول باتباع استخدام التقاليد المملوكية في
العصر العثماني . فالمثناة العثمانية لها طابعها
الخاص ، وكان أول ظهور لها سنة ١٥٢٨ م عندما
استخدمها خادم سليمان باشا في القلعة ، ومع
ذلك فإن المآذن المملوكية الطابع تظهر أحيانا في
العمارة القاهرة في العصر العثماني .

ولعل المثناة العثمانية لم تكن اقتصادية فقط
ولكنها كانت أكثر حاذية لبناء القاهرة العثمانية
ولعل الولاة العثمانيين أنفسهم هم الذين طلبوا
استخدام المآذن المملوكية عند تشييد المساجد .

اما العمارة المدنية فقد استمرت على انطار
 امولوي مع تطور سطحي في الزخارف ، حتى
 كانت برينها غيبب الكريستيه ممولي اعطاب
 وكذلك المسافرحانه التي يعطب في وحرته
 الداخلية اطابع العثماني وكذلك الحال في
 او كالات والحداث ، وعلينا ان نطير الى انباني
 الدينية وامارس واحد بغاوت والمساجد الاصرحه
 والاسبلة - الكنسيه التي يرجع الى العصر
 العثماني - لسلم مادا يعنى الاحتلال العثماني
 بالنسبه للعمارة . اننا نشاهد فله المباني مما
 أدى الى اصحلال الصناعات المصاحبه لها ، وهو
 اصحلالا ملحوظ من اعرون السادس عشر الى
 الثامن عشر الميلادي . وبصفة عامة فان ميلا
 شديدا للتقاليد القديمة قد ظهر ناستخدام
 العناصر الملوكية واستخدم بجانها السلاط
 العثماني في الزخرفة مثل محراب مسجد التي
 برق ومسجد آني سقر الذي اعتمده ابراهيم
 اعا مستحدثا وسيل كنسب مصطفي سنان
 حلبى واولد . ناشا ويظهر بكميات قليلة على عدد
 من الاسبلة وعلى محراب دو اعزاز بك .

ولما كان العثمانيون قد ورثوا عن الحضارة
 العثمانية طرافها الضخمة وسورها سمجة
 واجهتهم مشكلة عند بناء المساجد
 يوجهون المساجد نحو مكة .
 حلبا البناة المصريون في
 بأساليبهم الخاصة وهي مخصي بهم في المساجد
 جدار القبة سمكا يسمح بالحدس على
 الشوارع أو الطريق من الخارج وحديق الانحاء
 نحو القلعة من الداخل . اما العثمانيون فقد
 فصلوا بناء المساجد في مساحات واسعة حالية
 من الجوانب حتى يتيسر لهم البناء . كما كثر في
 هذا العهد بناء السبيل والكتاب . ولعل ذلك راجع
 الى ناحية اقتصادية وعملية لتحقيق فضيلتهم
 مدحهما الرسول وهما ارواء العطشان وتعليم
 الجاهل القرآن والدين . وقد انار العثمانيه
 اضافات جميلة الى مجموعة آثار المدينة وتستحق
 منا عناية خاصة . ومنها جامع خادم سليمان
 بالقلعة وجامع سليمان بيولاقي ومسجد الملكة
 صفية وغيرها من المساجد . وبدل آثار القرن
 الثامن عشر على وضوح التأثير العثماني اكبر مما
 تدل عليه آثار القرن السادس عشر والسابع عشر
 الرابع من ان العثمانيين في هذا القرن الثامن
 عشر لم يكونوا في الواقع مسيطرين على الحكومة
 في مصر .

ومما لا يخفى ان ابراهيم شيوخ بحثا بعثوا بعض
 ملاحظات على خط البرديات العربية المصرية المكتبة
 فيسذكر ان مصر تعتبر من أهم المراكز القديمة

لنبات البردي وصناعته ومهما انتشر الى كثير من
 البلاد . وقد اتخذت صناعته اشداه الاولى في
 صناعة مواد للكتابة ولو انه عندما انتشر الاسلام
 كتب بحري مود حري قد رحمة عيب . روى
 ومع ذلك فقد استمر في مصر الى أواخر القرن
 الخامس الهجري . ولقد اناحت اخصاص لخنحية
 لمصر ان تحتفظ برتتها بغلب ما اكشف من
 برديات ومع ذلك فان مجموعة البرديات العربية
 المصرية صنيعة في مكانها ومادتها التاريخية نظرا
 لاستخدام الورق في العصر الاسلامي . ويلاحظ
 الكاتب ان البرديات المصرية الاسلامية يكثر فيها
 التلاحق وداخل الكلمات ولا تكاد الحروف تتميز
 الا فيما هو متصل بدواوين الولاة او توثيق
 سكيك . يفس سجلات مدنيه ومراسلات .
 اما عن تطور الكتابة على البردي من حيث هندسة
 الخط فقد لاحظ المهتمون
 . عربة اتجاهين متعاصرين ميكربن سارا
 في وقت واحد : وهما الخط المبسوط والخط
 المقصور . الكوفي والنسخي . ويذكر الكاتب
 . يفسر نشأة الخطين ان اما العباس احمد
 . يفسر قد ذكر ان الكثير من الكتاب يزعمون
 . يفسر انما على بن مقله هو اول من ابتدع الخط
 . وهو علق . اذ يوجد في الكتب بخط
 . فانين ما ليس على صورة الكوفي
 . لبحر هذه الاوضاع المستقرة .
 . ان الخط الكوفي ذا الزوايا
 . "لقد اناخه في كتابة المصحف وفي
 المؤسسات العامة والفنون العربية ، اما خط
 النسخ فهو في رايه خط شعبي اذ انه مستعمل
 . في كتابة المصحف .
 والعقود المختلفة . ويرى ان خطاطي القرن الخامس
 الهجري قد عمدوا الى خط النسخ فكتبوه بأساليب
 الكوفي العامة وميثوه لمزاحمته في المؤسسات
 والمصاحف والفنون العربية .
 ويرى الكاتب انه في الوقت الذي كانت
 المخطوطات العلمية يتولى امرها ناسخ متمكن او
 عالم مدقق او طالب علم نجد البردية أكثر ارتباطا
 بالعامه ، ويتمسكها بالارتجال والعفوية . وقد
 دلت على كلامه هذا بوصف البردية المعروفة ببردية
 اخميم بحروفها اللينة المنطوية والتي ترجع
 اهميتها أيضا الى انها سميت بحركة اصلاح الكتابة
 على يد ابي الاسود الدؤلي ثم المجاج ثم الخليل
 بن احمد . لا احد فيها أثر لاصحاب
 والشكل .

ويرى الكاتب أيضا ان الاصلاحات والتطورات
 التي حدثت في الكتابة في العصر الاسلامي الاول
 كان لها انعكاسها على الكتابات المعاصرة والتالية

حزافو الدولة العباسية نوعا جديدا من الطلاء، عرف باسم البريق المعدني . اقبل على اقتنائه المسلمون ، واشترى حمدا الموع أيضا في عهد العاطميين حيث بدأت تظهر عليه الرسوم الأدمية ذات المسحة العاطمية .

أما عن الحجر على الخشب الذي يرفع فيه الإقباط فقد استمر في العهد الإسلامي مع إصابه شريط من الكتابة العربية ، ومع تطور الرسوم الحيوانية والأدعية في أوائل العهد العباسي واحتفاظها في نهايته إذ حلت محلها الزخارف الهندسية .

كذلك نرى ان الاسلوب المتأثر بالقرن العبقى لم يقتصر ظهوره على العتشب فحسب بل وجد كذلك على العجاج والرخام والحجر والرسوم الحائطية المائية ، مما يؤكد أن العصر الفاطمى كان عصر احياء للفن القبطى اى الفن الوطنى .

ويعرض الدكتور جرويه شريحة ملونة لاحدى الصور قرية الشبه برسوم سامرا والصخر الفاطمى ويبدو فيها تأثير الفنون القديمة (التي سطر) في رسم العينين مثلا . واعتبر هذا نموذج مع بعض قطع اخرى لم يعرضها اقدم من العصر الفاطمى .

محمد مصطفى عن مخطوطة
م من مولى أنعم والفروسيه
بيت الحرثه - وأوراقها
لحمدها احدهه . وك

مكتبي من ١٦ رسماً مختلفاً عن الجيوش ،
وكذلك ١٦ صورة موية يديعه بوضوح سائر
موسمى الكتاب . ومؤلف المخطوط غير
معروف ، وكذلك عنوان كتابه . وقد ثبت لدينا
أن هذا المخطوط كتب في مصر كما تم فيها ترويه
وتوضيح موضوعاته بالصور الملونة وذلك في أواخر
عصر المماليك الخركسة .

ولهذا المخطوط أهمية خاصة في دراسة التدريبات العسكرية للمليك في مصر ، وأنواع الملابس التي كانوا يرتدونها ، ورسوم الأسلحة وأوصافها وطرق استعمالها ، وأنواع الخيول ووسائل تعليمها ، وتقسيم الجيوش وتنظيمها ، والحالة العسكرية التي كانت عليها دولة المماليك الحركية من فتح العمري إلى حرب انه .
يتمثل السيد - - رحمه والمصنفات القليلة والنوعية التي وردت في كتب المؤرخين الذين عاشوا الفترة الأخيرة من حكم مملكتهم العسكرية وكتبوا عنها ، وأترح الدكتور محمد مصطفى - بمناسبة انعقاد الندوة الدولية لتعداد

وبخاصة البردي ، فالطبقة المحافظة من كتاب المصاحف استمرت تكتبه مجرداً من التشكيل والأعجام الى منتصف القرن الخامس بقرىبا . اما طريقة أبى الاسود فى الشكل فكانت أوفر حثا فى الانتشار حتى من طريقة الخليل وكتبت عليها المصاحف حتى أواسط القرن الخامس الهجرى

وتحدث الباحث عن وثيقة مصرية هامة كتبت
على البردي عام ٩١ هـ أيام الخليفة الفاطمي
عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله
معاذ الله. الوثيقة من مسكنه بمصر في حراف
المتشابهة تمت خارج العراق ، حيث لم تكن طريقة
الحجاج قد سنحت بعد ، وتسمى هذه الوثيقة
بالتراجم التمييز بين الفناء المتطرفة والألف المقصورة
وبالتمييز بين الدال والذال ويظهر مرقى شكلي
في الكاف المتدلة والمتوسطة والمتطرفة .

وقدمت الدكتورة سعاد ماهر بحثاً عن أثر
الفنون التشكيلية الوطنية ابداعية على فن العاصم
في العصر الفاطمي ، وهي ترى ان الفن التشكيلي
في العصر الاسلامي اخذ قوامه الروحي من شبه
للجزيرة العربية اما قوامه المادي فقد تم صوغه في
ما كان آخرى كان للفن فيها قوة وحياة ، وترى
ان جوهر الفنون الاسلامية هو الخط العربي
وان الفن الاسلامي كان عليه صبغة
واضحة عندما كانت دمشق ، ثم القاهرة ،
وما في عصر العباسي قد برز الى
منعندما انتقل مركز الخلافة الى البغداد .

في مصر، حيث كان يقيم في القاهرة، فتمكن من التعرف على بعض الشخصيات المهمة في مصر، وكان له دور في إنشاء بعض المؤسسات الخيرية والتعليمية. وقد كان له دور في إنشاء بعض المؤسسات الخيرية والتعليمية. وقد كان له دور في إنشاء بعض المؤسسات الخيرية والتعليمية.

وانتقدت الباحثة بعد ذلك الى السجلات عن الخوف وذكرت ان الخوف المصري لم يصل في التقدم الفتي الى ماوصلت اليه بلاد ما بين النهرين، استمر الحال على هذا الشأن الى أن اكتشف

وما جلبته معها من هدايا التسييج وعرض شريحة
بصدريه نحاس عليها صورة سلطان جالس ويحف
به كبار رجال البلاد على يمينه حامل القوس
ويليه حامل الفواء (الدوا دار) وعلى يساره
حامل السيف (السلحدار) والسهمي (الشراپ
دار) يحمل ضرسا . وعلى هذا النمط توضع
الصناع (عمل ابن الرين) . وهذه المنح معاره
من متحف اللوفر تعرض الآن الاسلامي بمساحته
عيد الفاعره الانعى وأشار الى وجهه الشبه بين
رسوم الأشدحس وملابسهم وبين الرسوم
القوليه . لما أشار الى بعض انواع الحرف المصنوع
المثارة بأغرف الايرامى ، ولا سيما النوع المسمى
(تقليد سلطانباد) ذو الزخارف البارزة فنبلا
بحث الطلاب . وأشار الى أن بعض القطع من هذه
المجموعه المصرية لا بد وأن يكون صنع تقليدا
لحزف الذى كشف عنه فى حفائر مدينه (سراى)
على نهر الفولجا وكانت عاصمة مغول القفجاق .
والى العلاقات الطيبة والمجاعة التى كانت
بين سلاطين مغول القفجاق وسلاطين المايك
والا . ناصر محمد بن قلاوون ، وأن هذه
المنح قد تروى بشأ عنها تأثر بعض أنواع
الزخارف فى الفن العربى من هذا النوع

وتناول البحث الذي قدمه الاستاذ أبو الفرج
العش عرضاً لأنواع النقود التي ظهرت في العهد
الاسلامي في مصر منذ نشأة القسطنطين الى نهاية
العهد العثماني .

وقال ان هذه العملة كانت تحيل اسم مصر
بمعناها الكبير الذي كان يعنى العسـطاط أو
العسكر أو القطنع أو القاهرة . وقد استدل على
ذلك بأن كلمة « مصر » وردت على أقدم النقود
وهو فلس من عصر مروان الثانى آخر الخلفاء
الأمويين وقد ضرب عليه « والى مصر عبد الملك
ابن مروان اللخمي سنة ١٣٢ هـ » ومع ذلك فقد
لاحظ الكاتب أن أسماء بعض المدن مثل الإسكندرية
والعسـطاط والقبوم كانت تذكر مع كلمة مصر في
العهد الأموي .

أما في العهد العباسي فقد ورد اسمهم مصر
وحدما للدلالة على المصركله وكانت النقود الأولى
التي ظهرت بهذا الشكل سنة ١٣٣ هـ . ومع

وبصفة خاصة في صناعة الخزف والخشب المطعم
العلاج والنحاس المكعب بالعصمة والذهب
والأسعة بحرية، الكس مقعر، معب
أما عصر الناصر محمد بالنشاط المعماري في
القاهرة وقد شجع الناصر الصنائع الوطنية
والإحسان على السواء، تعرف بعضهم من
تونس على
الناصر الزخرفية التي كانت تزين هذه
الصناعات مثل العناصر النائية وزهرة الوتس
المناطق التي تضم طوبوا ونقوشا كتبية.

أما الأستاذ عبد الرؤوف على يوسف فقدم بحثاً عن الزجاج المصري تحدث فيه عن دوريين صغيرين محفوظين بمتحف الفن الإسلامي وعليهما نقش بالخط الكوفي وهما مثلاً لمجموعة مشابهة من الدواقر محفوظة بمجموعات أخرى.

وينافس العراءات المختلفة لهذه المصووص
ويستهى الى أن هذه المجموعة من دوايق الشراب
تحمل اسم أحد أمراء الدولة الطولونية في مصر
وهو الأمير ربيعة بن أحمد بن طولون الذي كان
يحيا حياة الشرف والقيم حتى كانت ثورته على
ابنه الحارث بن حجازية وعقبه في مصر

ويعمل ان دورى متحف الفن الاسلامى
 من قبل
 من قبل
 من قبل
 من قبل

وتحدث الاستاذ بازيل جبري عن كروبي
عديدة هذويح ذات الخرافات الحيوانية
... به ورسوم الطيور المنفذة بأسلوب القطع
ونصب الى سوريا اكثر من نسبتها الى مصر .
ولا يرجح نسبتها الى بولندية او الى بلد اوروبي
كما كان قد افترض في بعض المنشورات عن هذا
النوع من الاواني الزجاجية .

وعرض شريحة ملونة لأحد هذه الكؤوس
المحفظة بالمتحف الملكي، Rijks Museum

بإسترداد ، ليؤتته رسم نسر نافر حناحيه
والجانب الآخر لكأس عليه شكل أسد . وقد
عرضت هذه النحتة في (معرض ٥ آلاف سنة
من الفن المصري) الذي طاف بأوروبا سنة ١٩٦١

أما الدكتور ميتشيل روجرز فقد تكلم عن التأثيرات الأيرانية على بعض أنواع التحف المصرية في العصر المملوكي ، فتمتاز الزخارف على قطع السيف ، وأشار إلى مذكرته المراجع عن السفارات الإيرانية التي جاءت لمصر في العصر المملوكي

اسم ولاية مصر ، وقد بين في عرصه مكان عرض كل قطعة ذكرها -

وتساولت هذه انقائمة الدنانير الطولونية والاختشيدية .

وبحثت عن الدراهم وذكر ان أول درهم عباسي ضرب عام ١٨٠ هـ وأورد قائمة بها تناولت العصر الطولوني والاختشيدى أيضا . كما عرّض لملوس النحاسية من العهد العباسى والطولونى والاختشيدى ، أما عن النقود العاطمية المصروية في مصر فقد أوردتها بالحديث مبينا ان أكثرها كان من الذهب وأن الدراهم كانت نادرة والملوس اندر ، وذكر أن النقود العاطمية المبكرة المصروية في مصر تتميز بأنها تحمل اسم الشهر في تاريخ الضرب ، ثم أورد فوائمه لكل نوع من أنواع العملة العاطمية مصنفة حسب الاسم الذى ضربت به « مصر » أو « المسرية » القاهرة . ثم القاهرة المحروسة مع ذكر بعضها .

وعرض النقود الزنكية والايبوية

بعضها وبعضها نحاسية .

وذكر ان اسم مصر قد ذكر ان اسم القاهرة وذكر ان ليس اسم القاهرة المعروفة في ذلك العهد في مصر .

وبعد فهدا عرض لما قدم من آراء ودراسات الفنون والآثار المصرية في هذه الحقبة تذكراها من تعليق وبعضها يحتاج الى مناقشة ما ورد فيه من آراء .

ذلك فقد ظهر اسم فسطاط مصر على درهم عباسى ضرب سنة ٢٠٤ هـ وكذلك ظهرت كلمة المضرب في أسفل الكتابة الوسطى من الوجه على الدينار العباسى بالإضافة الى (مصر) وذلك عامى ٢٠٣ هـ - ٢٠٤ هـ ومن الغريب ان اسم القطائع لم يرد أبدا على النقود الطولونية .

وفي العهد الفاطمى لم يظهر اسم « القاهرة المحروسة » على النقود الا سنة ٣٩٤ هـ ومع أن مدينة القاهرة أُنشئت سنة ٣٥٨ هـ ولكنها ظهرت على نقود المالك البحرية .

غير أن اسم « المعرية » ظهر على الدنانير سنة ٣٥٦ هـ و ٣٦٢ هـ و ٤٧١ هـ و ٥٦٤ هـ وعلى درهم فاطمى واحد حتى سنة ٤٧٠ هـ كما ظهر « المعزية » القاهرة ، على دنانير ضربت ما بين عامى ٥٠٨ - ٥٦٦ هـ . وفي العهد الايوبي حملت النقود اسم « القاهرة » منذ أول سكها سنة ٥٧٠ هـ .

ثم تعرض الكاتب بعد ذلك للحديث عن النقود الاموية المصروية في مصر . وذكر ان الميثاق الاموى لم يحمل اسم مدينة المضرب في مصر العربى بينما حملت الدراهم الاموية اسم « مصر » مكان الضرب ما عدا درهم واحد . الاموية فقد ضرب بعضها باسم « مصر » الخراج في مصر بين ١١٦ - ١١٧ هـ . ولا تحمل كلمة مصر او الفسطاط .

ثم عرض الكاتب قوائم بوصف الملوس التى ظهرت في العهد الاموى . وأورد قائمة بالدنانير التى ضربت في مصر في العصر العباسى وذكر ان قسمها يرجع الى سنة ١٩٩ هـ ، وأن منها ما يحمل





حركة التحول في بناء المجتمع القاهري

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

• بقلم د. أحمد عزت عبد الكريم

الجديد والتغيير في مصر قد بدأت ابان الحملة
عربية بقيادة نابليون بونابرت على مصر
(١٧٩٨ - ١٨٠١) ، وغالى أثر مهم في هذا
الرأى ، حتى راحوا يصورون أن جيل الثورة
العربية الذى حطم مجتمع ماعيل الثورة في
الوقت نفسه ، لا فلاح وسند
كثيرة ليعم عنه مجتمع الحرية والأخاء
والعدالة الذى يدعى له أن يحطم ما قبل
فيه : مصر ، تجمع الاقطاع العثماني والملوكي
والدين والمتصوفة ، ليقوم على
الدين ، أما تسوده علاقات اجتماعية
تذكر في هذا المجال ما رددته
الحملة العربية على مصر قد
حرب المصريين من اقيود التي كانوا يخصمون
لها ، وكان تحرير المرأة المصرية في مقدمة
لا حارات التي استطاعوا تحقيقها ، مستدلا على
ذلك في بعض ما رواه المؤرخ المصري عبد الرحمن
الخيرى من احداث تلك السنوات ووقائعها ،
ومفسرا بعض العبارات التى وردت على لسان ذلك
المؤرخ الكبير ، ومنها عبارة : « وكان لهم اى
للعربيين - رغبة في مطلق الإنشئ » والعبارة
في معناها الواضح أبعد ما تكون عن اطلاق حرية
للمرأة أو شيء من هذا .

وشبيه بهذا ما فسر به ابناء بعض المواوين
في مصر على أيام الفرنسيين فعمل ان الديوان
الكبير بمثابة البرلمان ، والديوان الصغير بمثابة
المجلس ، « ... » - « ... » - هم أول من
أقاموا في مصر الحكومة الدستورية الحديثة .
والأمر يحتاج هنا - دون شك - الى جهد كبير -
حتى نقدر كيف أن بونابرت - وهو الذى عطل

عاش المجتمع القاهري عدة قرون من تاريخه
الطويل وهو يخضع لطروف معينة أملت - بصفة
عامة - طبيعة الحكم العالم في مصر ، وعلاقات
البلاد الخارجية والعلاقات الاجتماعية التى
قامت بين الطوائف والطبقات المختلفة من سكان
البلاد .

والواقع ان المجتمع القاهري - في هذه
التاحية - إنما كان صورة للمجتمع المصري بصفة
عامة ، وإن كان من المسلم به أن مجتمع
القاهرة - بحكم أن القاهره - على حاصره - لا
يركزها السلطان تاجزها الدولة ، بل
فيها أكبر نسبة من سكان البلاد ، وبزجر فيها
الحياة السياسية والاقتصادية بالنشاط ،
فمجمعها إذن - أشد احساسا بسلطة الدولة ،
وأشد تأثرا بالسيارات المملطية حول هذه
السلطة .

والمجتمع القاهري - في هذه التاحية أيضا -
ليس بدعا ، فالأوضاع العامة التى شكلت لحياه
فى القاهرة - كخاضرة اسلامية - تفتقر كثيرا
عما كانت عليه الحال في العواصم الاسلاميه
الآخرى في الشرق والغرب .

وقد ذهب بعض الباحثين الى أن حركة
الاسلامية تشكل الحياة فيها على نمط خاص .
حتى بدأت عوامل التجدد والتغيير تفعل فعلها
فيها ، وتطور الحياة فيها والعلاقات الاجتماعية
بين أهلها ابتداء من القرن التاسع عشر حتى
اليوم .

واقدر ذهب بعض الباحثين الى أن حركة

الانظمة الدستورية في فرنسا - قد شجع عن قيام مثل هذه الانظمة في مصر .

ان كل ما نستطيع ان نبينه من اثر للحملة ابرسية على مصر انها زعزعت - الدعائم العسكرية والسياسية للنظام القائم في مصر ، وهزت المفاهيم العرقية والاجتماعية التي كان المجتمع المصري يخضع لها .

ومهدت بذلك حركة الانعاضاء عليها والعمل على تغييرها ، ومع التسليم بلا جدال - بان هذا الاثر ليس بالامر الذي يستطيع احد ان يهون من شأنه الا ان المتتبع لتاريخ مصر في السنوات التي اعقبت خروج الفرنسيين لا يكاد يجد تغييرا يذكر في حياة المجتمع المصري - والقاهرة بؤرة نشاطه - عما كان عليه في السنوات السابقة للحملة .



ماليون

بعد عادت العصبية العثمانية ولملوكة صمد جراحها وجمع صفوفها من جديد وتعيد يده قوتها وسلطانها القائم على العصف والاستقلال .

وعادت طوائف الشعب الاخرى تنظم كيائها في تلك المؤسسات الوطنية التي قامت منذ قرون ، كنقابات الحرف والتجار وطوائف الجوارير والعلماء وطوائف المتصوفة وارباب السجاجيد ، وغيرها من تلك المؤسسات الشعبية التي عرفتها المدن الاسلامية في العصور الوسطى.

ويمثلها المجتمع القاهري خير تمثيل ، ولم يكن لهذا النمط من البناء الاجتماعي اثره في العلاقات الاجتماعية بين الناس فقط او اثره في العلاقات بينهم وبين السلطات الحاكمة فقط ، ولكن كان له اثره ايضا في تحطيط القاهرة ، على النحو الذي يعرفه اصحاب الخطط والدارسون لاحياء القاهرة وحاراتها .

والواقع ان الحملة العرسية بما أحاطت بها من ظروف عسكرية ونورات شعبية ، هذا الى عصر العترة لى اقامتها في البلاد ، إذ لم نعد الاعوام الثلاثة ، لم يكن يتوقع منها ان تحدث في المجتمع المصري من الآثار ما يحول ايجابه او يعطله . او يطور حياته . هذا الى أنه لم يكن ثمة أرض مشتركة يعب عليها الجانبان : الفرنسي والعصري ، حتى تقوم بينهما جسور يعب عليها التأثير لفرنسي . فالامسياب عبر موصوله - بل في الواقع اجتماع المصري والمجتمع الفرنسي - بن اصطداما - في اواخر القرن - فالتقاء كان عدائيا ، والمقليات ميانيتي ، ومفهوم العلم عند المصريين في - محسب عن مفهومه .

وما كانت المؤسسات التي اشأها الفرنسيون في تلك اعتره عصيرة بفادرة - فضلا عن أنه لم يكن من مهمتها - أن تمتد الى حياة المصريين وعقولهم ؛ وأبلغ دلالة على ماذهب اليه من فقدان الأرض المشتركة ، تلك العبارة التي قالها الجبرتي عندما اطلعه « علماء » الحملة على بعض تجاربهم الكيميائية أو الفيزيائية وهي من النوع الذي يحدث التأثير في مفوس البسطاء من الناس (كأحداث قرعة أو انطلاق دحان) ، قال الجبرتي : هذه أشياء لا تدركها عقول أمثالنا .

وعبد الرحمن الجبرتي حينذاك كان احد علماء مصر المرموقين المروفون بالامستعداد لتقبل (الجديد) ، وهو بعد ابن الشيخ حسن الحرنى عالم الرياضة والفلك الشهير .

ولا بطن علما آخر كالشيخ اسماعيل الحشاب ، اتبع له هو الآخر ان يتصل ببعض علماء الفرنسيين ورجال الادارة منهم ، قد تأثر تأثرا واضحا بالعقلية

الحديثة ، ومصانمها الحديثة * * * الخ وبعبارة أخرى غدت القاهرة مركز « النصب » في الحياة المصرية الجديدة ، فكان من الطبيعي أن (يتهاافت) عليها الناس من سائر أنحاء البلاد ، أتوا إليها صبية ليتحقوا بمدارسها ، ويتخرجوا ليعملوا في أجهزة الدولة من عسكرية ومدنية ، أو أتوا إليها ليتحولوا صنعا في مصانع الدولة أو جندوا في جيشها . وهكذا عرف المجتمع القاهري طغيات وطوائف جديدة لم يكن له مثلها عهد من قبل ، عرف طبقة (الافتدية) من موظفي الدولة ، الذين أسبغت عليهم الدولة من هيبتها ، فمحتهم الحاء والراتب المضمون والامتياز الاجتماعي ، وأسبغوا هم بدورهم على الدولة سمعة معينة ، تمت وتمتعت ، وهي ما تسميه (البرورراطية) ، ولكن هذه الطبقة - في الوقت نفسه - تحكم تكوينها (الوطني) و (الثقافي) غدت في مقدمة طبقات المجتمع المصري افتتاحها للبوثرات المختلفة من طبقة وخارجية ، واستطاعت - على طول الزمن - أن تكون عصب الحكم (الوطني) . كما استطاعت أن تغلب دورها في الحياة السياسية ، وأن كانت قيود العمل على نشاطها في الحياة السياسية ضيقة ، إلا أنها كانت لها اليد الطولى في الحياة السياسية .

أما أثر هذه الطبقة في حياة المجتمع القاهري فواضح ، فقد كانت هذه الطبقة أكثر طبقات الشعب تقبلا للجديد ، فاستطاعت أفرادها أن يطوروا حياتهم على نحو جديد ، في نمط بيوتهم وأثاثها وفي أزيائهم ، وعلاقاتهم الأسرية ، متشبهيين في هذا بأسرة القوم ، وليكونوا - هم أنفسهم - نماذج لغيرهم من الطبقات ، فكانوا - بحق بمثابة الجسر (الاجتماعي) بين سرات الناس أو (العملية) وبين سواد الناس والتمتيع إلى الطبقة الوسطى البسيطة .

وهذه الطبقة - الأقدمية - دأبة العمل على أن ترتفع بنصمها إلى الطبقة الوسطى (الغالبة) أو أثناء الذوات ، ومهم - أو في الواقع من ذرايعهم - من نل ذلك وحققه .

على أن من الخطأ أن نتصور أن رجال هذه الطبقة قد قطعوا صلاتهم بأسولمهم (الرتبة) وأن راحوا سعالون عليها ، ويردهون ساءا الله عليه عليهم من نفاق وحساء في ظل الدولة ، وكثيرون من

المرء يواجه الحكومة في كل مرحلة من حياته ، بعد أن كان يمضى حياته كلها وقد لا تضطرم ظروفه أن يتصل بالحكم أو يلجأ إليه في أى شأن من شئونه . ولكن نظام الجيش القومى ونظام التعليم القومى وسياسة الضبط التي اتبعتها الحكومة في أمور المال والاقتصاد * * كل ذلك لم يدع للفرد مجالا ليغلت من سلطان الدولة وتأثيرها في كافة مراحل حياته ، وفقد المرء - في الوقت نفسه - حماية المؤسسات الشعبية والمحلية التي كان يستغل بطلها ويوجد فيها الأمن والرعاية . ليصبح لا حول له ولا قوة وراء سلطان الدولة الطاغى ، فلا يجد سبيلا إزاء الدولة إلا أن يتهامت عليها أو يلود باعتقالها ، أو يدور حولها يكر بها ويسعى لاستغلالها ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وعلى هذا النحو جرت علاقة الدولة بالفرد في مصر دهر طويلا ، ولا زالت رواسيها باقية في مجتمعنا حتى الوقت الحاضر .

وهي ظل الدولة الحديثة دأبت المواجر إلى كالب قائمة بين طوائف المجتمع كان المجتمع المصري - قبل القرن التاسع عشر - * * * طوائف قامت بينها حواجز * * * من المجتمع مجموع (وحدا) * * * لا يكاد يستطيع أو يفكر في اجتياز (وحده) . فابن العلاج ينشأ علاجا ، واس المصانع * * * وابن العالم عالما * * وهكذا * * ولكن الدولة الحديثة ونظام التعليم الحديث خاصة - شق هذه الحواجز ، وازاد الاتصال والاختلاط بينها ، وتصبحت لها * * * للعلم ، وترتب على هذا أن نما شعور بالتضامن وما سمي به الوعي - بينها ، ثم جاءت أجهزة الاعلام الحديثة وفي مقدمتها الصحف ووسائل الواسلات الحديثة لتقوى هذا الشعور ، وحل وراء الانماء للإمة الواحدة محل وراء الانتماء للطائفة ، ثم جاءت أحداث مصر السياسية في القرن التاسع عشر لتواحه المصريين جميعا على اختلاف طوائهم ومواطنهم بتحديات واحدة ، وآثر فيهم جميعا ردود فعل واحدة ، وظهر ما تسميه « الرأي العام » .

قلنا أن المجتمع القاهري كان أشد تأثرا بهذه التطورات الحديثة . فقد عدت القاهرة مقر الحكم . فعلا ، ركز فيها أكثر أجهزة الدولة الحديثة وقواتها العسكرية الجديدة ، ومؤسساتها التعليمية

الموظفين حرصوا على أن يضيّعوا إلى هذه الثقافة وهذا الجاه لونا آخر من الثروة والجاه بما يشترونه أو يحوزونه من الارض الزراعية حين انحلت قيود الفلاحة ، وفرت الأرض إلى سوق البيع والشراء .

وبطورت الحياة الاقتصادية للمجتمع القاهري نتيجته لتتطور الاقتصادى الذى شهدته مصر فى القرن التاسع عشر ، وقوامه - أولا - تدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى ، بل هيمنتها عليه ، واشتغالها به فعلا ، ويكفى انه فى السنوات الأولى من حكم محمد على ، عندما بدأ نظام الاحتكار ، حتى فى التافه من الموارد ، شهدت احياء القاهرة من الباعة المتجولين من ينادى - قيسا يحكى الخبرتى - على فجبل الباشا وكرنب الباشا .

وقوامه ايضا سعى الدولة الى تصنيع البلاد ، وتصغير ، الزراعة ، أى انتاج حاصلات جديدة بعد للتصدير وفى مقدمتها القطن ، وفتح أبواب التبادل التجارى بين مصر والعالم الخارجى .
التي على ذلك نتاج خطر - دولة المجتمع القاهري صاب وسمكة
أى طبقة التجار المصريين كبار ، صاب وسمكة
فاصلة ، وكان لابد ان
بنشأ بيت تجارى كبير كبيت الحر فى مصر
التجار .

وكان طبيعيا أن تعجز الرأسمالية المصرية - وقد اصابها هذا الضعف عن تمويل مشروعات الحكومة الكبرى ، فحلت محلها فى هذا التمويل ، الرأسمالية الدولة ، التى كونتها الدولة من احتكاراتها وصغولها على الناس ، حتى اذا تراخت قبضة الدولة المالية والاقتصادية بحل الاحتكارات واطلاق حرية التبادل ، كانت الرأسمالية المصرية - على نحو ما وصلت اليه فى منتصف القرن التاسع عشر تقريبا - عاجزة عن دخول الميدان لتحل محل الدولة ، فاضطرت ان تترك الميدان فسيحا أمام الرأسمالية الغربية ، وهى اذ ذاك فى عموان حركتها . وكان لابد ان يضى وقت طويل حتى نستطيع الرأسمالية الوطنية ان تسترد بعض انفسها لتدخل الميدان على استحياء وتردد ، مشاركة فى أول الامر ، ريشا تواتيها الظروف ازيد من القوة والنفاء .

وهكذا شهد للمجتمع القاهري شريحة جديدة ، أصبح لها فى حياته اثر كبير ، ونمى بها طوائف الاجانب من عناصر شتى ، ولم يكن الاجانب غريبا على المجتمع القاهري فى أى عصر من عصوره ، ولكن اجانب القرن التاسع عشر كانوا صمعا آخر . عرفت القاهرة التجار من الاجانب يعيشون على هامش مجتمعها ، يسكنون احياء خاصة أو حارات خاصة بفعل عليهم ابوابها ، وفيها بيوتهم وكنائسهم ومتاجرهم ، لا يكادون يبرحونها الا للجيل من الامر ، يعيشون دائما على حذر واستحياء وفى حرص شديد على مراعاة عواطف الناس وعاداتهم واسترضاء السلطات الحاكمة ، وقناصلهم عاجزون عن ان يفعلوا لهم شيئا ، بل كثيرا ما كانوا - هم انفسهم - موضع الاستغلال والنتكيل .

ومثل هذه الحياة التى عاشها الاجانب فى مصر قبل القرن التاسع عشر ، ليس من شأنها ان

الحياة القاهرية الاجتماعية والثقافية او فى حد من الاقتصادية اثرا كبيرا .

من القرن التاسع عشر - وما بعده - عرفت القاهرة التاجر الاجنبى لدى يضطرب لها ، ابحانها يبيع ويشترى ، وعرفت ونوع له الحياة الكريمة ، وعرفت المفار الاجنبى الذى يبعث عن الثراء السريع بأسرع سبيل ، وعرفت القاهرة أيضا القنصل الاجنبى المتفطرس الذى يأمر وينهى ، ومن هؤلاء جميعا دولهم ترعى مصالحهم ولا تسكت عن ضميم يحل بهم اذا كان ثمة ضميم يحل بهم .

وهكذا غدا للاجانب فى المجتمع القاهري فى القرن التاسع عشر اثر اقتصادى واجتماعى وسياسى خطير على نحو لم تعرفه البلاد من قبل ، ثم تأتى الطامة الكبرى حين تشهد القاهرة جندى الاحتلال الاجنبى يدنى تراثها ويعيث بكرامتها ، حتى جاء وقت اختلط فيه الحابل بالبابل ، واهترت القيسم وضاعت الاموال ، وتبليت الاسن . . . حتى استرد المجتمع القاهري كامل شخصيته ، واسترد معها كرامته .

دعاه ، ولا شك أيضا أن أخبارا عنه قد بلغت مسامع الخليفة المستنصر بالله في القاهرة فدعاه لزيارتها ، حتى يتيح له التمتع في دراسة طرق الدعوة وحتى يوصله الى أعلى مراتب هذه الدعوة ، مرتبة الحجة .

يحدثنا في ديوانه (ص ١٧٣) عن ثلاث آيات هي التي دفعته الى رحلته : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » (٢٤/٤٧) ، « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فانما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد الله عليه فسيؤتيه اجرا عظيما » (١٠/٤٨) ، « لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة » ، فعلم ما هي قلوبهم فانزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا » (١٨/٤٨) . فهو اذا يريد أن يذهب الى حيث الشجرة التي ربيع المؤمنون تحها النبي (صلى الله عليه وسلم) على أن يقاتلوا معه ، المؤمنون من أمثال جعفر والمقداد وسلمان وأبي ذر (ديوان ١٧٣) ، المؤمنون الذين ناصروا الامام علي ، مؤمنون الشيعة .

ثم هو يحدث في بداية رحلته عن سلسلة من «الفتاوى» ، على المنى الى المكان الذي تقع به الخليفة العاطمي ليلبىه وليدعو الى «الفتوى» فاصدا مصر وهو مؤمن بأن «الفتوى» هي التي ترفع الفاطميين في القاهرة . ثم يروي هذا رواية رشيد الدين بأن ناصر خسرو استدعى الى القاهرة أيام المستنصر بالله .

وفي القاهرة يعاين ناصر الامام المستنصر ، وهو يطلق لقب الامام في المستنصر في ديوانه ، ويذكر انه عينه «واعيا» وهو من مراتب الدعوة الفاطمية ، ثم يتحدث عن لقائه مع «الامام» وكيف تعهد أمامه بالألا يتحدث عن المقاتلة وما جرى فيها وقد قال له المستنصر انه سيجده بكل ما يشبع رغبته في المعرفة مؤيدا بالدليل ، ولكنه يشترط عليه ألا يوجع بالسر لكان من كان . وفي حضرة شاهدين منه بالولاء الذي يذهب الجبيل ، ووضع على شعثه الخاتم حتى يحفظ السر المقدس . يقول ناصر « وحينئذ برزت نفسى من شوائب الشك من حجبتي » ، ثم ان «الامام» مسك بيدي ووضعها في يد «النبي» لنيرم مصفا ميثاقا تحت الشجرة المباركة التي تحوي ثمار العلم » .

ثم يتحدث ناصر في الديوان عن ارتقائه من مرتبة الى أخرى أعلى منها حتى بلغ مرتبة «حجة» التي يعثر بأنه نالها في درجة رفيعة حقا جعلته واحدا من اثني عشر رجلا عينهم الامام في العالم الاسلامي لرياسة الدعوة الفاطمية خارج القاهرة . «متحتن هذه المرتبة خير الرجال ، وهي مرتبة لم

محاربه أسما الفاطميين حتى المستنصر بالله ثم يؤد للصلاة حسب المذهب الفاطمي ويدعو في حلة الجمعة لخليفة القاهرة . وتشهد الحلة صد الفاطميين ويضطر المؤيد الى التوجه الى القاهرة » .

ثم في عهد المستنصر بالله ايضا يحاول البساسيري أن يقضي بالقوة على الخلافة العباسية ، فبغداد تمكننا لخلافة القاهرة فيحاربه فطغرل بك السلجوقي ويقضى على جيشه وعلى فكره (١٠٥٨) .

ويصح السلاجقة دستورا يقضى بحجارية الفاطميين ، يصوره كتاب «صياصيا» المسسوب لسطام املك بقوله : « لنقاتل القرامطة - يقصد الفاطميين - ولنقتل كل من دخل في مذهبهم » ، ولديح الاعارة على كل باطني » . وكان الغزنويون قد سبقوهم الى هذا المبدأ الذي طبق على اوسع نطاق على كل من والى آل علي ، كالكوفي كان من اضطهاد الفردوسي ، صاحب الشاهنام ، الذي اندرج عيا وبنيته متحديا بذلت السلطان محمود ، وكالدي كان من اتهام حسنة ، فانه المصلطان محمود ، بأنه وفرط قبل حمله المصريين ، حلة القاهرة) مما اغضب الخليفة العباسي (العاذر : مايقطع عن مكتبة السلطان محمود . ر . البيهقي في تاريخه (الترجمة العربية) ١٨ وما بعدها) ان خصوم الرجل . قاليسوا رجلين ملاسي السفراء والاعيان .

بعدد برسالة من الخليفة العباسي ، يقول فيها ، يجب صلب حسنة القرمطي وقتله رجما بالحجارة حتى لا يجرؤ أحد بمسك ذلك على ارتداء خلة الفاطميين . » وقد أثار قتله سخط الناس عامة وأهل الرأي عند السلطان مسعود خاصة ، وتعهد الموكل بصلبه أن يشنقه حتى لا يقتل رجما بالحجارة . وقد روى البيهقي بعد حادث حسنة كيف قتل عبد الله الزبير وكيف كان موقف أمه « أسما بنت أبي بكر » حين رأت جثة ولدها مصلوبا فقالت : « ما آمن الوقت لينزل هذا العارس عن جواده » .

وناصر خسرو هو أحد رجال الدولتين الغزنوية والسلاجقية الذين راوا عن قرب اضطهاد الشيعة ورميهم بالتهمة وتصفهم وايداهم ، وهو رجل مفكر ذو شعور رفيق ، فهو قد درس الآداب المختلفة فخلق العربية وعرف البهلوية واليونانية ، وهو ينظم الشعر ويحسن الكتابة ، وهو يقرأ في علوم الدين وفي الفلسفة ، وكان تسوقا الى أن يعرف حقيقة المذهب الذي يتبع ، ولما شك أنه كان قد اقتنع بالمذهب الفاطمي بعد أن استمع الى

أمير مكة * وطلب أن يرى مائدة المستنصر يوم العيد فسمح له بذلك .

ولكن لما رأى بشر ناصر إلى اعتناقه مذهب الغنوص في كتاب رحمة * لأنه كتب بعد غزوة في طلبه مسامرة وحكي كتاب سياسة الدولة السلجوقية بعض أسد لطيف يكن من يسمي أن يظلمين من تأسسها عامة وكان أحد صله بالقطيعي وأن من أجبر به * ولا كان في ر لا يعرض أخاه . وكان من كبار رجال الدولة السلجوقية . لا أدنى أو يكون ذلك نسخة حصار النص الذي كتبه ناصر خسرو نفسه على يد كاتب سمي أعجب بالرحمة ولم يرد أن يكتب ما يخالف مذهب السني * عهد خروص جائره .

وذكر سواد من سفرنامه ابن ناصر كان ذلك مساعده في يومه فيما حتى لا يقوه شيء مما رأى أو سمع . شهد ذلك ذمة وصنفه بعض الأمراء كوصف مسجد من القدس . ووصف حفلة مناجاة الخمين . فالأوصاف التي عصفها والإسماء التي بقي في تذكارة سواد .

يكون بعد . . . في كتابه * ذهب سفير ابنه كتب رحلته قبل سنة ١٠٦٠ . وذهب نفي زاده إلى أنه كتبها بعد سنة ١٠٦٣ . محتجا بأنه لم يستطع أن يكتب مصحوبا بكلمة رحمة الله بعد أن يقرأ في الملة . رحمة الله في كتاب الإسلام من النسخات التي يكون من بعد أن ناصر في عهد كان مقبلا في سلك وكان كونه نفسه فيها فرقة خاصة لها مذهبها المأخوذ عن المذهب العباسي (الناصري) . وفي هذه الأثناء كتب أكبر كريمة عن وضع صمد مذهب في كتابه فليس عجب أن كتب في هذا الموضوع رحمة ولا يشير إلى أن الإمام المستنصر في نفسه مع أنه تحدث عن هذا الأثر في منابر كنه . وبعد الاعتذار يرى سفرنامه كتب بعد غزوة مسامرة في خراسان بعد غزوة . مع مسعود وفتح ابن فارس غنية كنهه الجديدة استضافه وبهضمة حفره مستديرا على الدولة السلجوقية فيس . نفسه ترفقه في عمارت مسافره الدنوي والساسي معا . وبقوى هذا المرحوم أن ناصر يذكر في سفرنامه بعده المؤثر بده . أو الفتاح عبد الجليل * كما يقول ابن أخاه كمال دائم السؤال عنه . في حين أنه يقرر في الديوان الذي كتب في زمن مناجرة أن هذا لاج قد عجزه وسكره في داره حصفا ساحطون عنه . ولو كتب سفرنامه في ذلك الوقت لما كان على يداه الذي مع أخيه .

يلعبها أحد من عسرتي . لقد كنت في قاع بئر من قطران وما أنا رفعت فسموت فوق القبر . ليس من علو أكثر روعة . أتى رأيت نخلة منمرة تسع زغبها غبار السماء . بيت شجرة نارها الحكمة . وبعد مسقة نبع منه سحره وذهب من نوره لآلام وذب لو مجنى ردا وأنا أسير في طريق الجحش في خدائي بجدة وهكذا أصبح شجرة تحمل نهار الحكمة فبينا عسدي نعت مسومة إذا بي حبل الزمان (الديوان . ١٧٦ . ٣٢٦ - ٣٢٧)

وعكدا يرى أن لامة ناصر في القاهرة قد تم فيها لقاء مع الإمام المستنصر سنة إحدى منحة عربية . الخجة . وجمعه واحدا من لاسي عسر حله . ثم أن الإمام . وقد سبق له عهد ابنه كنه سفير بوصف بعض غنوص . كنهه سراج وارد على القاسم بناسنج (حزب لاهوت ١١٦) . وكان ناصر قد عني ذكي بدهه انونه في مصر ووصف كيف تفجرت له دواب الحكمة وليس عرف القاهرة .

الدويل العاطفي يعرف الإمام المستنصر سحاب ارمع وامن تائه نائل . والأمام بنهار وهكذا حتى يسمي في القول انقصاص سنا والوفود أمامه على ساطع السيل أو السط إلى يدخل في مذهب الغنوصي لا يدخله المنس انصران . وجمعه حبريل من سمعت انحص الذي فيه امر والإسلام وخارجه شرب بحس دولة سنج انحص امام الزمان خدمه العاطفي (ديوان ٣١٣ - ٣١٦)

والعجب أن ناصر خسرو لم يصر إلى شيء من هذه كله في سفرنامه . وقد أقام في مصر ثلاث سنين وثلاثة أشهر . وقد أدى هذا أن السواد عن وجود نص حتى سفرنامه المحصر الذي تدب البعض أن سفرنامه حتى ترجمه المعروف عن لناصر خسرو حجة المستنصر بالله وصاحب فرقة الناصرية في مكان (حب الأساذ حبريل في مدرة غيه القاهرة) * .

والواقع أن أحد نقرأ رحلة ناصر في مصر تجد أنه كان يفتع لمركز ممتاز أثناء إقامته الطويلة بالقاهرة . حج مرتين في صحبه رسول الخليفة المستنصر بالله مع الحبح كان مبعوعا بسبب محط في الحجاز . وعاد في المرة الثانية في صحبة

ويقول في وصف غنى المصريين :

« وكان أصل مصر في عتي عظيم حين كتب هناك ٥٠ . وقد رأيت هناك نصرايا من السراة ، قيل إن مراكبه وموانئه لا مراكبه لا يمكن أن تعد . وحدث في سنة ما أن كان النيل ناقصا وكانت القسلة عزيزة فارسل الوزير إلى هذا النصراني أن يسحب الماء من السراة ، فاعطى ما استطعت من الفلة أما نقدا وأما قرضيا . فاجاب النصراني : أسبغ الله السلطان الوزير ، أن لدى من الفلة ما يمكنني من اطعام أهل مصر الخبز ست سنوات » .

يقول ناصر : « وكل من يستطيع الحكم يدرك كم ينبغي أن يكون لهذا الثرى لتبلغ غلته هذا المقدار ، وإي سلام كانت فيه الرعية ، وإي عدل كان للسلطان بحيث يكون شعور الناس وثراؤهم بهذا القدر . لم يكن السلطان يظلم أو يجور على أحد ، ولا كان أحد من الرعية يخفي أو يتكر شيئا مما ملك » .

وصف ناصر قصر أمير المؤمنين الذي أراد أن رأى قصر محمود الفرتوي وابنه مسعود ، صاحب السقرة بأن يدخل القصر في أحد

أركانها ويخطف أهلها ويؤسرهم ، فاجابهم الزاهية الصالية ويشوارعي وأجيبها : « لا أعتد ، فهل كان متسارعا » . الفاطمي فأراد أن يضفي على عاصمة كفاطيين هذه الأوصاف التي تجعلها بحق عاصمة الشرق الاسلامي ؟ يقول انه بلغ أمن المصريين والطمع بهم الى حكومتهم الى حد أن البزازين وتجار الجواهر والصيارفة لا يفتقون أبواب دكاكينهم ، بل يسدلون عليها الستار . ولم يكن أحد يجزؤ على حد يده إلى شيء منها . (ص ٦٤)

وكان الناس جميعا يتقون بالسلطان ولا يخشون الجواسيس ولا الفلّانين ، معتمدين على أن السلطان لا يظلم أحدا ولا يطمع في مال أحد . أن الأمن وأمنه هناك لم أره في بلد من بلد (ص ٦٢)

وتحدث عن أمانة التجار فيقول أنهم يصدون في كل ما يبيعون ، وإذا كذب أحدهم على مشتر ، فإنه يوضع على حمل ويعطى جرسا في يده ويطوف به في المدينة وهو يذق الحرس مناديا : « قد كذبت وما أنا عاقب وكل من يقول الكذب فجزأؤه العقاب » . (ص ٦١)

وقيل ان راتب السكر في ذلك اليوم الذي تنصب فيه مائة السلطان خمسون ألف من . وقد رأيت على المائدة شجرة ، أعدت للرعية ، تشبه شجرة الترنج ، كل غصونها وأوراقها وثمارها مصنوعة من السكر ، ومن تحتها ألف صورة وتمثال مصنوعة كلها من السكر أيضا .

الجامع واستأذنوا السلطان في حمله وبيع أجزائه
وليثاقه ليسدوا باليمن حاجتهم ، فاشتره السلطان
مهم بمائة ألف دينار واشهد على ذلك كل أهل
مصر . وأما عن مسجد ابن طولون فتولى الحاكم
بأمر الله اشترائه من أسفاد ابن طولون بثلثين
ألف دينار مغربي ، ولكم بعد فترة شرعوا في
هدم المئذنة بحجة أنها لم تبع فأرسل لهم الحاكم
بقول ولقد تعطلني هذا المسجد فكيف تهدمونه
فاجابوا : نحن لم نبع المئذنة ، فأعطاهم خمسة
آلاف دينار تمنا لها .

وكان التسامح الديني سائدا في القاهرة منذ
ألف سنة ، تشهد بذلك الإصلاحات التي نجدها
في سقف معبد عزرا اليهودي في مصر القديمة
بؤيده ناصر حسرو بالقصة التي يرويها عن
اليهودي الثري الذي قتله الجند طمعا في ماله ثم
خرجوا إلى الصحراء وهم في خشية من بطش
المتنصر بهم . فخرج الهم حاد من النصر وقال
لهم : يسأل السلطان إذا كسم مطيعين أم لا .
فاجابوا بأنهم خدم مطيعون ولكنهم اذنبوا فأمرهم
بالعودة إلى تكابهم فعادوا . يقول ناصر : واسم
الملك الذي كان في ذلك الزمان هو الخليفة
الفاطمي الذي كان على سبيل
الفقهية . خرج في كل يوم
في كل يوم . وأمره بفتح مصر . وقد
فتح مصر سنة تسعين يقول
الملك . إلى أهمم لخرانة مائتي ألف دينار مغربي
مصر سنة تسعين على الناس
ومزقيها على الملا وقال : كروا آمين وعودوا إلى
بيتمكم فليس لأحد شأن بكم ولستنا بحاجة مال
جدا . واسمها اليه (سفرنامه ٦٥) .

وحيث يتحدث ناصر عن مرتب قاضي القضاة يقول انه يتقاضى الفى دينار مغربي في الشهر ، ومرتب كل قاض على قدر مرتبته ، وذلك حتى لا يطغى القضاة في اموال الناس او يظلموهم (٦٥) وايضا عدنا الى الاوضاع الاجتماعية التي سادت المشرق الاسلامي في ذلك الوقت ، التي حكم الدولتين الفزنوية والسلجوقية ، نرى ان مصر كانت على درجة عالية من الرقي الاجتماعي اذا قيس بحري في هذين الدولتين ، فاعلى صعيدا مثلا في الدولة الفزنوية يرفض منه من السلطان مسعود لانه يشك اذا كانت من مال حلال . اما العصر السلجوقي فقد صورته كتاب سياستنامه مليشا بالعيون نتعرف احوال الناس والجنبد الاثراك يعيشون في الارض فسادا ثم بالاستطهاد المروع الذي تعرض له كل من تقصدهه الدولة وكانت تهمة التثميم كغلبة باقاع الاذي

ويروي ناصر قصتين طريقتين عن حاملي عمرو
واسم طولون ، يقول عن الاول ان الحاكم بأمر الله
اشترى من أبناء عمرو بن العاص حين ذهبوا اليه
وقالوا انهم فقراء موزون وان حصدتهم نهر هذا

يكشف عما كانت عليه قصورها من إبهة وجلال .
ثم أن الحقائق التي قام بها الاستاذ ان الدكتور
سكانلون ومحرز تؤيد رواية ناصر عن منازل مصر
ودقة بنائها وارتفاعها .

ان عاصمة العاطمين التي سُميت مصر تمثل
دورا في الحضارة الاسلاميه العربية لا يقل اثرا
عن دور بغداد أيام الرشيد ولكنها صارت ناسعة
الحضارة لم تغب في سمانها بل ظلت مصر
التدور على توالي العصور .

على أي فرد ، حتى أدى الامر الى مقتل نظام الملك
بالسيف نفسه الذي قتل به الشيعة .

والمؤرخ المنصف لا يرى مبالاة من ناصر في
وصف مصر . فالكتب اللاحقة لعصر الفاطميين
تحدثت كثيرا عن نقايا مجد هذه الدولة . وقد
لاحظ شيفر أن عظمة القاهرة قد لفتت نظر
الرحالة في القرون الوسطى ، فقد وصفها جان
تينو الذي صاحب سفير الملك لويس الثاني عشر،
أندريه لوروا ، أيام السلطان الغوري وصفا معصلا



جامع أحمد بن طولون

التواقي في الأسلوب

بين أدب مقامات الحريري
وبين تصاويرها القاهرية

بقلم : د. حسن الباشا



القاضي يعقوب ديناوري زيد السروجي مخطوطة المقامات
الحريري مخطوطة بالكتبة الاعلية (فينا)

مؤلف مقامات الحريري هو أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري الحرامي الشافعي ٤٤٦ هـ - ٥١٦ هـ (١) - ١٠٥٤ - ١١٢٢ م) ولد بمشأن البصرة ، وسكن محلة بني حرام بالبصرة ومن هنا لقب بالحرامي ، وتلمذ في الأدب على أبي القاسم الفضل بن محمد القصباتي الحمصي (٢) ، وسار على نهج سبيل الإمام الهمداني (٣) في استخدام المحسنات اللغظية ووصل بها غايته في مقاماته .

والمقامات هي أشهر مؤلفات الحريري ، وعددها خمسون مقالة . وهي نوع من القصص القصيرة ذات طابع خفاس تحكي مقامرات لشخصية سكران الحريري هي شخصته في ريد السروجي ويرويه شخصية أخرى هي شخصية الحرث ابن همام .

وأبو زيد - كما صورته الحريري - شيخ ذو دهاء ، ضليع في اللغة ، متمكن من أسرارها ، ضاقت به سبل العيش المتواضع عليها أو قل الجاهل الظروف التي أن يزهد في الحياة الشرعية التي تليق بشيوخ العلماء وأمثلة فظوف بالبلدان يتخذ من دهائه وعلمه وتمككه من اللغة وسيلة إلى الرزق . وكان يلجأ في سبيل ذلك إلى المخادعة والتضليل أحياناً وإلى التوسل والاستغلال أحياناً أخرى . وفي هذه الوسائل التي كان يتخذها في حياته من الحصالات مرحاً خفيف الظل يظلم الناس المال والادابها .

وعلى أن الحريري رسالته : ومع بعد . إذ يقال به أن حبسه في مسجد بني حرام بالبصرة حين دخل شيخ غريب رث الثياب على قسطنطين في الفصاحة وذلافة اللسان وخفة الظل . ولما سئل عن اسمه أجاب « أبوزيد » ولما سئل عن بلده أجاب « سروج » . وأعجب الحريري بشخصية أبي زيد السروجي هذا فألف مقالة استوحى بطلها منه وسمها باسمه . ونالت هذه المقالة إعجاب من قرأها فأنشأ الحريري سائر المقامات على نمطها .

ويقال أيضاً أن الحريري استوحى شخصية أبي زيد من أحد تلامذته وهو المظفر بن سيار وكان من أهل البصرة وكان يدرس اللغة والنحو (٤) .

ومع ذلك فإن شخصية أبي زيد تقرب من بعض الوجوه من شخصية الحريري نفسه ، ومن المحتمل أن الحريري قد نفث غضبه على المجتمع وعبر عن عقده النفسية من خلال هذه الشخصية فمن جهة يلاحظ أن الحريري كان دسماً نصح المظفر بن سيار لحيته وكبر من يراه يستردى شكله .

ومن جهة أخرى لم يثل الحريري في مجتمعه ما يتناسب مع كفاءته ونبوغه ولم يبلغ المكانة التي تنفق على علمه وأدبه وربما يرجع ذلك إلى أنه لم يكن حاضر البديهة ولذلك لم تلبث الأنظار في مجالس الكبراء والأعيان بل بعال أن البعض قد شك في أن المقامات من تأليف الحريري وتجدها أن ينشئ مقامه على مثالها في حضرته . (٥)

أما الشخصية الأخرى وهي شخصية الحرث ابن همام راوى المقامات فصاحبها يتفق مع أبي زيد من حيث التمكن في اللغة واستخدام نفس الأسلوب ولكنه يختلف عنه في حيث الحق والبطاح . على حين نجد سارداً حارحاً على سفائيل والعرف والاخلاق السبائلة ، نجد الحارث بن همام رجلاً عادياً طليعياً يحافظ على تقاليد مجتمعه ولو أنه لا يخفى إعجابه بأبي زيد في كثير من الأحيان ومن المحتمل أن الحريري رمل به إلى نفسه الواهية .

واحتلت مقامات الحريري منزلة رقيقة بين دارسي اللغة العربية وآدابها إذ أقبلوا على حفظها ويهتم العلماء بشرحها والتطبيق عليها (٦) كما نالت في مصر الحديث شديدة في الغرب فحدثت إلى عدد من اللغات الأوروبية بل أنها حلت في ألمانيا أسلوب موزون مقفى شبيه بها في لغة عربية .

كما حظيت مقامات الحريري بمصنفات خاصة بكتابة الرسامين الإسلاميين في العصور الوسطى : إذ يتضح من عدد النسخ المزوقة بالتصاوير التي وصلتنا منها أنها كانت أكثر الكتب العربية تزويقاً وتوضيحاً بالصورة وقد بلغ عدد النسخ المزوقة المزوقة منها أكثر من عشر نسخ (٧) وينسب إلى القاهرة مجموعة من نسخ المقامات المزوقة بالتصاوير (٨) . ويتضح من هذه النسخ أن رسامي القاهرة كانوا أكثر الرسامين توفيقاً في ترجمة لغة المقامات إلى تصاوير لا تقل في مستواها الفني عن قيمتها الأدبية . كما يتضح منها أيضاً أن رسامي القاهرة قد فهموا طبيعة المقامات ووضحوها بأسلوب يتفق تماماً مع أسلوبها اللغوي .

فمن الملاحظ أن مقامات الحريري تمثل درجة عالية في استخدام المحسنات اللغظية كالجناس والتورية والوزن وفي التلاعب بالألفاظ على حساب المعنى والمبالغة في استخدام الزخرفة اللغوية وفي إظهار التمكن من اللغة ومعرفة المترادفات .

وتأمله حين يطلب منه أن يقول عبارة من سبع كلمات يمكن أن نقرأ من آخرها كما نقرأ من أولها (١١) فيشبهها شرا بقوله : « لذا بكل مؤمل إذا لم وملك بدل » ثم ينشئها نظماً معمول

اس اوملا اذا عرا

وانع اذا لرا اسا (١٢)

ثم يعتمد أيضاً أن ينظم شعراً أحرف جميع كلماته معجزة أي يعدها النقط فيقول : (١٣)

فنتنى فجنننى بجنى

بتجن يفتن غب تجنى (١٤)

ويخطب خطبة طويلة جميع أحرفها خالية من النقط (١٥) يقول فيها : « الحمد لله المودع

انظر مثلاً أبي زيد حين يسأل أن ينشئ رسالة لطلب الحاجة بشرط أن تكون حروف أحسنى كلمتها معجزة أي يعدها النقط وحروف الأخرى خالية من النقط فينشئ أبو زيد رسالة طويلة حسب هذا الشرط يقول في أولها (٩) : « الكرم - ثبت الله جيش سمودك - يزين ، واللؤم - فض الدهر جفن حصودك - يشين ... وما فتىء - وعندك يفى ، وآراؤك تشفى ... ومواصلك يجتنى ومادحك يقتنى ، وسماحك يثيت ، وسماؤك يعيت ... ومؤملك شيخ حكاة في » (١٠) ، ولم يس له شيء ... وهو في دمع يحيى ، وولاه يدب ... فيبصر أمه سحيف الله ... ست حيدك بين عالمه ... »



أبو زيد اللوزي يهذ اللص سارق النافه مخطوطه معانيات الحريري سنة ٧٢٨ هـ (١٣٢٧ م) مخطوطه تملكه المودعه في اكسفورد مانجترا



نسم تحليلي للوحدتين اللتين يتألف منهما الإطار

أم هندسية أم لونية حتى أنهم يصلون بهذه
الرخايف الى عاية التائق والتحسين .

وكما يعمد الحريرى الى اظهار البراعة النعوية
والى استعراض مدى تمكنه من اللغة حتى يقع
كثيرا في التعقيد اللفظي واللعوى نجد مصورى
القاهرة يبالغون ايضا في بعض الأحيان في اللعب
بالحطوط الى حد التعقيد . ولقد اشتهرت
بصاوير مقامات الحريرى القاهرية بنوع من
العلوم المعقدة استخدم للتعبير عن كثير من معالم
الحياتية من اجسام واثاث وادوات وغير ذلك
سوى بالاسلوب المعقد .

والى الذى سمر بالمعاصرة
الآن فى عصرنا وبمصر الحديثة
بصاوير تختلج من مقامات الحريرى
أحمل ما ألتج الى التصوير العربى .

وأولى هاتين النسختين مخطوطة بالكتبة
الأهلية فى فيينا (١٧) انتهى من نسخها كاتبها
ابو الفضل بن اسحق فى شهر رجب سنة ٧٣٤ هـ
(١٣٢٤ م) . (١٨) ولانيتها مخطوطة فى المكتبة
البودلية فى أوكسفورد بانجلترا (١٩) تم نسخها
فى سنة ٧٣٨ هـ (١٣٢٧ م) (٢٠) .

وتمثل غرة نسخة فيينا (٢١) الأسلوب
الزخرفى الذى اتبعه الرسام القاهرى فى التعبير
عن المقامات سواء فى تصميم اعمام وفى رسم
العضص الملصقة سحرى وبجدة تصوير
اطار من الزخارف العربية المورقة تتكون بصعده
أساسية من تبادل وحدتين رئيسيتين تذكر
باسلوب الرسالة التى تتألف من كلمات يعم
حروفها الاعجام تتبادل مع كلمات خالية من
النقط (٢٢) . غير أنه من الواضح ان الزخارف
المرسومة هنا فى غاية الأناقة والدقة والجمال وأبعد
ما تكون عن التكلف وإن كان كلا الرسوم والكتابه
تتفق فى استعراض المهاره الصناعية .

الاسماء ، المحمود الآلاء ، الواسع المعطاء ، المدعو
لجسم اللاواء ، مالك الأمم ، ومصور الرمم .
وأبو زيد أحيانا يبهج السامعين بالغازه حين
يستعمل اللفظ بمعناه القريب غير المتداول (١٦)
يقول مثلا :

وكتابين وما خطت اناملهم

حرلا ولا قرؤوا ماخط فى الكلب

ويقصد بالكائنين . الخواص ، اد : كائى
اللفه كتب السقاء والمراده اذا حررهما .

ويقول أيضا :

وبلدة ما بهما ماء لمشر

وفلا يعجرى عليها أجرى مشرب

ويقصد - بلدة - عند مخرج من حارس
ويعيننى فى هذا البحث ان أوجه العناية الى ان
رسامى القاهرة الذين وضخوا مقامات الحريرى
بالتصاوير قد استخدموا فى صورهم اسلوبا
فنيا يتفق تماما مع اسلوبها النعوى ومع طريعه
الحريرى فى الانشاء : فكما بالغ الحريرى فى
استخدام الزخارف اللغوية وفى التلاعب بالالفاظ
نجد ان مصورى القاهرة بالغوا ايضا فى
استخدام الأسلوب الزخرفى سواء فى الاشكال
أو فى الألوان .

وكما تميزت المقامات بروعة المظهر وعظمتها
على حساب المصمون سيزت التصاوير القاهرية
بعظمة الشكل ولو على حساب الروح .
وكما تألق القاسم الحريرى فى اختيار الالفاظ
واستعمال الحسنتات البديعية نجد رسامى
القاهرة يتأقنون فى زخارفهم سواء اكانت نباتية

فانخرمت في يدي على خطا
منى لما جلبت مقودها
فلم ير الشيخ ان يسامحنى
بلوشها اذ راي تلودها
واعتاقى ميلى رهناء لديه ونا
هيك بها سسبه تزودها

ويستفسر القاصي من ابي زيد عن ذلك فيجيب
بـ انا من ديك شبيب داب ردهم واحد في
استعطاف القاضي حتى يضطر هذا على مضاى
ان يعطيه دينارا وان يعطى ابنه بعض الدراهم
وهو يقول : اجتنبا المعاملات ، وادرا الخصومات
ولا تحضراني في المحاكمات ، فما عندي كيس
المرامات ... »

وقد رسم المصور القاهري القاضي وهو ينظر
الى ابي زيد بشك و غيظ ويدفع اليه مترددا
دينارا امسكه بيده اليمنى ، ويسدو ابو زيد
منحنيا بيد يده لياخذ الدينار في حين يقف اليه
عطينه . اما الحرث بن همام راوى المقامة
بـ انا . وكانه تسمر في مكانه مذهولا وهو ينظر
الى يد القاضي الخلل على وشك ان
سقط

في الصورة الاسلوب الزخرفي
الزخرفة اللغوية والنظمية في
الروح في رخريف السند
م نسيه مورفه منداحه
سراخ طور هذا اسوع من

الزخارف (٢٤) .

وتجلى التوافق في الاسلوب بين ادب مقامات
الحريري وبين تصاورها القاهرية في المخطوطة
الثانية التي سبقت الإشارة اليها وهي النسخة
المحفوطة في المكتبة البودلية في اوكسورد (٢٥) .
فبالإضافة الى أسلوب تصاورها الزخرفية
كسب ارسام معظم الوجوه صامعا واحدا كأنه
صمها كلها في قالب واحد أي ان الرسام
استخدم في رسم الوجوه أسلوبا يشبه الجناس
الذي استخدمه الحريري في الفاظ المقامات .

وتصح الجناس في الوجهة في تصويره تمثل
المنه سماعه وانعثرين (شكل ٤) وتحكى هذه
الصورة كيف ان الحرث بن همام شاهد اللص
الذي سرق جملة ولما طلب منه ان يرده اليه
رفض .. ويقول الحرث وبينما نحن نتناقش
« اذ غشينا أبو زيد لايبسا جلد النمر ، وهاجما
هجوم السيل المنهمر فخطت والله ان يكون يرمه
كأنسه ، وبدره مثل شمسه .. فقال معاذ الله
ان اجهز على مكومي ، أو أصل حروري

ويتضح التشابه بين أدب المقامات وصورها
في تصويرية من المخطوطة نفسها تمثل المقامة
التاسعة عشرة (شكل ٢) وتحكي هذه المقامة
زيارة ثلاثة من الاصدقاء لابي زيد السروجي
وهو مريض (٢٣) وكيف أنه دعاهم الى الطعام
وطلب من ابنة أن يحضر أصناف الطعام وقد سمي
كل صنف منها بكتابه او باسم مسبق بكلمه
« ابو » أو « ام » فقال مثلاً لابنه : « اسدع
ابا جامع ، قاه يشرى كل جائع ، واردهه بيبي
نعيم ، الصابر على كل ضيم ، ثم عزز بيبي
حبيب ، المحب الى كل لبيب ، الملب بين
احراق وتغذيب ، واهب يابى نعيم ، فحبدا
هو من ابيف ... »

وقد رسم المصور هنا ابا زيد واقدا على
السرير وحوله اصداقاه الذين جاءوا يعودونه في
حين وقف ابنه عند رأسه . وتجلى في الصورة
روح زخرفية واضحة اذ تمصها الزخارف التي
كسا بها الرسام جميع عناصر التصوير ، وقد
استخدم الرسام في ذلك شتى أنواع الزخارف
من نباتة مورقة ومحوطة ومن هندسية بالإصاغة
الى الزخارف المعقدة . ومن الملاحظ أن

التياب قد تحولت الى مجرد زخارف زينة
شكها المعروف كما سدر روح زخرفية في
طريقة رسم الملامح وفي استعمال المخطوط في
تذهيب الخلفية .

ويمكن أن نلاحظ نفس الأسلوب الزخرفي في
مثال آخر من تصاوير هذه المخطوطة ونعني بذلك
التصويرة التي يوصف الفهم الثامن شكل ٣
وتحكي هذه المقامة تخاضع ابي زيد مع شاب هو
في الحقيقة ابنه امام أحد القضاة حول ابرة ادعى
ابو زيد ان الشاب اتلفها ومروود اوسيل ادعى
اشباب ان ابره ابلعه وكان كل منهما كفى عن
شئنه فكانه بحث وعما الدعي والحرث بن
همام : يحسم حول ابره ..
الشبيب : انا الله الدعي ، كما انه الله الدعي .
انه كاشح بي مملوكه رشقه اعد . سسبه اعد .
صبور على الكد ، تحب احبابا كالنهد ... »

ويقول الفتى : « وقد رهنته ... مملوكا لى
متناسب الطرفين ، منتسبا الى القين ، تقيا من
الدرن والشين ، يقارن محله سواد العين ، يفشى
الاحسان ، وينشى الاستحسان ، ويفلدى
الانسان ، ويتحامى اللسان ، ان سود جاد ، أو
وسم اجاد ... »

ولما يضيق القاضي ذرعا يهرهما ويطلب منهما
ان بعضحا فيقول الغلام :

اعلاني ابرة لأرؤ اطعرا عفاها البلى وسودها



شجرة مطرولة لقصائد الخيري
مخطوطة بالمكتبة الأهلية (فيينا)

وصفاقة على نخبة من الأدباء جمعها مجلس في
حديقة اخذت زخرفها وازينت ، وتنوعت
ازاهيرها وتلونت « ومهم « الكميت الشموس،
والسقاء الشموس ، والشادي الذي يطرب
السمع ويلهبه ، ويقرى كل سمع ما يشتهي »
وقد اطمأن بهم الجالوس ودارت عليهم الكؤوس .
ويبدو أبو زيد قادما بجراة خلف الجماعة
الجالسة وقد رفع يده كأنه يحييهم .

٦ - التوافق في الأسلوب

وبلاحظ أن الرسام قد بالغ هنا في تحلية
الثياب بالزخارف النباتية والعقدية والهندسية

بسمومي ، بل وافيتك لاخير كنه حالك . واكور
نمنا لشمالك »

ويتضح في هذه الصورة المبالغة في استخدام
الزخارف على الثياب ولا سيما ذلك النوع من
الزخارف العقدية التي تظهر على ثوب أبي زيد
كما يلاحظ أن الرسام قد زخرف الخلفية بأفرع
شائبة محورة عليها ارهار متجانسة في الشكل
واللون (٢٦) .

وتجسم تصويره اخرى المعامة الرابعة
والعشرين (شكل ٥) حين دخل أبو زيد بجراة

حينئذ علم « أنه السروجي الذي اذا باع اتباع .
واذا ملا الصاع انصاع » .

وبلاحظ ان المصور قد رسم انا زيد شيخا
قصر القامة يبدو على حيائه سيماء المكر والدهاء،
وانه وضع القصة بأسلوب زخرفي بعيد عن المنطق
وعن محاكاة الطبيعة ، كما مزج بين عناصر
الصورة من انسان وحيوان ونبات مزجا زخرفيا
شبه أسلوب المقامات الذي يتسم بالزخرفة
اللفظية والمحسنات البديعية (٢٨) .

وهكذا يتضح ان تصاوير مقامات الحريري
التي انتجتها القاهرة تتفق من حيث أسلوبها
الزخرفي مع ادب مقامات الحريري .

كما حور الوجه وأعطاهما أشكالا متشابهة . (٢٧)
وتتضح نفس الخصائص في صورة
المخطوطة نفسها تمثل ابا زيد في بعض مقاماته
في المقامة الرابعة والاربعين (شكل ٦) التي
يقص فيها راويها الحرث ابن همام كيف أن
أبا زيد اجتمع هو وبعض القوم في منزل وأنشد
عليهم الغاراء عجزوا عن حلها ، ولما طلبوا منه ان
يقصرها لهم طلب بدوره تشجيعه على ذلك
بالمكافأة فمنحه صاحب المنزل ناقة وحلة ، غير ان
السروجي اضلهما الى النصاب حتى سيرهم اعداء
بالنوم ، ويصبحوا اقدر على استيعاب كراهه ،
« فاستصوب كل ما راه ، وتوسد وسادة كراهه .
ولما وستت الإجفان ، وأقفت الضيفان ، وثب
الى الناقة فرحلها » والحرث بن همام يراه .

هوامش المقال :

(٨) Ettinghausen (R.), Arab Painting, pp. 147-153

(٩) المقامة السادسة .

(١٠) أي شقيق

(١١) المقامة السادسة عشرة .

(١٢) أي خط الطير إذا طلب واحفظ من اسم البيت

(١٣) المقامة السادسة والاربعون .

(١٤) اسمها تسمى نعلتسى بدلان

(١٥) المقامة السادسة والعشرون .

(١٦) المقامة الخامسة والاربعون .

(١٧) No. A F 9

(١٨) Hotter (K.), Die Galen-Handschrift und die Makamen des Hariri der Wiener Nationalbibliothek (in « Jahrbuch der Kunsthistorischen Sammlungen in Wien, Neue Folge, XI, 1937 », Arnold (Th. W.) and Grohmann (A.), The Islamic Book, Pls. 43-47, Ettinghausen (R.), op. cit., pp. 147-153.

(١٩) Marsh 458.

(٢٠) Arnold (Th.), Painting in Islam, Pl. XII, a, b, c ; Ettinghausen (R.), op. cit., pp. 151-153.

(٢١) Ettinghausen (R.), op. cit., p. 148.

(٢٢) المقامة السادسة .

(٢٣) حسن الباشا : التصوير الاسلامي في المصور
الوسطى شكل ١٧ ، فن التصوير في مصر الاسلامية شكل

١٧ .

(٢٤) Ettinghausen (R.), op. cit., p. 150.

(٢٥) اطراف الحاشية رقم ١٩ ٢٠ ٤

(٢٦) Ettinghausen (R.), op. cit., p. 152.

(٢٧) حسن الباشا : التصوير الاسلامي في المصور
الوسطى شكل ١٨ .

(٢٨) حسن الباشا : فن التصوير في مصر الاسلامية

شكل ١٨ .

(١) يعتقد البعض ان سة الوفاة كاتب ١٥٥ هـ .

ابن عمر رفا كماله : مجمع المؤلفين ج ٨ ص ١٠٠٨ ، ج
١٢ ص ١٤٢ ، ج ١٤ ص ١٥٢ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٥٣٠

٥٢٢ .

(٣) جاء في خطبة المقامات ماضيه : « فاستصوب كل ما راه ، وتوسد وسادة كراهه .
ولما وستت الإجفان ، وأقفت الضيفان ، وثب الى الناقة فرحلها »

(٤) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٥٣٠

(٥) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٥٣٠

(٦) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٥٣٠

(٧) يقال انه لما عجز الحريري عن انشاء
المتفرحة أنشد أحد الشعراء المعاصرين ساخرا منه :

شيخ لنا من ربيعة الفرس
ينشد تشنبنونه من الهوس

انطقه الله بالثنان كما
رماه وسط الديوان بالخفري

نظر ابن خلكان . وجاء البيت الثاني في محمد الاداء
لياقوت ج ١٦ ص ٢٦٦ على البحر التالي :

انطقه الله بالثنان وقيد
الجهه في العراق بالخفري

(٨) يذكر على سبيل المثال شرح الفريسي .

(٩) Buchthal (H.), Early Islamic Miniatures from Baghdad (in « Journal of the Walters Art Gallery, V, 1942 ») ; Hellenistic Miniatures in Early Islamic Manuscripts (in « Ars Islamica, VII, 1940 ») ; Three illustrated Hariri Manuscripts in the British Museum (in « Burlington Magazine, LXXVI, 1940 ») ; Buchthal (H.), Kurz (O.) and Ettinghausen (R.), Supplementary Notes to K. Hotter's Check List of Islamic Illuminated Manuscripts before A.D. 1350 (in « Ars Islamica, VII, 1940 »).



جغرافية

بمّلم:
أنندريه ريمون

ترجمة:
زهير أحمد الشايب

الأحياء الارستقراطية بالقاهرة في القرن الثامن عشر

من الغزو العثماني منتصف القرن الثامن عشر

ومع نهاية حكم العاطميين ، كفت المدينة التي
استوعبها عن تكون مركز لسيطة ساسية
اذ قام الايوبيون بنقل مقر حكمهم الى القلعة .
ومع ذلك ، لسيطة التجارية ، والصناعية (حرفة)
في هذه الأماكن التي كانت سمعة - فيما سبق

في مصر ، في بداية القرن السادس عشر :
ان اية دراسة عن الأحياء التي اقام بها
الطبقة الارستقراطية (٢) في القاهرة ، في القرن
الثامن عشر ، لابد ان تتخذ كمنهج ، في عام
١٥١٧ . وهو تاريخ سقوط الأسرة المملوكية
الثانية ، وبدء استقرار السيفر .
ويمكننا - استنادا الى النصوص التاريخية
المعلومات التي نستقيها من الآثار - (٣) ان نقدم
ملخصا عن أماكن إقامة كبار الشخصيات المملوكية
في السنوات الأخيرة من القرن الخامس عشر
والسنوات الأولى من القرن السادس عشر . ومثل
هذا الملخص ، سوف يسمح برسم الخطوط العامة
الجغرافية الأماكن التي اقام فيها هؤلاء «الكبار» .
جسول رقم ١ يبين توزيع مناطق إقامة الطبقة
الارستقراطية في المدينة (٤) في بداية القرن
السادس عشر (٥)

القاهرة (٦) ٩ ١٧ /
حي القلعة ١٩ ٢٦ /
بقية الشط الأيمن للخليج ١٤ ٢٦ /
بما في ذلك قناطر السباع وبركة العيل
الشط الأيسر للخليج
بما فيه الأبنية ١٠ ١٩ /

وقد أدى انتقال مركز السلطة السياسية الى
القلعة ، تلقائيا الى إقامة عدد من كبار الشخصيات
بالقرب من « القصر » ، في نفس الوقت الذي
هجرت فيه القاهرة كثر من الأنشطة الحرفية
والتجارية المتصلة بالأغراض العسكرية ، وجاءت

القرن السادس عشر - وقد بدأت اقامة هؤلاء على الشط الشرقي للبركة ، التي كانت توجد فيه زمن الفريزي بيوت وشوارع بينما كان الشط الغربي لا يزال مجرد حدائق (٨) ، كما أن عدم وجود أسواق في الجنوب الغربي لسوقية المصفور ، يؤكد أن هذا القطاع كان قليل المساكن في هذه الفترة . ومع ذلك ، فإن تشييد العديد من المساجد خلال القرن الخامس عشر ، في المنطقة الواقعة بين البركة والخليج ، يدل على بداية حركة عمران متنامية (٩) .

وفي أقصى الشمال ، بين الحد الجنوبي للقاهرة (باب زويلة) وأحياء القلعة وبركة القبل ، كانت تمتد منطقة شبه خالية من أي مسكن أوستقراطي ، ويرجع ذلك بلا شك ، إلى وجود المدايق التي تبعث بطبيعتها على الضيق ، والتي كانت قد استقرت بطريقة طمسعة عند "أبواب القاهرة" ، لكنها أصبحت عقبة حقيقية ، عندما بدأت القاهرة تنمو محبة نحو الجنوب . وقد سبب هذا بعض المساجد في القرن الخامس عشر - وكان على مسافة كافية من المدايق - في قصبة رمسوان . وبعد الفتح .

أما بركة الفيل ، فقد أصبحت أحد أحياء المدينة الراقية ، بعد أن - لا تزال - حتى بداية القرن السادس عشر - تحال إلى مزارع ، وطلائع ، والطبقة الوسطى ، التي لم تتجاوز خمسة أسواق في القرن الخامس عشر : سوق حمام قوصون ، سوق ابن هنس ، سوق ربع طنجير ، سوق العزي ، سوقية منعم .

أما بركة الفيل ، فقد أصبحت أحد أحياء المدينة الراقية ، بعد أن - لا تزال - حتى بداية القرن السادس عشر - تحال إلى مزارع ، وطلائع ، والطبقة الوسطى ، التي لم تتجاوز خمسة أسواق في القرن الخامس عشر : سوق حمام قوصون ، سوق ابن هنس ، سوق ربع طنجير ، سوق العزي ، سوقية منعم .

وجود عدة سوقيات في هذه المنطقة ، وإن كان أغلبها ظل بالقرب من الخليج : سوقية الحادام ، سوقية المجي ، سوقية صفية ، سوقية القيمري وسوقية الساعين . وهذا هو نفس الحال مع المساجد التي اقيمت في هذه المنطقة ، في القرن الخامس عشر ، أما ضواحي البرك المتفرقة في هذه المنطقة - وكانت مليئة بالحدائق والأعشاب - فقد كانت بالفعل مقرا مشهورا لاحتفالات الأعياد .

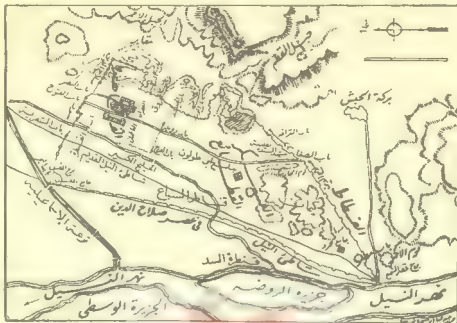
وفي القرن الرابع عشر - وكذلك بركة الرطل (١٠) - وعند نهاية القرن الخامس عشر ، كان الأمير أزيك - اقتحم - الإزبكية نفسها ، وإن ظل عدد الأمراء الذين أقاموا بها خلال السنوات الأولى من القرن السادس عشر - قليل . وكانت هذه بصاحبة من المدينة - في هذه الفترة - لا تزال منطقة ريفية سيئة السمعة (١٢) .

لتنسفر حول ميدان الرميطة : سوق للسلاح ، وسوق للخيل والجمال في الرميطة . وسوق للخيام - كما أن ازدهار المشتات المصرية ونسبه في حق لوضع حيويا ، رويته في زمن المماليك - دليل على نمو هذا الحي واتساعه . وفي بداية القرن السادس عشر ، انتشرت قصور الكبار ، بطول الشوارع المؤدية إلى الرميطة في سفح العلقة : حوال ٢٠ قصرا (بنسبة تزيد على ١/٤ مجموع الكلي) ، منها ١٠ شمال الرميطة (سوق الغنم ، سوقية العزي ، سوق السلاح ، سوق القبر) ، وثلاثة في الغرب ، تجاه حي قوصون : (حدة البقر) ، وأربعة في الجنوب الغربي تجاه ابن طولون ، وواحدة في الجنوب : (حدة الكماجين) (٧) . وهذا التوطن الأستقراطي ، وما صاحبه من انتقال الأنشطة المختلفة وعملاتها ، هو الذي يفسر لنا ازدهار ونمو هذه الأحياء ، وتضاعف عدد السوقيات والأسواق غير المتخصصة ، التي لم تتجاوز خمسة أسواق في القرن الخامس عشر : سوق حمام قوصون ، سوق ابن هنس ، سوق ربع طنجير ، سوق العزي ، سوقية منعم .

أما بركة الفيل ، فقد أصبحت أحد أحياء المدينة الراقية ، بعد أن - لا تزال - حتى بداية القرن السادس عشر - تحال إلى مزارع ، وطلائع ، والطبقة الوسطى ، التي لم تتجاوز خمسة أسواق في القرن الخامس عشر : سوق حمام قوصون ، سوق ابن هنس ، سوق ربع طنجير ، سوق العزي ، سوقية منعم .



حرمك من أحد القصور



خريطة لمدينة القاهرة القديمة

ب - الأحياء الواقعة « من منتصف القرن السابع عشر وحتى منتصف القرن التاسع عشر » ولهذا فإن
 تلك الأحياء « من عام ١٦٥٠ عندما تحدد في
 سند « مؤلفات أكبر بقصصلا
 (وبخاصة مؤلفات المحدثين والمحدثين) تكملها
 الوثائق القصصية »

نحول مدره المصادر التي
 دون أن تدعى بدهه نظور « الأحياء الواقعة « بمدينة
 طوال الفترة الممتدة من زمن وصول عثمانين »

جدول رقم ٢ وبين توزيع المساكن الأستقرائية

على أحياء المدينة من عام ١٦٥٠ الى ١٧٥٠

المجموع	كشاف	ضباط	بكات	القاهرة
يمثلون ٦ %	٥	يمثلون ١١ %	٥	حي القلعة
يمثلون ١٧ %	١٤	يمثلون ٢٠ %	٩	بعضه لاسم لمجمع *
يمثلون ٥٧ %	٤٧	يمثلون ٤٥ %	٢٠	الشيء لاسم لمجمع *
يمثلون ١٩ %	١٦	يمثلون ٢٢ %	١٠	المجموع
	٨٢	١	٤٤	٣٧

* مع ملاحظه ان الشبط لاسم لمجمع كان يضم ضباط اسباع قوصون وبركة النيل كما
 ان الشبط الأيسر كان يشمل الأريكية .

وتكشف مقارنة هذا الجدول بالجدول رقم ١ ،
عن حركات محسوسة في توزيع أماكن الشخصيات
الكبيرة في المدينة ، فيما بين بداية القرن السادس
عشر ومنتصف القرن الثامن عشر .

اضمحلال دور القاهرة
كحي لسكنى الطبقة الأرستقراطية

مقتل المدينة العاطمية في القرن الثامن عشر
جاذبيتها وإصبحت على وجه التقريب خالية تماماً
من أفراد الطبقة الأرستقراطية الذين ظل عددهم
لا بأس به منهم يقيم بها حتى حوالي عام ١٧١٥ ،
وعند هذا التاريخ لم يعد بها أحد من البكوات ،
كما أن عدد ضباط الفرق العسكرية بها قد تضائل
بشكل بلغ ١/٦ فقط من المجموع الكلي ، في مقابل
١١/٢٠ فيما سبق .

ويعود السبب الرئيسي لذلك بلا شك ، الى
تلكس الانشطة الصناعية والتجارية في قلب
الطاهرة في العهد القرطبي ، في نفس الاماكن التي
سبق ان وصفها المقرئ في ذلك ثلاثة قرون ،
في الفصل الذي خصصه للحديث عن الاسواق ،
القد أصبح بها ٣١ سوقا من بين ٧٧ وروى
كتاب وصف مصر ، و ١٢ من ١٣ جان . ١٣٩
٢٠٠٠
١٢
١٠
٨
٦
٤
٢
١
٠
١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
٨
٩
١٠
١١
١٢
١٣
١٤
١٥
١٦
١٧
١٨
١٩
٢٠
٢١
٢٢
٢٣
٢٤
٢٥
٢٦
٢٧
٢٨
٢٩
٣٠
٣١
٣٢
٣٣
٣٤
٣٥
٣٦
٣٧
٣٨
٣٩
٤٠
٤١
٤٢
٤٣
٤٤
٤٥
٤٦
٤٧
٤٨
٤٩
٥٠
٥١
٥٢
٥٣
٥٤
٥٥
٥٦
٥٧
٥٨
٥٩
٦٠
٦١
٦٢
٦٣
٦٤
٦٥
٦٦
٦٧
٦٨
٦٩
٧٠
٧١
٧٢
٧٣
٧٤
٧٥
٧٦
٧٧
٧٨
٧٩
٨٠
٨١
٨٢
٨٣
٨٤
٨٥
٨٦
٨٧
٨٨
٨٩
٩٠
٩١
٩٢
٩٣
٩٤
٩٥
٩٦
٩٧
٩٨
٩٩
١٠٠

بالغة الكثافة من الأنشطة والأعمال الاقتصادية التي من شأنها - كما حدث بالنسبة لمدينة لندن - أن تنظر في المساكن الخاصة ، وغير بعيد من تلك المنطقة ، كانت تقوم مصانع السكر والمناسج في المازل والمصانع وورش التجارة ، وإذا كانت هذه المدينة القديمة (القاهرة) تحكم كونها مركزا للأعمال الاقتصادية ، ومركزا دينيا وحاميا عاما ، إذا كانت لهذه الاعتبارات مزجحة بمساكن لصناع والتجار والمشايخ ، فإن هذا الإزدحام للمحور - بالإضافة لضجيج الشوارع - قد جعله - من وجهة نظر - أما بيوت الماضي الكبيرة ، فلم يعد يتبقى منها - في غالب الأحيان - سوى اسم مجرد ذكرى (١٥)

ومع ذلك ، فإن وجود عدد لا بأس به من ماسكين
بمياط الإحاثات في القاء - كان - ح-
في تلك العلاقات الوثيقة - ي - ر -
صيات -ية وعبارة ، وخاصة ذات نصريه
العزبان ، فغلب سبيل المثال ، كان الأمر على
محرم وط . كتحدا مستحقان (الموفق عام ١٧٦٩)

التي كان يسكن خوشقدم ينتسب لاميرة تربطها
ببذا الحى - وبالأذات بطائفة « عقادين الرومى » (١٦)
(أى صناع الخيوط والحبال الحريرية) - وصلت
قديمة ووثيقة : فقد سبق أن قام الأمير سليمان
بذلك الخروطى بترميم جامع بعضى بنى عقب ، وكذلك
فقد قاما أحمد كرتما الخروطى (الذى كان على
مملوكا له) ببناء مسجد الخروطى عام ١٧٣٥ -

عند مدخل خوشقدم - كان يقوم بالاشراف على
العمل شيخ طائفة العقادين ، الذين انشئت لهم
هذه المساجد - حوايت حول المسجد ، ولكننا
من جهة أخرى - نلمس عند بعض المسائل
المسكينة الاخرى ، التي كانت تقسم في قلب
القاهرة ، بداية حركة هجرة - فقد كان لابراهيم
الصابونجي شوربجي العزيان (توفي عام ١٧١٩)
- وهو أحد الشخصيات الهامة في عصره - بيت
في حي الضبيبة (١٧) التجاري خلف جامع الحاكم
وبيت آخر في الزاكنة ، وبعد موته اختار ابنه
محمد شلي - وكان كاييه شوربجي العزيان - أن
يذهب ليقم في الزاكنة ، بينما ترك المنزل للموجود
الآن في الزاكنة - وكان هذا ما يدل على
الانحلال الكائنة الاجتماعية للحي (١٨)
وكانت كان لامرأة المجلعة بيت القاهرة (في
الحي (١٩) ، لكن على الجاني كئيد
بالدار الحديثة - بينما لم يصد البيت الكائن
في نفس سوى - الدار القديمة (٢٠)

عبر « الكبار » لمنطقة حر القلعة

لعمل من أبرز الظواهر التي لاحظناها في تطور
أحياء السكنى الاستقرائية ، فيما بين القرن
سادس عشر والقرن الثامن عشر ، كان هجر
الكبار ، لضواحي القلعة ، فما نحن نحصر فيها
١٤ بيتاً من ٨٢ ، أى بنسبة ١٨٪ بدلا من ٣٦٪
فيما مضى ، أى السدس في مقابل الثلث .
وكذلك نرى هناك فقط ٥ بكوات من ٣٧ - وقد
كانوا فيما سبق مكدسين بحى الصمالية .
ولعلنا من الممكن أن نتخذ دلالة على ذلك
من عمل من كتبنا العزبان ، حين حول بيته
في وكالة ، للأعمال التجارية ، بدلا من مقر
السكنى ، في بداية القرن الثامن عشر - وهو
البيت الذى عاش فيه والده محمد بكندا البقري
الذى تولى عام ١٦٩٤ (١١٠٠) من ذلك فما نحن



مترقيات

اذ أقام به سبعة من البكوات في درب الجامعين فيما بين ١٦٦٠ و ١٧٢٥ .
وعلى العموم ، فإن هذا الجزء من الشريط
الأيمن ، للخليج ، الواقع بين القاهرة في الشمال
وحى القلعة في الشرق ، كان فيما بين ١٦٥٠
و ١٧٥٥ ، المكان المفضل لسكنى الغالبية الكبيرة
من الامراء ، وبخاصة البكوات ، اذ أقام فيه من
كبار الشخصيات ٤٧ من مجموع ٨٢ (أى بنسبة
٥٧ / ٨٢) من بينهم ٢٧ من البكوات من مجموع ٣٧
(أى بنسبة ٧٣ / ٨٢) .

السطح الاسفل للبحر :

منذ إنشاء مدينة القاهرة ، بنى بعم الامراء عند اسفائها
— أى الميناء — من القلعة الى الخليج ، يتوقف في
حوالى عام ١٧٥٠ ، فنسبة عدد الكبار والقيمين
تبدأ وراة « ترعة المدينة » لا تكاد تنفجر عما كانت
عليه عند مجيء العثمانيين : ١٩٪ في بداية القرن
السادس عشر و ١٩٪ كذلك فيما بين ١٦٥٠ و ١٧٥٥
وفي هذه المنطقة المنيطة بالمخاض والمخاضات ،
كانت العموم الاسفراطيه تسكن فرسا من اب
الحرق ، حيث كان عدد الضباط (ومن بينهم الآن
ضباط من اوجاق العزبان) كبيرا لحد ما ، لكن
هذه البيوت الاسفراطيه ، قلما كانت تجتاز
الحدود القريبة التى وصلت اليها في القرن
السادس عشر .

ويمكن ان يقال ان مكانة بركة الازبكية ، كمناطق
مفضلة لدى الاسفراطيين ، قد أصابها بعض
التدهور في القرن السادس عشر ، ولكن يبدو
انها عادت من جديد لتصبح — عند بداية القرن
السابع عشر — منطقة جذب ، فيها هو شيخ الاسلام
زين العابدين الصديقي يبنى لنفسه فيها بيتا
وسرعان ما حذا الكثيرون حذوه . وهكذا ظلت
الازبكية لوقت طويل ، الى المفضل لسكنى
« البورجوازية » من الشيوخ وكبار التجار ، الذين

لسكنى صباط الاحاف (٣١) . لكن شواضى
بركة العمل كانت — على وجه الخصوص — على
أصحاح ، في هذه الفترة الى الرئيسى لسكنى
الاسفراطيه ، فقد أصبح يقيم فيها ٥ / ٢ عدد
كبار الشخصيات (٤٠٪ في مقابل ١٧٪ عند
بداية القرن السادس عشر) ، أما عدد البكوات ،
فكان يمثل نسبة اكبر (١٨ من ٣٧ أى ما يعادل
٤٨٪) . وقد لمس ذلك ابن أبى السور في عام
١٦٥٠ حين يذكر ان اغلب سباح المدة كانت
لهم مبان فخمة ومتمشكات جميلة في هذه المنطقة (٣٢)
وبعد ذلك بحوالى خمسين عاما ، وصف
الاوربين الدس « قاموا الى »
الكلمات « ان اكبر عدد »
شهرة هي اكثر من اعتبارها من « قصر »
بهذه البركة أجمل بيوت المدينة . وهي تسمى
بالمياه ثمانية أشهر في العام ، وفي الأربعة شهور
الباقية ، تصبح حديقة دائمة . وعند الفيضان ،
نرى عددا كبيرا من المراكب الذهبية اللون ، يقتزرو
فيها كبار الشخصيات مع زوجاتهم عند
الليل ، ولا يمضى يوم دون أن تطلق فيه الألعاب
النارية أو دون أن يسمع فيه عزف الموسيقى ،
وتفتح الشراعات والستائر ، ويرى في النوافذ
أعداد لا تحصى من السيدات الرقيات ، لم يكن
يتاح لهن أن تلمح واحدة منهن في الاوقات العادية
وتبرق الأضواء في السماء ، وتضاء كل البيوت .
ان هذا في الحقيقة ، واحد من أجمل المناظر التي
يمكن لليل أن يهبه للميرون . (٣٣)

وكان حتى قوصون هواكثير أحياء البركة جادة
بالنسبة لكبار الشخصيات . فقد كان لكل من
ابراهيم كنعنا القازدوغلى ورضوان كنعنا الجالغى
— وهما الأميران المسيطران عام ١٧٥٠ — كان لكل
منهما بيت في هذا الحي . بل ان الشط العربى
نفسه ، والذي يدعى في سكناه في فترة متأخرة ،
قد حاز نجاحا كبيرا في بداية القرن الثامن عشر ،

اثاثه موضوعا للشعراء • وكما كان ابراهيم كنتخدا الانكشارية شريكا لرضوان في ممارسة السلطة ، فقد استقر هو الآخر - بالمثل - في الازبكية ، في المنزل المجاور والذي حصل عليه من محمد شلبي امين ابراهيم الصابونجي • وقد أعطى وجسود لهذا الحى مكانة اجتماعية ، تكاد تكون مساوية لتلك المكانة التي كانت تتمتع بها بركة الغليل منذ قرن (٤٠) •



الامير الارستقراطية في انقرة من ١٧٥٥ الى ١٧٩٨

سوف نتيج لنا وفرة ودقة المصادر التي لدينا من الآن فصاعدا ، ليس فقط أن نتابع التطور العام لأحياء التوطن الارستقراطي ، ووصف الحالة التي كانت عليها عام ١٧٩٨ - وقت مجيء الحملة الفرنسية على مصر (٤١) - ، بل وأن نتابع كذلك تفاصيل المشاحبات ، الخلافات المندبة التي تشكل الأساس لهذه الارستقراطية • وبعد الآن ، سوف وحد في الخصة والمعاركة من المكونت بحسب بعضها - ويشكل حاسم - سيمطة الاحداث بعد موت ابراهيم كنتخد (١٧٥٤) ووصول كنتخدا (١٧٥٥) ، وسوف تعود السلطة السياسية والنموذج الاجتماعي ليصبحا في حوزتهم دون منازع حيث لم تعد الطبقة العسكرية تلعب دورا مستقلا ودنيا ، بل انها سوف تتحطم على يد على بك ثم ينتهي بها الامر أن تتضائل لحد تلعب معه دورا ثانويا تأييدا داخل النظام المملوكي • لقد أصبحت الفرق العسكرية - منذ الآن - خاضعة لأشراف الميكوات ، الذين سوف ييثون فيها عملهم • وفي

كانت أعمالهم - وفي غالب الأحيان بيوتهم الأصلية - تقع قريبا من هناك ، في القاهرة • ومن بين الأسر التي كانت تمثل البيوت البورجوازية في الازبكية ، كانت أسرة اليكزي ، وتلك الأسرة الضخمة من التجار - أسرة الشرايبي (٣٥) ولا يحدث أن نجد ذكرا لاسم لأحد الميكوات هناك ، الا في نهاية القرن ، عندما نجد اسم مسالم بك (سابقا مسالم أفندي من ضباط الانكشارية) والذي كان بيته قريبا من بيت آل الشرايبي ، والذي اشتراه بعد موته عام ١٦٩٢ القاضي مواهب ، شوربجي المزيان •

ولأسباب تقييد عنا ، كان عدد ضباط العزبان الذين يقطنون القطاع الممتد بين الخليج والازبكية في بداية القرن الثامن عشر كبيرا • ويشير قناصل فرنسا - الذين عانوا منهم بعض المتصاعب - إلى ظهورهم بالقرب من المنطقة الفرنسية : أحمد كنتخدا (المتوفي عام ١٧٠٧) ثم عثمان أوداباشي حوالى ١٧٢٠ ، ثم على أوداباشي ، وقصر لي أحمد كنتخدا • وفي بداية القرن ، كان ابراهيم كنتخدا (المتوفي ١٧٠٤/٣) ، قد شيد مسجد في الازبكية مسجدا في كوم بلشيشي مسجدا • وسنلاحظ أن كتاب في التاريخ (١٧٠٤) (ميدان العتبة حاليا) • أما حول عام ١٧٠٤ ، فهناك فيو - حسب معلوماتنا - ابراهيم الصابونجي شوربجي المزيان ، الذي اشترى في العتبة الزرقاء بيت مصطفى آغا المزيان ، وذلك بعد أن كان - أي الأمير - بالفعل قد تملك بيتا في الضميمة •

وبعد ذلك بعدة سنوات - عام ١٧٣٤ - شيد عثمان كنتخدا الفازودوغل بالقرب من رصيف الخشاب ، مسجدا الحق به حمام وسبيل وكتاب • ويدل تزامم المجهور عند افتتاحه ، وكذا سكنى كنتخدا عثمان وسليمان الكاشف على قدم ملوس في عمران البيركة فيما وراء حي الرويى والعتبة الزرقاء ، المزدحمين منذ زمن بعيد • ومع ذلك ، فقد ظلت المنطقة الأكثر بعدا - منطقة قناطر الدكة - فيما يبدو يبنأى عن هذه الحركة ، كما كان على حي الساكت (٣٨) نفسه أن يظل منطقة خلاء شبه ريفية حتى عهد على بك (٣٩) • ويبدو أن اعتبار حي الازبكية كحي لسكنى الارستقراطية ، يعود إلى الوقت الذي أسس فيه رضوان الخافى كنتخدا العزبان بيته الشهير في العتبة الزرقاء ، وهو الذي كان يعرف باسم « ثلاثة ولية » ، والذي كانت قفاحته وبذخ

جدول رقم ٣ يبين توزيع الطبقة الأرستقراطية
على أحياء المدينة بين ١٧٥٥ و ١٧٩٨

المجموع	كشاف	ضباط	بكوات	
القاهرة	٢٠ يمثلون ٢٠٪	٩ يمثلون ٢٢٪	١٥ يمثلون ٩٪	٨ يمثلون ٩٪
حى القلعة	٣٢ يمثلون ١٦٪	٧ يمثلون ١٥٪	٨ يمثلون ١٢٪	٥ يمثلون ٦٪
دقة الشط الأمير للحلج *	٥٣ يمثلون ٢٧ /	٦ يمثلون ١٣ /	١٢ يمثلون ١٩ /	٣٤ يمثلون ٢١ /
الشط الأمير للحلج *	٨٦ يمثلون ٤٥ /	٢٢ يمثلون ٥٠ /	٣٠ يمثلون ٤٥ /	٣٤ يمثلون ٥١ /
المجموع	١٩١	٤٤	٦٦	٨١

* تدخل في الشط الأمير بركة الفيل وتدخل الأريكة في الشط الأمير (٤١)

جدول رقم ٤

توزيع الطبقة الأرستقراطية على أحياء المدينة
عام ١٧٩٨:

المجموع	كشاف	ضباط	بكوات	
القاهرة	٢٢ يمثلون ١٦٪	٨ يمثلون ٢١٪	١٠ يمثلون ٢٦٪	٤ يمثلون ٧٪
حى القلعة	١٣ يمثلون ١٠٪	٦ يمثلون ١٦٪	٥ يمثلون ١٣٪	٠
دقة الشط الأمير للحلج *	٣٣ يمثلون ٢٥ /	١٠ يمثلون ١٠ /	٦ يمثلون ١٣ /	١٠ يمثلون ١٠ /
الشط الأمير للحلج *	٦٢ يمثلون ٤٧ /	١٠ يمثلون ٥١ /	٧ يمثلون ٤٥ /	٢٠ يمثلون ٥١ /
المجموع	١٣٠	٢٧	٢٩	٥٥

* نفس الملاحظة السابقة (٤٢)

للطبقة الحاكمة الى سكنى مناطق مختلفة • وهو ما يبدو بوضوح - وعلى وجه الخصوص - في الحيين اللذين كانا مقرين لسكنى الصفوة المتأخرة ، وهما الأريكة وبركة الفيل - حتى لتبدو هذه التغيرات التى طرأت على الحدود الجغرافية لمقار سكنى الطبقة الأرستقراطية ترجمة صادقة لتلك التغيرات التى طرأت على الهيكلية الداخلية لهذه الطبقة •

(١) مقر سكنى البكوات

كان مقر البكوات للقاهرة عند نهاية القرن الثامن عشر تاما لدرجة لا تمكس الأرقام حقيقتها (٨ بكوات بين ١٧٥٥ و ١٧٩٨ وأربعة عام ١٧٩٨) • فمعظم البيوت التى تتركها هناك

هذه الهيكلية المملوكية ، كانت وطبيعة كاشف تمثل مرحلة وسيطة قبل الحصول على رتبة بك • يمكننا الجدولان ٣ و ٤ من أن نرسم المخطط العامة لتطور الأحياء الأرستقراطية فيما بين ١٧٥٥ و ١٧٩٨ • وأول هذه المخطوط العامة ، هو الميل الى تفصيل الشط الأمير للخليج كمناطق لسكنى الأمراء ، اذ ان نسبتهم هناك ترتفع من ١٩٪ بالنسبة للمجموع الكلى في بداية القرن السادس عشر وحتى ما بين ١٦٥٠ و ١٧٥٠ ، الى ٤٥٪ فيما بين ١٧٥٠ و ١٧٩٨ ، الى ٤٧٪ عام ١٧٩٨ نفسها • وقد استمرت بركة الفيل تلعب دورها كمناطق مفضلة لسكنى الأرستقراطيين ، وان لم يكن بطريقة جامعة ، فقد أصبحت جاذبية الأريكة شديدة الأثر عند نهاية القرن • والمخطط العام الثانى الواضح ، هو اتقاء مختلف العناصر المكونة

القريبة من القلعة - هي الأخرى - الى هياتها عند نهاية القرن . فقد انخفضت نسبتهم هناك من ١/٣٦ / عدد بداية القرن ال ١٦ الى ١/١٣ من البكوات فيما بين ١٦٥٠ - ١٧٥٥ ، ثم الى ١/٦ فقط فيما بين ١٧٥٥ و ١٧٩٨ . وكانت أحر الأسر المملوكية الكبيرة التي احتفظت ببيتها هناك ، أسرة البلقية فقد ظل خليل بك بلعية - الذي مات عام ١٧٢٢/٢١ - يعيش هناك حتى وفاته ، لكننا نرى ابنه رضوان الذي توفي عام ١٨٠٠/١٨٠١ يجري وراء « الموصة » ، ويبنى لنفسه بيتا في الأزبكية . ولسنا نعرف من البكوات الذي عاشوا هناك حتى ١٧٩٨ سوى اثنين . وقد عانت قصبة رضوان من الشيء نفسه ، إذ أنها بعد أن عرفت نوعا من « العز » في أيام رضوان بك ، انتهى بها الأمر بعد ذلك أن أصبحت وقفا على الأعمال التجارية والصناعية (الحرفية) (٤٨) ومن الآن فصاعدا ، بدأ البكوات يتركزون حول كل من « سكة » بل وبركة الأزبكية ، وهما أوسع بحيرات « سكة » المدينة وأكثرها امتلاء بالماء - مصدر « سكة » في معظم أوقات السنة ، إذ بلغت « سكة » في ١٧٥٥ - ١٧٩٨ / ٥٠٪ فيما بين ١٧٥٥ و ١٧٩٨ . وبعد نهاية القرن كان كثير من هؤلاء البكوات - الذين كانت لهم حرية واسعة في الاختيار ، بين عدة بيوت « دور » يمتلك « على الأقل » دارا في ضواحي بركة الفيل - وعادة في حي قوصون بالذات - وأخرى في الأزبكية (٤٩) ، وكان ينتقل بالطبع بين كل منها حسب فصول السنة ، أو حسب أهوائه هو ، كما رأينا ذلك عند رضوان كتنخدا وإبراهيم كتنخدا عام ١٧٥٤ ، نفس الشيء الذي نجده عند علي بك الكبير ومحمد بك أبو الذهب واسماعيل بك الكبير ومراد بك ومحمد بك الألفي وإبراهيم بك الكبير وابنه مرزوق .

ومع ذلك فقد ظلت بركة الفيل هي الحي المفضل لسكنى الأرستقراطيين ، وقد خصه الجبوتي بجزء كبير من يومياته ، وخاصة عندما يتحدث عن هذا الحي في فصل الفيضان . وكانت دور هذه الطبقة تحيط بسلطان البركة في شبه حزام ، إذ كانوا - وحدهم تقريبا - القاطنين على الشط الشمالي للبركة ، في الداودية وبخاصة على شطها الشرقي ، في قوصون الذي كان يحق

كانت مركزة في ذلك الحي الخارجي الشاذ حي درب السعادة الذي خطى بوع من الاحرام في تلك الفترة . أما على بقية المساكن فقد كان مساكين ثانوية « دور صغيرة » - ويمكن أن نقول إذن - بالنسبة للبكوات - أن جنود القاهرة العاطفية القديمة كانت تشكل حدودا حقيقية ، لم يعد أحد منهم يقيم وراءها ، اللهم الا على شواطئ ترعة المدينة نفسها ، وتوارت « الدور الصغيرة » في حواري وأزقة الأحياء القديمة للقاهرة ، شرق القصبة : بالقرب من الجامع الأزهر في شارع الشنواني (٤٣) وفي الكمين (أحد أعما شويكار ، عبد الرحمن أغا ، علي بك جركس) ، وبالقرب من المشهد الحسيني (سالم بك الاسماعيل ، أو في بيت القاضي « الست نفيسة زوجة مراد بك ، (٤٤) ، وكان لكل أمير بيت كبير « دار كبيرة » حيث كان يقيم مع أسرته ومواليه ثم بيت أو بيتان صغيران « دار أو دارين صغير » وكان يحتفظ بمكانهما سرا بقدر ما يستطيع . إذ كان يودع فيها (أو فيها) - عبد الله ورد - نرواته النفيسة (٤٥) وفي أوقات الأزمات الخيرية في المدينة ، كان يرى الامير « سكة » في الهزيمة أو النفي ، مشغولين بإنقاذ نرواتهم « دورهم الصغيرة » قبل اختفائهم ، تاركين بيوتهم الرئيسية « الكبيرة » شبه خالية (٤٦) لكن هذه البيئة ، كثيرا ما تكون عديمة الجدوى ، ذلك أن الحزب المنتصر كان يتوصل الى معرفة هذه « الخزانة » ، ويضع يده على ما كان مخبئا فيها بالقبض على حراس هذه البيوت « القفس » واستجوابهم . وكانت هذه الدور الصغيرة تستخدم - كذلك - كملجأ في الأيام العصيبة . وبهذه الطريقة مثلا ، فإن المملوكين التابعين لاسدس بك - والذين منحها سيدها رتبة البكوية عام ١٧٧٧ ، كما استكنهما في قصور الحزب المهزوم. فيصبح سالم بك بيت يوسف بك ومنح على بك جركس بيت مراد بك - بهذه الطريقة اختفى هذان المملوكان بعد أن أرسل سيدهما الى المنفى. وعاشا في داريهما الصغيرتين بعيدا عن مجرى الاحداث ، الى أن أتاح لهما وصول حسن باشا ، وعودة اسماعيل بك من المنفى ، أن يستعيدا مركزيهما لـ « داريهما الكبيرتين » (٤٧) .

ووصلت حركة هجر الأرستقراطيين للأحياء

المضيئة ، مكونة بذلك حالة من أضواء متحركة ،
 سمير ماطرهما كل لحظة ، (٥٣) . وابتداء من
 اللحظة التي سكن فيها الأميران المسيطران بعد
 عام ١٧٥٥ : حينئذ بك الصابونجي المتوفى عام
 ١٧٥٧ ، ثم على بك الغزوى المتوفى عام ١٧٦٠/٥٩
 في نفس البيت الذي كان يملكه إبراهيم كتنخدا ،
 فإن عدد اليكوات الذين بدأوا يستوطنون البركة
 أخذ يزداد أكثر فأكثر ، حتى لتكاد تصبح قاصرة
 عليهم ، لكن ازدحام الشغل الشرقي ، ووجود الحلي
 القبطية جهة الشمال ، أدى بالأمراء إلى الاتجاه
 غرب الأوبكية نحو ورصف الحساب ، حيث أقام
 حسن بك الأوبكاري قبل عام ١٧٦٧ ، وحيث شيد
 على بك حوالي ١٧٧٠ بيتا ليست نفيسة ثم أخيرا
 نحو حي الساكن الذي كان على بك قد طهره من
 الأماكن السيئة ، وهناك بنى رضوان بك بقلية
 عام ١٧٧٦ ، ثم شيد محمد بك الألفي عام ١٧٩٧
 قصره المنيف الذي قدر له أن يكون مقرا لكل من
 بطريرك وكليمير .

(ب) النضباط والكشاف :

نوع الأحياء التي انحصرت فيها إقامة
 النضباط والكشاف . وكشفت مع درعهم دحس
 أنفحة استيظرة ، وبالرغم من تكامل الأوجاقات
 مع النظام الملئوئي وداخله في نهاية القرن ، فإن
 النضباط والكشاف كانوا يسكنون - في غالب
 الأحيان - أحياء مختلفة .

وكان عدد كبير من النضباط والكشاف يسكنون
 القاهرة التي هجرها الأرستقراطيون من اليكوات ،
 وقد بلغت نسبة مساكن النضباط حسيما عرف
 من البيوت الارستقراطية هناك ٢٢٪ بين عام
 ١٧٥٥ و ١٧٩٨ ، و ٢٦٪ في عام ١٧٩٨ . أما
 عن الكشاف ، فقد كانت نسبتهم في الفترة على
 التوالي ٢٠٪ و ٢١٪ ، وهذا مما يسمح بتبيان
 درجة التدهور التي بلغها دور العسكريين في الحياة
 السياسية ، وكذلك بلا شك بتبيان ارتباطهم
 القوية بالطبقات المدنية . وكانت غالبية هذه
 المساكن تقع جنوب القاهرة ، وخاصة بالقرب من
 درب السعادة - الذي سبق أن شاهدنا ما كانت
 له من جاذبية على اليكوات - وكذا حول القلعة
 ذلك أن حركة الهجرة التي سبق أن شاهدناها
 عند اليكوات لم تصل لنفس الدرجة عند النضباط

قلعة الارستقراطية . وما يتطابق مع هذه
 الهيئتين للأحياء حول بركة الفيل ، ما فعله
 محمد بك الألفي ، حين انتقل للإقامة في حي
 قوصون ما أن ترقى لرتبة سنجق ، بعد أن كان
 يقطن في شيخ الطلام ، حين كان « مجرد » كاشف ،
 وهذا نفس ما نراه عند إبراهيم بك الكبير ، إذ
 أسرع إلى ترك منزله في درب الجماميز ، وذهب
 للإقامة في منزله سيده في حي قوصون ، عقب
 وفاة الأخير فاتحا له - يوفاته تلك - الطريق إلى
 السلطة .

ومع ذلك فقد كان على الشغل الأسر للخليج
 عام ١٧٩٨ - ولأول مرة في تاريخ المدينة - عدد
 من بيوت الأمراء ، أكبر من ذلك العدد الذي كان
 وجودا على الشغل الأمين (إذا تفاضينا عن
 القاهرة) ، إذ كان به ٢٦ بيتا في مقابل ٥
 (أي ٤٧٪ في مقابل ٤٥٪) (٥٠) . وإذا كان
 حي عابدين (٧ مساكن لليكوات عام ١٧٩٨) ،
 وشغلطان للخليج بين باب الحرق وباب الضعيرة
 (٧ مساكن تحدث) - ١٥

بين الأحياء التي كان يحصل سكاها اليكوات ، فقد
 كانت الأوبكية - على وجه الخصوص - هي التي
 تجذبهم قرب نهاية القرن (٢٤) عام ١٧٩٨
 وحتى حوالي ١٧٨٠ ظل أبناء الطبيعة الجبوجوارية
 يقيمون فيها بأعداد كبيرة (٥١) وعندما أشار
 الجبرتي لإعادة بناء حي الساكن - بعد أن خربته
 الحرائق عام ١٧٧٦ - تكتشف من بين الأسماء الأربعة
 التي عادت تقيم مساكن لها هناك - حسيما ذكر -
 أسماء ثلاثة من كبار التجار ، في مقابل بك واحد
 هو رضوان بك بلقيه (٥٢) . ومع ذلك ، ففي
 هذه العدة ، كانت شمسرة الأوبكية - كمركز
 للنزهات الخلوية والمعدات والتصنيف والمتح
 النيلية - أوقات التقيصان - ذائعة ، وكانت تقارير
 الرحالة تعكس صدى لهذا الموضوع يتفق مع
 أوصاف المؤرخين وقصائد الشعراء ، ولندكر على
 سبيل المثال ما كتبه Savary عام ١٧٨٠ ، بمناسبة
 افتتاح سدة الخليج ، وكان أكبر العشود بطبيعة
 الحال عند الأوبكية ، وهي أوسع مناطق المدينة ،
 ويبلغ محيطها أكثر من نصف فرسخ ، وتكون
 بحره واسعة محاطة بقصور اليكوات ، وهي
 مضاءة بأضواء مختلفة الألوان ، وتصبح فوقها
 آلاف من المراكب ذات صوار تتدلى منها المصابيح

١٧٩٨ ، و ٤ ضباط فى مقابل ٢٠ بك عام ١٧٩٨ (١٢٪ ثم ١٠٪ من الضباط) . ومن جهة أخرى ، فاننا لم نعد نجدهم الا فى الأحياء الأقل جاذبية بالنسبة للبكوات ، على المشطان القريبة والجنوبية للبركة (درب الجماعين وشيخ الطلام) . ويمكن ان نتابع حتى نهاية القرن رحيلهم من الداودية التى كانت أعدادهم فيها كبيرة قبل عام ١٧٥٥ ، عندما كان التفوذ السياسى للأوجاقات لا يزال مؤثرا .

أما بخصوص الكشف ، فقد كانت غيبتهم عن بركة الفيل تامة ، ولذا فاننا لا نجد لهم أثرا الا عند الطرف الجنوبى للحى . وقد ساهم الكشف والضباط - مثلهم فى ذلك مثل البكوات - فى الاتجاه نحو الشط الأيسر للخليج ، أثناء النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، كما يبين ذلك الجدول الآتى :

١٧٩٨		١٧٥٥ - ١٧٩٨		١٧٥٥ - ١٧٩٨		نوع	
الشط الأيمن	الشط الأيسر	الشط الأيمن	الشط الأيسر	الشط الأيمن	الشط الأيسر		
٤٥٪	٤٧٪	٤١٪	٤٨٪	١٣٪	٨٦٪	بكوات	
٢٨٪	٤٤٪	٤٥٪	٣١٪	٢٢٪	٦٥٪	ضباط	
٢٦٪	٥١٪	٥٠٪	٢٨٪	-	-	كشاف	

• لم تحسب القاهرة ضمن الشط الأيمن فى هذا الجدول

(٢٠٪ من العسكريين فيما بين ١٧٥٠ و ١٧٥٥ ، ١٢٪ فيما بين ١٧٥٥ و ١٧٩٨ ، ١٣٪ عام ١٧٩٨) ونفس الأمر فيما يخص بالكشاف ، ١٥٪ فيما بين ١٧٥٥ - ١٧٩٨ ، ثم ١٦٪ فى ١٧٩٨ (٥٤٪ وفى هذه الأحياء التى هجرها البكوات ، كان الكشف والضباط يميلون للتجمع فى مناطق محددة : التبانة ودرب الأحمر للأوليين (٦ من ٧) ، وسويقة العزى وسوق السلاح للآخرين (٥ من ٥) .

وفى بركة الفيل ، حدثت من جانب الضباط حركة انسحاب ذات دلالة ، اذ بينما كان عددهم هناك كبيرا قبل عام ١٧٥٥ (٣٤٪ من المجموع الكلى للضباط مقابل ١٨٪ للبكوات) ، بدا أنهم أخذوا ينحسرون أثناء النصف الثانى من القرن . أمام « غزو » البكوات ، فلم يعد عددهم يتجاوز ٨ ضباط فى مقابل ٢٧ بك فيما بين ١٧٥٥ و

شيدته عندما كان لازال كاشفا . فضلا عن ذلك فربما كان قاسم الكاشف جزءا من قدر هذا الحى « حى الكبراء والوجهاء » حسب تعبير الجبرتي ، ذلك انه لم يكتف بآن شيد لنفسه هناك قصرا رائعا باهظ التكاليف بل انه زوده بحديقة واسعة ، كان مخولا للجمهور أن يأتى فيها بكل مايمكن أن يساهم فى جعل الناصرية حيا حديثا

وبالمقاييس التى يمكن عن طريقها الوصول الى نتائج من المعطيات المتناثرة ، فانه يبدو أن هذا التركيز كان بمثابة « جزر » متناثرة ومتجانسة نسبيا ، فقد كانت الناصرية على سبيل المثال حيا للكشاف ، اذ نجد بها عام ١٧٩٨ خمسة بيوت لكشاف من بين ٦ بيوت أمكن حصرها ، أما السادس فقد كان قاسم بك أبو سيف قد

العمامة من وسطها - محاطا ، طوال القرن
الثامن عشر ، بالبيوت الفخمة ، وخاصة في
سه اربعة بين درب السعادة وباب الشعيرة .
ولكن ، اذا تان الخليج يضل يروح بصنوف
النباهج انيليه الباذخه عند فتح السسده التي
يفصله عن النيل ، فانه كان يعود فيصحب - بعد
انتهاء الفيسان - مجرد مستنقع كرية الرائحة ،
كما أن فله اهتمام الحاكم بأمره لصالح العام
فيما يخص مسائل العمران ، قد زاد من خطورة
الموقف ، بالإضافة الى أن الترسيب المستمر للطمي
قد قصر لدرجة ملحوظة من مسرة جريان مياه النيل
في الخليج ، ونتيجة لاستمرار وازدياد حركه
الترسيب التي غمرت الشط الغربي ، وامنت نحو
باب البحر وباب اللوق ، فان عددا كبيرا من
الأمرء قد توجه الى شواطئ الاربيكه والى حدائق
شط الأمير .

وفي الحقيقة ، فإن الأمرء منذ زمن طويل ،
كما هو مرصود في جوار
نيل ، وشيدوا القصور فيما بين بولاق ومصر
وذلك كانوا يعمون بمباحج الريف ،
التي كانت فيه هسه امطعه
تتوسطها شوارع راسية لهم ، بعيدا عن اضطراب
التي يسمونها بـ "بوم" يقول البارون دي توت
Baron de Tott عام ١٧٧٩ ، وفي هذه البيوت
يرعى ، على وجه الخصوص ، فإن « الكبار »
يفترشهم من النيل ، كانوا يعمون بشروعاتهم ،
ولدت بالطقس الريفي البديع ، دون أن يبتعدوا
عن شواطئهم ، (٥٩) . وكانت المناطق المفضلة
للسكنى لدى الأمرء هي بولاق ومنطقة جزيرة
الروسة والمقياس في مصر القديمة (ابراهيم بك
أبو شنب قبل عام ١٧١٩ ، ومحمد بك ابن ابوط
قبل ١٧٢٢) وابراهيم كتخدا ومحمد بك الثاني
١٠٠ (الخ) وخصوصا منطقة قصر العيني ، حيث
كان لا يواط بك ، الدافع للصيت ، أحد القصور ،
وحيث كان على عديد من الأمرء أن يقيموا هناك
طوال القرن . وكثيرا ما كان الأمرء ذوو النفوذ ،
يدعون اليشا الى هناك لحضور حفلات بادخة ،
قرب نهاية القرن ، كان يأتي للإقامة فيها - في
بعض الاحيان - الباشوات المعزولون - أو حديثو
التصني - بدلا من الإقامة في بيوت المدينة
الحقيقية . كما كان يحدث قبل ذلك ، بل كان
يحدث أن يجتمع « الديوان » هناك (٦٠) ، فقد

« مودرن » (٥٥) - وإذا كان الضباط والكشاف
قد اختلطوا في الحي المجاور - حي الخنفي -
فقد كانت منطقتا عابدين وباب الخرق خاصين
بالضباط ، كما كانت باب اللوق خاصة بالكشاف
كما أننا نجد الكشاف أيضا بمحاذاة الخليج ، بين
كوبرى الموسكى وباب الشعيرة ، بينما بدا أن
بركة الرطلى كانت هي المكان المفضل لسكنى
الضباط ، قبل نهاية القرن ، لكن المساكن هناك
كانت بلاشك محصورة لفترة الصيف ، فقد كان
عمر جلاويش ، وحسن كتخدا الشعراوي ،
وسليمان اغا ، وعلى كتخدا يشكلون بيوتا أخرى
بالمدينة - على أن جاذبية بركة الرطلى بدأت تفقد
تاثيرها قرب نهاية القرن (٥٦) .

وفي الأزبكية - كما هي بركة القيل - نجد
نفس الطاهرة ، فضباط الأوجاقات (وخاصة
ضباط العربان) الذين ساهموا بتصويب كبير في
نمو هذا الحي ، ظل عدد كبير منهم يسكن قرى
من البركة ، لكن مع التراجع أمام ربح
اليكوات : ١١ ضابطا في مقابل ١٦ بك مسير
١٧٥٥ و ١٧٩٨ ، و ٧ في مقابل ١٤ عام
١٧٩٨ أما بخصوص الكشافات ، فقد كان
الضباط يقيمون في بيوتهم في القرى القريبة
عن بركة القيل (٥٧) .

العوامل الرئيسية في تطور الأحياء الأرستقراطية في القرن الثامن عشر

يعتبر الانجذاب نحو الأماكن الخالية ونحو
المياه - الضرورية لتحقيق البهجة بقدر ما هي
ضرورية للحياة نفسها (٥٨) - العامل الأساسي
في تطور الأحياء التي احتضارها الأرستقراطيون
لسكنها . وفي هذا تفسير لاندفاعهم المستمر
نحو الشمال الغربي ، الذي اتخذ طوال تاريخ
المدينة شكل الطاهرة الطبيعية ، حتى وصل إلى
الخليج ثم تجاوزه متوقفا عند البرك (البحيرات)
التي كانت تحده المدينة العثمانية في الغرب ، ثم
واصل سيره في القرن التاسع عشر والعصر
المعشرين ، حتى وصل إلى النيل ثم إلى ما وراء
النيل . وكان الخليج - الذي كان يعبر المدينة

سند إبراهيم بك الكبير اجتماعا تاريخيا في قصره في مملكة مصر العيني عام ١٧٩٨ ، عند وصول حميه بونابرت - وقسرب عام ١٧٨٠ - بدأوا يذهبون الى مورا النيل ، وقد بقي اسماعيل بك لنفسه قصرا في الجزيرة وهو نفس القصر الذي حسب مراد بك لادامه فيه عام ١٧٩١ ، وجعل منه مقرا دائما لادامته ، وعلى الاثر ، جاء بلاط لاهل لادامه حوله ، وقد راد من سريعه هذا الانتقال نحو الشمال العربي بالطبع ، حركة هجر الاحياء ، العربييه من اقلعه ، لاسباب تتعلق - في جزء منها - بالعدم الامن (٦١) - وقد أشار لتأنيب « وصف مصر » ، الى وجود حرائب حول القلعه ، سيد بسفور هذه المنطقه قريب نيايه القرن ، منها حرايه الرجبية وحرايه مشعل ، وحرايه البياحور ، وحرايه مصفور ، وفي كل مكان تات حرايات - وفي كل مكان ايضا تات البيوب لهجورة حتي في داخل اقلعه نفسها ، واصبح يظن هذا الحي - الذي لان قريبا مصى حي «دوستقرطيه» من الآن فصاعدا ، وحلييه في اجرة ، بجوبي منه ، شمس فير ميهد ، بن - عسيبيه نفسها قد أصبحت في الإحري -

س : الحيا و ه .

وقد حدث نفس اسطور بسبب -

حيث تات الاشطه الاقتصادية غاملا ، حركه ١٩١٥ -

سختي الأرستقراطية ، يسيم الكثير من المصايفات الماديه التي تنتج عنها (والتي يجب ان نصيف اليها صعوبة الحصول - في منطقته مجاريه وصناعية كهته - على المساكن العسيبه التي يحتاج اليها البكوات) ، وما يتبعها كذلك من ظهور أعداد عفيره من اصحاب الحوانيت وصناعات ، الذين تنتظمهم طوائف الحرف رستيطات الاحياء « المزعجه » - ولذا فان الثور حتى ابداء الألفي تيجاه المدينه وسكانها ، لم يكن - بالتاكيد - قاصيرا عليه ، بل ان أبناء طبقته بلاشك كانوا يشاركونه اياه ، فهذا البك ، الذي كان يمتلك - خارج المدينه - عددا من البيوت ، كان يتعاشي اخراق المدينه أثناء انتقاله من بيت لآخر ، اذ كان يعاف المرور وسط اسواق كي لا يتيح بذلك العرصة لاصحاب الحوانيت والمارة ان يتفجروا عليه -

ان التطور الاقتصادي للمدينه ، وكذا نمو وانتغال مناطق الانشطه التجارية والحرفية - قد

تعب دورا هاما - وان يكن سلبيا - في تحديد احياء سكى « الكبار » في القرن الثامن عشر ، لدى العاصره نفسها - وهي مركز الحياه الاقتصادية - كانت حركه الهجرة الى خارجيه - قد لعبت بدايه القرن ، اما ما تبقى من مساكن الأرستقراطية هناك ، فقد كانت مركزة في الجنوب غربي بمحاذاة الخليج ، في حي درب السعادة ، نسي كان بعيدا عن الفوصاء المحبوه المسيطره في بقية المدينه ، في الوقت الذي كان يبدو فيه ان حيا أكثر اقترابا كحي خوشقدم ، الذي كان يهوا كحي « للأمرء والوجهاء » ، قد خلا من كبار الدين سبق أن سكنوه - وبفس الطريقة ، ان وجود المراكز الاقتصادية النشطه عند تحوم المدينه ، يفسر لنا - ولو حثريا - تجمع بعض وت اكبار كجزر « مجموعات » صغيره ، حث ادت نشاء بعض هذه الانشطه (وخاصة المداين والسلخانات الى انتعاشهم ، وفي شمال الأريكية في باب الشعريه وباب الحديد حيث تتجمع الصناعه - وش النجارة ، غارنقات الخل ومعدن الحديد ، والمغازل ، والماسج ، وحيث - لنشطاء واسع ، لم يكن ثمة - وبالمثل ، فان تواجده - في باب لحر وباب اللوق « وخاصة السلخانات والمداين والماسج » -

عند الأبواب (باب اللوق ، بركة السقاين - صاير السباع) ، قد أدى بلاشك لنفس النتيجه ذ كانت بيوت البكوات تقع أبعد من ذلك جهة شرق ، على مسافه من مساكن المدينه -

هـ : الاحياء الواقعة بين الرميته وابن طولون والأبواب ، فقد عرفت حركه ونشاطا كبيرين ، بدت تسيطر فيها تجارة الماشيه والحبوب وتجارة الخضر والأسماك ، وكذا سلخانات درب الخليفة ، ولذا فقد هجرها « الكبار » ، وتركت المنطقه - كما قلنا فيما سبق - للطبقات الضعيفه ، أساسا حي الخليفة « أولاد القرافه » ، ولتجار الخضار في الرميته ، الذين سيلعبون دورا بارزا في الأزمان الكبرى ، التي حدثت في بابه القرن الثامن عشر ، وبدايه القرن التاسع عشر - أما حي مويقه العصفور ، بين بركة العيل وسحت الربع ، والذي كان قد عرف بعض الانتعاش عقب نعل المداين منه ، فقد عاد يتدهور



أحمد مساحد القاهرة

الاجابة نسبيا * ونلمس نفس هذه الخاصية عند العربان ، اذ يدعى ادموا في العراق بين الخليج والازبكية ، في القرن الثامن عشر ، بالاضافه الى عرب يحيى واضح ، اذ يسكن بمراتة ضباطه ، واجباق عند الحاجه * وتكشف خريطة توزيع المناطق الارستقراطية عام ١٧٨٩ - بوضوح - عن ميل الى التركيز يلاحظ - بالطبع ، وعلى وجه الخصوص - عند فئة الهيرارشيية ، فقد كان البكوات يقطعون حول بركة الفيل ، وفي عايدين ، وعند الازبكية ، وبحاذة الخليج ، وشمال باب الخرق ، اذ امكن تحديد ٤٨ بيتا من ٥٥ في هذه المناطق ، وكان الصباط يستكون جنوب القاهرة - درب السعادة ، وفي سوق السلالة وبركة الفيل والحنفى وعمايدين والازبكية : ٣١ مسكنا من مجموع ٣٨ ، وآخرها ، فقد كان الكشاف يقيمون في درب الاحمر ، والثاصرية ، والحنفى وباب تلوى ، وشواطئ الخليج *

وعلى العكس من ذلك ، فإن تدهور بعض
الاحياء - حينما لا يكون ثمة سبب ظاهر لذلك -
لا يمكن تفسيره الا بنوع من « البلى » ، وهو أحد
أشكال تغير « الموضة » ، وربما كانت هذه هي
حال درب الحمامز - الحى الواقع الى الغرب من

مركز لاقامة الطبقة الارستقراطية ، حوالي نهاية القرن الثامن عشر ، ربما بسبب اتساع الانتعاش الحرفي والتجاري خلف باب بويقة (الاعراب المنصبة بالملابس) .
وفي عام ١٧٨٧ بنى اسماعيل بك قراية لاشيبي (٦٢) ، فيضربه على حد اعتدال حائونا ، نقل اليها سوق درب الجوامير ، بدأ كان فيه من قماشين ودلائن (٦٣) . ومن العلامات ابدالة على هذا التدهور ، أن بيت لاشين بك ، الذي آل الى عبد الرحمن أغا ، ظل شافرا بعد موت الاخير عام ١٧٧٨ .

ومع ذلك فإن الكثير من الخطوط التي اتبعتها حركة الوطن الأرستقراطي ، لا تخضع لتلك التفسيرات ، ويجب علينا أن ندخل في الاعتبار ، العوامل النفسية ، الفردية والجماعية ، فازدهار حي وتدهور آخر ، لا يمكن تفسيره فيما يبدو إلا بتغير « المؤسسة » ، حيث كان أسرع أشكال « التقليعات » انتشارا ، تقليد الأمراء المرموقين ، فقد ساهم إبراهيم كتنخدا ، ورضوان كتنخدا حوالي عام ١٧٥٠ في « اقتحام » الأزيكية ، كما « اقتحم » قاسم الكاشف فيما بعد حي الباصرية ، وكما « اقتحم » مراد بك الجربة . وهكذا يتضح الميل إلى التمييز الاجتماعي الذي سبقت الإشارة إليه ، يتكون إجماعا خاصة

مسالم بك وعلي بك جرجس ، ويسميان أُنْد ، من
سيدهما اسماعيل بك الى « داريهما الصغيتي »
في القاهرة ، ولا يحصلان على مكانتهما
و « داريهما الكبيرين » الا بعد عودة اسماعيل
بك - وحانه محمد بك الانفي ، تبين لنا كيف ان
مرء يمشي ان تخط مكانته اذا لم يقم ببيت وهي
حتى يتناسب مع مكانته ، اد انه عندما عاد من
الشي عام ١٧٦١ ، ذهب ليقيم في داره القديمة -
بلاست في شيخ الطلام - وعاش هناك في شبه
« سيد » ، الى اللحظة التي أصبح فيها مهددا
بفقد كل مملوئه ، وعرض فيها لانتقامات
« لحيظي » به - وهنا قرر ان يعاود نشاطه ،
وابدى وعيته في العودة الى حياة تتناسب مع
مرزقه ، وذلك بالدهساب الى دري المساعدة
الاولم هناك .

وفي هذه الظروف فإن «أيلول» والبيت، كانت تشكل لحظة حاسمة في خلافة الأمراء، تلك اللحظة التي كانت تتم بطريقة طبيعية، فعندما يموت سيده في وقت قاصد أو بعد (٦٤) - أو بعد نشوب ثورة - عندما كان لا يزال صغيرا، يتسلم الوظائف التي تركها له أباه أو جده، إما بوثهم أو بهرمهم، كما كان يتم في نفس الوقت دورهم (٦٥) - يملوك بين «مبع الحيث» - أي بيت سلعة - يعتبر تأكيداً لهذا «الترقي» الجديد - بطريقة ملموسة - يحصلوه على السلطة والقوة - وفي إجراءات الأيلول هذه، كانت السيدات يلعبن دورا هاما، ففي مجتمع تحكمه القوة، وفي غيبة عامل الاستقرار الذي تهبطه أوراثة عادة، فقد كن يشكلن عنصرا لاستمرار نمسبي - وعن طريق زيجات تتم بالرضا أو - لأنراه كان ممنوع نوس لنفسه املاك وصدة ودار سلعة - أو طيلة دار الأمير المهزوم - ويعطى بذلك لخلافه اياه نوعا من الشرعية - وفي هذه الحالة أيضا، فإن الإقامة في البيت - كان بمثابة تضسيد مادي لعملية انتقال السلطة.

ان تطور جغرافية الاحياء التي اقامت فيها الطبقة الحاكمة في مصر في القرن الثامن عشر ، ينتج اذن عن مجموعة من العوامل ، فمن الناحية المادية كانت هذه الطبقة تنشد الاماكن

(١٤) تحريف شائع لدى العامة لكلمة (أمير الجيوش).

مسجد الرومي ولد بوفى عام ١٧٣٤ (الجزى ج ١ ص ١٧٦) .

(٢٦) النمراتى ص ٢٧٢ .

(٢٧) النمراتى ص ٤١١ والجزى ج ١ ص ٢٨٨ .

(٢٨) يقع حى السكان غرب الأزيكة .

(٢٩) انظر الأحداث التى أدخ لها الجبرى من عام ١١٢٥ هـ - ١٧٢٢ م . ج ١ ص ٥٧ وانظر كذلك ج ٢ ص ٢٤٢ .

(٣٠) كان لكل من رضوان تخندا وإبراهيم تخندا بيتا فى بركة الليل لى حى قوصون .

(٣١) كان بالأزيكة وحدها ١٢٤ من المجموع الكلى (١٦ بك ١٤ أصباطا ، وكاشف واحد) بينما كان ببركة الليل وحدها ٢٠ من المجموع الكلى (٢٧ بك ٨ أصباط ، ٤ كشاف) .

(٣٢) كان بالأزيكة وحدها ١٥٠ من المجموع الكلى (١٢ بك ٧ أصباط ، وكاشف واحد) بينما كان ببركة العمل وحدها ٢٠ من المجموع الكلى (٢٠ بك ١٠ أصباط ، ٢ كشافان) .

(٣٣) Description de l'Égypte . ص ٤٣٠ .

شور

(٣٤) لم يكن الإمراء هم الوحيدون الذين يمكنون دورا فى ذلك وصف مصر شمس ال أن الشيخ السار كان يمتلك دارا صغيرة بالقرب من خان الخليلى .

(٣٥) الجبرى ج ٢ ص ١١ ، ١١٧ و ج ٢ ص ٦٠ .

(٣٦) سبيل المثال ماحدث عام ١٧٧٨ عند رحيل اتباع إسفاميل بك (اشرف الجبرى ج ٢ ص ١١٠ ، ١١٢) وماحدث عام ١٧٩٨ (الجزى ج ٢ ص ٦) .

(٣٧) كما حدث عام ١٧٨٦ (الجبرى ج ٢ ص ١١٧) .

(٣٨) خلف حسن بك فى قسبة رضوان الموات صفار

وهذا دليل راجح على تطور مكانة الحى .

(٣٩) كلى لميلى بك الكبير ٣ بيوت ولحمه بك أبو الذهب اثنان ، ولإسماعيل بك اثنان ، أما مراد بك فكان له ٦ بيوت وكان لمحمد بك الألفى نفس العدد ولزروق بك ٤ ولإبراهيم بك الكبير ٥ .

(٤٠) كان هناك على الشط الأيمن - باستثناء القاهرة - ٣٣ مسكنا للكبراء (تمثل ٦٢٪ من المجموع) فى مقابل ١٠ فقط على الشط الأيسر (تمثل ٢١٪) فى بداية القرن

السادس عشر ، ٣٢ منزلا للقبوات (تمثل ٨٦٪) فى مقابل ٥ (١٣٪) فى القدة من ١٦٥٠ الى ١٧٥٥ و ٢٩ منزلا للقبوات (٢١٨٪) مقابل ٣٤ (٤١٪) فى القدة من ١٧٥٥ - ١٧٩٨ .

(٤١) يمكن أن نذكر عنهم حسب ماوردته الجبرى

الشيخ عبد الله الشيراوى شيخ الزهر (توفى عام ١٧٥٨) ثم ابنه عافر ، ثم السيد محمد النمراتى (توفى ١٧٦٥) ثم الشيخ المرحوم (توفى ١٧٦٨) ثم حرم الشيخ محمد الجزائرى (توفى عام ١٧٧٤) ثم الشيخ أحمد القبرى (توفى ١٧٧٤) ثم الشريف محمد الأسير (توفى ١٧٧٧) ثم السيد أحمد الحموى

(٤٥) على سبيل المثال البيت أين تركه الواقع خلف الأزهر والذي كان واحدا من بيوت قدامى الإمراء ثم أصبح فيما بعد - عند نهاية القرن الثامن عشر - خاصا بالشيخ الشرفاوى . (الجزى ج ٤ ص ١٦١) .

(٤٦) على باشا مباركة - المخط الجديدة - ج ٢ ص ٩٦ . ولين قائمة الآثار الإسلامية بالقاهرة وجود سبيل

وكتاب باسم سليمان بك الخربوطلى فى هذه المنطقة .

(٤٧) صناعات وتجارة القصب (المرد : غسسه) وهو الأفعال الخنسية .

(٤٨) الجبرى ج ١ ص ٢٠٦ .

(٤٩) عاد الجبرى وهو يؤرخ لأحداث ١٨٠٠ ليتحدث عن «بيت الجالى» بالمغربش ج ٣ ص ١٢٧ .

(٥٠) النمراتى ص ٥٦ . وهذا البيت الجديد لى قوصون هو على وجه التحرف نفس البيت الذى سكنه بعد ذلك رضوان تخندا مملوك على الجالى .

(٥١) انظر -

G Wiet - Histoire de la Nation Egyptienne, pp. 510, 514, 581, 584

وكذلك Mosquées du Caire, pp. 141, 150, 151.

(٥٢) انظر مقالنا : ثورة القاهرة الملوكية ، مجلة المحلة - حد مارس ١٩٦٩ ، وهو يتناول هذا الحادث بالتفصيل بالإضافة على ماى حوسبه من تاريخ لهذه الأوصاف السبع .

(٥٣) النمراتى صفحات ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢١٩ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧ ، ١٣١٨ ، ١٣١٩ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ ، ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٢ ، ١٣٣٣ ، ١٣٣٤ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ ، ١٣٣٧ ، ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، ١٣٤٢ ، ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ ، ١٣٤٥ ، ١٣٤٦ ، ١٣٤٧ ، ١٣٤٨ ، ١٣٤٩ ، ١٣٥٠ ، ١٣٥١ ، ١٣٥٢ ، ١٣

(٦٠) كما حدث على سبيل المثال عام ١٧٨٨ (الجبرتي ج ٢ ص ١٦٢) .

(٦١) فلما كان الموقف في هذه المنطقة يتحسن حتى في النصف الثاني للقرن . انتظر الى ليان العسكرية التي كانت القلعة صرحا لها عام ١٧٧٧ ، ١٧٧٨ ، ١٧٨٤ ، ١٧٨٦ ، الجبرتي ج ٢ ص ص ١٠ ، ٢٢ ، ٨١ ، ١١٢ .

(٦٢) هو سوق القصر الذي ورد اسمه في كتاب وصف مصر (خريطة القاهرة) . على مباركة ج ٢ ص ٢٨ .

(٦٣) الجبرتي ج ٢ ص ١٥٢ .

(٦٤) الجبرتي ج ١ ص ١٣٦ .

(٦٥) كان بيت عثمان بك الشرفاوى يضم حسبا بعوله الجنرال Leclerc (اسطيلات لكلي له...) حصان . وثلاثي الحرب . من Lelerc الى Minov ٢٦ يونيو ١٨٠٠ .

(٦٦) كانت موصفة ، خلافة الأمراء في القرن الثامن عشر اكثر شوعا من الوراثة الطبيعية . على سبيل المثال آل البابا . القطار حتى خلف ذاك القطار بك ، وحسب من حين خلف ابراهيم كنفدا ، وحمد المايارودي حين خلف ابراهيم كنفدا .

(٦٧) الحرس من نوره ١٧٧٧ واستيلاء . على عاتق بك من سلطنة ، ج ٢ ص ص ١١ ، ١٢ .

(تولى ١٧٨٥/٤) . انظر الجبرتي ج ١ ص ص : ٢٠٨ ، ٢١٥ ، ٢١٢ ، ٣٧٩ ، ٤١١ و ج ٢ صفحات ١٥ ، ١٠٦ . (٥٦) اتجار الثلاثة هم : السيد عمر غراب ، السيد عبد السلام ، الحاج محمد محرم (الجبرتي ج ٢ ص ٣) . (٥٧) Savary : *Lettres sur l'Egypte* وكذلك انظر الجبرتي ج ٢ ص ١٧٧ و ج ٢ ص ٩٧ وبنقل الجبرتي فيها قصيدة لحسن العطار .

(٥٨) ولكن مما له دلالة ان ترى على سبيل المثال رهبان كنفدا تابع ابراهيم بك بتركه بيته في مسويقة المعزى وهو الذي كان من قبل منزل عيسى بك ليقيم فيدب الجماميز (الجبرتي ج ٢ ص ٢٩٠) .

(٥٩) انظر الجبرتي ج ٢ ص ص ٢١٨ ، ٢١٩ وفهما يسهب الجبرتي في وصف القصر وحديقته الواسعة وما نشاء فيها اليهود من مقام واماكن للهو والتمتع والترفيه الخ (٥٦) انظر مذكره الجبرتي عن البداودة وباب التسعيرة ودرج الجماميز وخوشقدم . ج ٢ ص ١٠٤ و ج ٤ ص ٢٩٢ .

(٥٧) امكن العثور على بيت واحد لآحد الكشاف (يعنى الكشاف) دون ان تتمكن من تحديد تاريخه بدقة . وكتاب وصف مصر .

(٥٨) بخصوص مشاكل تزويد القاهرة بالياه انظر مقالنا عن الصايفين في القاهرة . مجلة المجلة . عدد اكتوبر ١٩٦٦ .

(٥٩)

U script Secrète du Baron



صالة استقبال في أحد القصور القديمة

القاهرة

في

الرواية المصرية

بقلم: شارل فيثال

أستاذ الأدب العربي بجامعة اكس فرنسا

ترجمة: يحيى حقي

حيث ييكت المولىحي موابنيه لآنه يراهم لا يبدون
كبير عناية بآثارهم التاريخية ، ليس فى ذهنهم
عنها سوى الأسماء لا المسميات ذاتها (٣) ، ويحكم
بان قلة المبالاة هذه طبع متاصل فيهم (٤) .

«وربما وابتا المعري ساكن القاهرة يشرب
ويشيب ويكتهل ويشيق ويمرهم ولم ير من
الآهرام القائفة فى جواره غير صورها المرسومة على
ووق البريد ، وربما لم يلفت الى رؤيتها ذلك
ايضا حتى يشركه الموت»

وهذا الحكم القاسى الذى يرجع الى سنة ١٨٩٩
يتأبىه يحيى حقى سنة ١٩٤٣ ، اذ تجعل احدى
قصصه بطلها اسماعيل لا يرى ميدان السيدة
زينب حق الرؤية الا بعد أن اغترب عن مصر ،
وقد كانت أعوام دراسته فى إنجلترا امتحانا
شديدا لا يمانه ولكنه تعلم هناك كيف يتنوق جمال
المرأى غروب الشمس « كان لم يكن
فى مصر عروب لا مثل جمالا » (٥) .

ولم يكتف من الحسى عنها .
ففى رواية «الملك الناصر» التى
تسمى صورة حشود متكديسة
تألى إعطافه بالزوجة الانسانية عند الصعاب (٦)

«القاهرة تحولت فى عيني الى كلة مسكفة
من الثقافة ، ليس فيها رجال ، وليس فيها
مشاكل ، فيها فجعة حقفاء وصطب ابله» .

وكذلك يسخر عيد الرحمن الشرقاوى كثيرا
من مسلك أبناء القاهرة فهو يرميهم بتهمة لا براة
منها . ينطق بها ابن عمدة يدرس فى العاصمة (٧) .

« صلى عاتنى باجده ! حاكم العيال البئيس
بنوع مصر دول كلهم مابين ! قبا ! والناس
مايلا عيشي حسد من أهمل مصر دى كلها ..
لاهرم ولا رجاله .. مصر كلها حلوة .. حلوة
بيضة ! »

(٣) حديث عيسى بن هشام - ص ٢٧٥ .

(٤) المرجع السابق - ص ١٦٧ .

(٥) تعديل ام هاشم ص ٢٩ ، والمفهوم منها أحداثها
جرت فى مطلع القرن .

(٦) الجبل - ص ١٣٤ .

(٧) الشوارع الخلفية - ص ١٦٨

فى اعصره صدرت « ريب » - أول رواية
عربية (١) ولكن فى الدلائل حداثتها ، وكذلك
مصادف عن لامرأى عن « مصر فى
كتاب القصص العصرية » مصر فى
(٢) جدان حوال «علاج» و «
بالاهتمام . سمى سكان
أليهم أيضا نظر رواد الفن القصصى - السكان ،
نعم ، ولكن أين المدينة ؟ فهذا الانتاج القصصى
المستحق على مدى خمسين عاما مسح محال عند
بحياة سكان القاهرة فى أوساطهم المختلفة ، أما
مواقع المدينة ومعاملها التى تجرى فيها ومن حولها
الأحداث فانها تظل غير متضعة ، موصوفة اما
باقتضاب وأما بشج فى ظلال الألوان . فلا تملك
الا أن تذكر بعض فقرات من «عيسى بن هشام» ،

(١) من تأليف جيكل ، نشرها باسم مستعار هو
«معري فلاح» فى طبعها الأولى التى ييى ارجعها الى
سنة ١٩١٢ لا الى سنة ١٩١٤ كما هو الاعتقاد السائد حتى
اليوم ، اذ أن عيسى خسر عمر على تعريف بها فى أحد
تعداد مجلة «البيان» سنة ١٩١٢ - انظر كتابه ص ١١٢

(٢) لحمد تيمور ، نشرت سنة ١٩١٧ فى مجلة
«السفيرة» وهى أول قصة فى المجموعة التى صدرت بعد
وفد المؤلف باشراف أخيه محمود تيمور سنة ١٩٢٧ تحت
هوان «امراء الديون» .

ولتجاوز ذلك السجين الثامن على سارما وذلك
 يكون قد قطعنا شارع البهاوى ووصلنا الى الساحة
 الممتدة الفسحة المرامية على مدى البصر فتجد على
 يميننا باب الفوخ وهو أحد أبواب القاهرة التي اللغاثم
 في سمك وقضامة وقد علته الآرمة وبدا عليه البلى
 والقدم وتراعى حوله بقايا مرسى وروث بهائم وحشد
 من الفادين والرائعين والصبية اللادين العائش والباب
 يؤدى الى وكالة التبون والرتون والى الطريق
 القصى الى النجاسين وبيت القاصي وميدان الحسين
 اما في الواجهة فتمتد الساحة حتى تنتهى بمقابر باب
 النصر التي يخترها شارع رئيسى يسمى شارع
 النجوم وهو مقص الى النهاية الى شارع العباسية
 وقدم الرود وتحت الساحة في اليسرة شارع مرتفع
 بعده جرف مطن بالطوب وهو شارع الانصاصين
 وتنتهى بفرع صغر منزول هو فرع ابن هشام .

السمات ص 11 ص 12

وشعر قارىء هذه السطور ان المؤلف يحرس
 بعض الحياة في اللوحة التي يرسمها بان
 صغر عليها سمات شائعة .

على الاعتراف ليويسف السماعى بأنه في
 قلبه أدب السماكين في الرواية ذاتها قد عرف
 حساسه الذاتى تجاوبا منه بمآثره
 في الطريق الذى يقطعه ويهجر
 الذى سماح الذى كان يعتمد عليه في
 اعطى الفقرة التالية

« الدرب طريق عادى من طرق الاحياء الشائعة
 القديمة ، ضيقه وقذارته ، وبجرائته القليلة على
 جسائه ودوره البالية الضيقة المتربة الجدران
 العالية الابواب المتقاربه المتوازية حيث يد السان
 تكاد تصك من خلالها يد جاره ، وتروى الطريق قد
 كست بكتل السرايات المربعة المثلثة التي جعلت
 الطريق اكثر وعورة مما لو ترك على حاله ، واكوام
 القمامات قد تراكت على جوانبه ، تحيط بها المياه
 الفدرة الآسنة ، كل هذه المظاهر تشارك فيها
 درب السماكين مع درب عجور ودرب البهلوان ودرب
 اسمه انه وبه دروب القاهرة العظيمة المخرقة .

ثم نعلم ان درب السماكين له خصائص تميزه
 عن الدروب وسنألف معاهله منذ امتداده بعد
 السباق ذكره ويعد مستوطنة حمام
 حبيسة الذى يليه ، فهناك يضع دور عتيقة
 وجوانيت ومدرسة أولية تقسم على أربعة
 قصرة مقلقة مفرقة من الدرب الاصلي كأنها
 معبسة شديدة جدا ، كما ان
 شدى هذه الرحلة

السماعى . هذا المؤلف صاحب الانتاج العزيز
 الرائع مما ، الواهب قلته لأدب رومانسى يتحدث
 عن فتيات طاهرات القلوب ، وعن رجال اما في
 غاية النيل واما في غاية السفالة ، وكان دأبه .
 يجعل كل أشخاصه ينتمون الى الطبقة
 الارستقراطية او قل الى الطبقة المتيسرة فاذا به في
 سنة ١٩٥٢ يكتب رواية «السقامات» ويتحول
 فجأة الى الانشغال بالطبقات الكادحة ويقوض بهمة
 قى احشاء حى شعبي ، فكان لابد له وهو بصحينا
 معه في مغامرته من ان يهد لنا الطريق ، فما هو
 ذا يخصص مالا يقل عن خمس صفحات
 القارىء في الاطار الذى تحرى فيه احداث القصة ،
 كما يقول هو نفسه .

«حدثت هذه القصة حوالي عام ١٩٢١ ، في

حي العيسية ، ومازال مسرح حوادثها قائما كما
 هو ، وقد تكون ذلك الستين مدلت وجهه بالنعاء
 والهدم ، والبناء والتنظيم الا ان الكثر من علامات
 المميزة مازالت قائمة على حالها ،

الدهر ، ولم يبدلها الزمن ، واشهر هذه العلامات
 واشدها ارتباطا بخصتنا صور الماء الحكو انما
 في احدى زوايا درب السماكين ، انما
 فيه سد ذلك المالح المالح ، انما
 الحى ، الحاكم بامر الله ، انما
 ذات الصالح والرجال لوى القلوب ، انما

واذا راعينا موضوع الرواية فلعلنا نقبل عن
 طيب خاطر هذا الوصف لو اكتفى به المؤلف ،
 ولكنك يصير على ان نطلعنا على كل التفاصيل
 المدققة حتى نحسبها ، انما
 هي شأها ان يصف صفت شدة ، انما
 الوصف الجمل .

انيدا من شارع فاروق في منتصف المسافة من
 ميدان فاروق وميدان العنية (هذا الميدان قد توالى
 عليه اسماء عدة ، ويبدو ان من آخر ان اسميه
 باسمه القديم خشي ان يبدل اسمه الجديد باسم
 آخر ماين كتابة هذه القصة وظهورها) حيث يتقاطع
 الشارع الكبير شارع عتيق يسمى فيسه الاوتوبس
 اللاهاف الى بيت القاصي وهو شارع البغالة ، لنجعل
 وجهنا الى العنية ثم نلتف يسارا في شارع البغالة
 ونسير في الطريق الضيق المزدحم المليء بجوانيت
 البغالة والتجارين وبائى الفياقيب والعمراتية
 والطيارين ولتذاع في شق طريقنا بين هرب الكارو
 والحمر وعربات اليد وباعة القرفوس ولتجوز
 الدروب المقاطعة ومنها درب البزارة ودرب عجسور

وهذا هو السر في أن المؤلف قد حذف هذا الوصف
— لأنه من النوافل — في الطبعة التالية (١٢) .

وعلى هذا يحق لنا الإشارة بفضل عبد الرحمن
الشرقاوي فقد عرف في الفصل الأول من رواية
(الشوارع الخلفية) — ١٩٥٨ — كيف يجمع
في وقت واحد بين تحديد الإطار والتلخيص
بالأحداث القادمة ، فهو يشرح لنا في هذا
الفصل لماذا عدل أهم شخص في روايته وهو
ضابط متقاعد — عن الإقامة في الأحياء السكنية
كالخمسة الجديدة ، المربعة العاصمية ، أشرف
أغلب قرنائته وأرضى الإقامة في منزل يملكه ببركة
القبيل ، واختياره هذا أملت عليه الظروف فإن
حماه الباشكاتب في دائرة البرنس عزيز كان قد
تبين أن البرنس يملك قطعة أرض تقع وراء
الشارع المؤدي من السيدة زينب إلى الحليمية
الجديدة ، فاقترح على الدائرة تقسيمها
وتخصيصها للبناء ولما أنشأت الدائرة أول مسكن
في قطعة منها سارع هذا الموظف الحصيف إلى
شراء قطعة مجاورة وكتبها باسم ابنته فأقام عليها

نفسه ، طبعة الحال ، وأضد
أخرون ، ولكن أصبح له بفضل خلاله
موقعه العسكرية مقام مرموق بين سكان الشارع
سحق لنا لهذا الشارع ،
أن الدائرة كانت تريد أن تسلكه — من قبيل
الزراية به — في عداد الحارات وكان صاحب
المنزل المقابل لمنزل الضابط قد جاز على أرض
الطريق الذي تحدد عرضه منذ البداية فطالبته
الدائرة بهدم المنزل وإعادة بنائه وفقا للحدود
المرسومة ، فأتبرى الضابط للدفاع عنه مستعينا
بزمه العسكري ومكانته — فتقرر الاكتفاء بأن
يدفع هذا الحار الخائف تحت الأرض المستولى ،
علما بأنه حة — والدفع فوق ذلك عند المساء
فهذه المفاسد ، عن الإله ضاء المقلقة لحركة النساء
في العاصمة لا تغيب حارجه عن موضوع الرواية
بأنها متدحمة فيها كل الاندماج فأنها تعنى على
أمر مكافأة المساط وتهدد لظهور أشخاص
الرواية الآخرين (١٣) .

وهذه النصوص التي نقلناها كاملة أو مختصرة
ولأن لم يكن لها قيمة تقنية مثالية تعد بقدر على
استثناء من الرواية المصرية فتحن لا تجد عند

(١٢) الميزة الأولى — وانظر أيضا عباس خضر ص ١٩٧

(١٣) الشوارع الخلفية ص ٧ الي ١٤ .

« فلذا دأبت في السير داخل الدرب صادفا
على اليسار منزل شامخ البناء ، متين الجدران ،
ذو باب ضخيم مصمم بالحديد قد انزعج عن مدخل
عالم السلف شيق الساحة ، ومن الفناء يبدو
لنا المنزل وماجاوره خرابا في خراب وفرا في فرا
ويبلغ نظرا مقلنة عالية تنبئ عن مسجد يجاور
المنزل أما المنزل نفسه فهو مثل لعزير قوم ذل ، أن
الجدران الشامخة المتينة قد تشققت حتى لموسكون
تتقوض أركانها ، والنوافل قد تهاوت لموسديتها
وفاضت من حناياها عظمه كثية كلها هي نوافل
كهف خرب ، والشرقة المتسعة في الطابق الأول على
يسار الداخل قد ناكل سلمها الرخامي وأحاطت
أكرام من صناديق خشبية فارغة قد أعدت لرض
التكب الصفراء التي صفت على حافة الشرقة والتي
أخذ الحماول في إخراجها من داخل المنزل ، أجله
أن يابني صالحا للسكنى من أكتزل الشامخ القديم
قد استؤجر كمخزن للكتب ، وبهذا حفظ المنزل إلى
حد ما من المذلة والاهانة واستبقى له أثر من طيب
أصله وسابق مجده » . السلك ما ١٤٢

وهكذا يسير يوسف السماعي أثر هيكلي فيجسد
في مطلع الرواية أوصافه التاريخية والطوبوغرافية
حتى يفرغ من الحاجة إليها فلا يعود لها من بعد .
ولكن يوسف يقصد أيضا بهذا الوصف أن يسبقه
حوادثه التي ستكسبه — لا فائدة لها
فهو لا يفسر بحسب على — الأثر —
أيضا لأثره شعور بالتألم — يور أن الأثر —
التقليدية عند الالتماط بأن مثال التل أو التسمية إلى
فناء ، .. يؤس ، وقلادة وخراب ، هذه هي
عناصر اللحن السائد الذي لا يفارق الذاكرة
وسنرى السقاء يموت تحت انقاض منزله المتهدم ،
هذه هي الرواية الوحيدة ليوسف التي تسوغ
لنا أن نسلكه في عداد اتباع المدرسة الواقعية .

وهذا لا يمنع من القول بأن مقدماته الطويلة
تبدو مفتعلة ، فهو يصب كل جعبته فيها دون
أن يأتي بأقل إشارات سببية أو موضوعية
الرواية ، وقد تستسيغ هذه المقدمات صاغرين
لها إذا كان حجم الرواية — كما هو الحال هنا —
هو عدة مئات من الصفحات . وليس هذا هو
حال قصة « عم متولى » التي ضمتها مجموعة
صدرت سنة ١٩٢٧ وهي من أوائل مجموعات
محمود تيمور فإنه خصص ما يقرب من خمسمها
لوصف قصر تركي في الدرب الأحمر ليرى فيما
بعد أديار حظه لأن هذا المكان لن يلبس أي دور
في حياة البطل الذي لا يقيم به الإقامة عابرة ،

مؤلفيها عناية بوصف القاهرة إلا في نطاق أكثر اقتضابا وأقل تحديدا .

ونحن لا نطالب كاتب الرواية - دع عنك كاتب القصة - أن يكون من علماء الآثار ، غاية أمره أن يتخير من معالم المدينة عناصرها التي تتيح له أن يعنى بخلق الجو الذي تدور فيه الأحداث قبل أن يعنى بوصف هذه المعالم وصفا دقيقا . وإليك مطلع وصف يوسف أدريس لحى قلعة الكيش (١٤)

سيبدأ يشملنا بفضل جو حادثة مرعبة من حوادث الجنون .

« لم تصل إلى المنزل إلا بعد أن قطنا عدا لايحي من الأتلة والخوانق ، بعصف ليهب اليه بسلام وبعضها تصل به أن تبتاز الكواما محالية من تراب ، هي في الحقيقة أطفال ميوت ، تهدم وستقت ولم تجد أحدا نزيل القناصا ونساياها فتحولت إلى تلال تسد حارة أو صنعت هضبة بين شارعين » .

وتفرض النظرة الواقعية - كأنها - ما يحتمل - محتم - بحول الله - التي تسمى بالشعبية أو بالوطنية أو بالاعتسارها المصاح الأدبي - في حياة الشعب ، والدعوة إلى - في الأسلوب الفني في التعبير عن المصدق والإسالة هي سند تفسير هذا الاتجاه .

وإذا كان المذهب الواقعي قد أصبح رائجا وعرفنا شأنها متعبا مما فتح الباب لسيل من أعمال مكتوبة بأسلوب فضفاض هايط القيمة يعتمد على الكليشيهات ، فإن هذا القول لا يمنعنا من الاعتراف بأن أصحاب المواهب الأكيدة في الفن القصصي قد أحسنوا استخدام هذا المذهب ، وقد رأينا أن الأحياء الموصوفة متشابهة ، فكل قول جديد عنها معاد ، لذلك فإن الكاتب المجيد لا يبدى في وصفه لهذه الأحياء عناية كبيرة - كمناية يوسف السباعي - بتحلية ملاعها البارزة وخصائصها الدالة عليها وأما الفضل أن يصرف جل عنايته إلى الناس الذين يعيشون في هذه الأحياء .

ولاشك أن اسم الحي له أبحاؤه وعمله لو ذكر وحده على تصور هيئة منازل بل على تصور المجتمع الذي يعيش فيه ويدل على الجنس

والبيئة ، ويعرض علينا أحسان عبد القدوس التنافر والتعاضل بين المسلمين السكانيين في الطاهرة ، إلى الحسينية واليهود السكانيين في « الطاهر » إلى أن حدثت المعجزة ذات يوم حين أزيحت الانقاض من بعض أحياء دمشق مكانها شارع جديد هو شارع فاروق الذي يسكنه اليهود والمسلمون جنباً إلى جنب (١٥) والحارة السد تحمل الاسم التقليدية التي تسكنها على الترابط بعلاقات حميمة تفوق علاقات مجرد الجوار فهي تعمل على تصفية الود بين الجيران ما تممسه الفنانة في تعتيق الشراب (١٦) والرقاق الذي وقع عليه اختيار نجيب محفوظ لتقدمه إليها - زقاق المدق - هو عالم قائم بذاته يطلق على نفسه حيث يسهل على المراقب البصير تحليل ما يضطرب به هذا الزقاق من علاقات انسانية وشهوات ورذائل ، ويكتسب الزقاق أهمية درامية باعتباره المقياس الذي يحدد مواقف أهله ، منهم من يخلص له ، ودا أو تصودا ، ومنهم من يتلف على هجره ، من القصص أن يجعل الأشياء الجسامدة - من الحياة وقد وصف لنا يحيى حقي في قصة « الخدم » (١٧) : سلام مديونة أحيانا في وز كالشبح السحيق ، لم أرق في حياتي مثل هذه الحياة ، كالحا دميما مقبضا ينطق بفساد من المعبرين ، وتكون أحيانا في الهواء الطلق فيخيل اليك أنك بازاء لمة جديدة في لونا بارك لهدلة خلق الله وإفراهم ، هنا تبرز أمعاء العمارة من صنعان فماعة تعرض أكل السكان ومقدارهم ، من لحاف الخادم ومرتبته الملقاة على السلم صوداه كالسحاب منقعة دماء الق يعرف متى يطادهم واحترامهم للأدمية .

ولكننا في أكثر الأحوال نجد أن الأشخاص هم الذين يهيئون نبض الحياة للمشاهد التي تعرضها عليهم المدينة ، وذلك بأن يعكسوا عليها ما يحول في نفوسهم من عواطف متباينة ، فنجد الناس في ميدان السيدة زينب عند يحيى حقي تارة كتلة بشرية لا مغزى لها ، وتارة قطيعا دميما ، وتارة سرده واحدة تحتفي بالابن العزيز العائد من الغربة وذلك فقا لما يحول في نفس بطل القصة من

(١٥) أنا حرة ص ٩

(١٦) قصة السلحفاة لغير - قديل أم هاشم ص ٥٩

(١٧) السلم اللولبي - مجموعة « منتر وجوليت » ص

عواطف نحو هؤلاء الناس (١٨) ونجد عند عبد الرحمن الشوقى صورة كوبرى قصر النيل كما يبدو لشباب قاهرة سنة ١٩٣٧ *

« .. بينما ارتفع صوت التفر من تكات قصر النيل » والتفت سمعت الى العلم الانجليزى الذى يرفرف على التكنات والجسود الانجليزى يوحسون ويحيئون فى الداخل ، ويفهمهم يسرع من على النيل مودعا الفتاة التى بصحبها ويركض الى التكنات . فتيات ممرات مع انجليز ، فتيات كالورد .. المسالك وصلت الى نساتنا ايضا ، لعنة الله على النساء اجمعين ، كل شيء هنا انجليزى ، العلم على التكنات ، والاسد فوق الكوبرى .

واسدار سعد فجاء وانطلق الى النيل ، والصق نفسه بالعناجر الحجرى وهال يتأمل النهر ، يتساق من تحب عينيه فى موجات صفرة وعلى صفحته عثرات الزوارق يتنادى اصحابها على من يريد التنزه ، ومن بعيد تجرى على الموج اشعة بضياء شبان متفرديات .. والاه يدفع بعلمه بعضا فى خلد وانساق ونساق فى انطلاق لا يثنى ، لا ، لم يكن ساكنا هذا الما ابدا ولم يكن داتكا اسود كما رآه منذ ساعة ، لا ، لوه خفوة يفتلك صلاها بالزينة ، لم اكن فى اللون لعنى فد ، ولكن لا انسى هذا مثل الذى سكوى فى التناهد

والست أمينة التى يصفها نجيب محفوظ (١٩) حبيسة دارها ، تسليتها الوحيدة هى الطلوع الى السطح حيث تترامى لها مساجد القاهرة العظيمة .

« كم ترومها الآن التى تنطلق انطلاقا ذا ابعاء عميق ، تارة عن قريب حتى تثرى مصابيحها وهلاها فى وضوح كمالون و يروق ، وتارة عن بعد غير بعيد فتبدو لها جملة بلا تفاصيل كمالون الصينى والفورى والأزهر ، وثالثة من افق سحق فتترامى اطيافا كمالون القلعة والرفاضى وتقلب وجهها فيها مرارة والفتنان ، وحب وامان ، وشكر ورجاء ، وتعلق روحها فوق ذراها اقرب ما تكون الى السماء ، لم تستقر منها الفيتان على مثلة الصين ، احببها - لعب صاحبها - الى نفسها ، فتغنى نظرتها حنانا واشواقا ، مشوية بحزن بطوفها كلما ذكرت حرماتها من زيارة ابن بثن رسول الله وهى على حبيب دقائق من مواء »

وتتفحص أحد أبطال نجيب محفوظ من شقته منظر المحى الذى يسكنه ، تمتد نظرته قبرى من ناحية القسم القديم بشرافته المهذمة ونوافذه المهشمة وسقوفه الخشبية والجيرية ، وشبكة دروبه ومن الناحية الاخرى يرى القسم الذى نشأ مع التنظيم الحديث ، وفى حضن عمارات عالية حديثه تشبه التكنات تصطف الدكاكين ، وقال فى سره : لم ينقرض بعد ارباب الحرف ، هذا هو حي خان الخليلى :- (٢٠)

« صعد للظاهرة الحديثة ، يلقى سرعتها الجنسية بصمته الهادئة واليتها الطيبة بلته البسيط وواقعتها الصارمة بغياهه العالم ونورها الوهاج بسمرة الناعسة »

ولو احصينا ما ورد فى الرواية المصرية من انات عن تاريخ الاماكن واسماها لوجدناها فيها فى أغلب الاحوال غير مشفوعة من المؤلف أو أبطاله ، سيكون بلا طائل حسا عن تصوير دقيق لآراء الاشخاص ووصفهم فى القاهره مذكورة هى كثيرا فى الادب المصرى عامه عشاق السهر والمثعة ، اذ يخيل الى القارئ دائما بعد قوات الاوان ، اذ نسجم من فلات انه لم يستطع الذهاب الى محال اللهو خارج المحى الذى يسكنه لان الجنود الاستراليين فى الحرب العالمية الاولى حالوا دون زهابه الى الازبكية (بين القصرين - ص ١٧) ونرى فلانا - وهو ارملة وقور - يتذكر باسى - ولكن دون أن يطيل فى التفاصيل - مفارقاته حين كان أعزب ، فى مقامى الازبكية وبيوت السر المحتمة فى منازل قديمة فى الحظمية الجديدة والمشرية (الشوارع الخلفية - ص ٧٦)

وها هو ذا عبد الرحمن الشوقى يقارن لظواهر التضاد بين حي الناصرية بمنازله القديمة وشارع عماد الدين ولكنه لا يمدنا بتصوير دقيق له مع أنه شارع الملاهى فى القاهرة ومركز الحياة العصرية ، هم اتنا نراه يتحسر أيضا على انحدار

١٩٣٥

(١٨) تمديد لم - ص ١٢٤

(١٩) بين القصر

(٢٠) حال الطلوع ص ٨

المتح مالحية الصحة السعيدة ، ليس القديم
من البقاع مجرد فذارة ، فهو ذرى قد تكون جل
من حقائق الواقع ، أن القاهرة الى تريد أن تمحوها
من الوجود هي القاهرة المزينة ذات الجذ المائل ،
أين منها هذه القاهرة الجديدة المسعدة »

خان الخليلي ص ٥١ ، ٥٢

والطريقة الثانية هي اظهار التناقض بين
الاحياء العتيقة والاحياء الحديثة الجميلة ، بين
العاقبة والثراء ، لها هي ذى فتاة تمنى الاصطياف
في الاسكندرية وترضى من اجل تحقيق أمنها بيع
بيت ورنه عن أبيها ، ولكن زوجها وأخاها
يقنعانها بالعدول عن عزمها لأن عقد البيع
سيكشف ان جدها كان حلاقا في باب الخلق فماذا
عسى يقول اصدقائها ومعارفها اذا علموا ذلك

ابى الحشنة ، محمد صدقي ص ٥٦ (وهذا
التي ... احباء ...)

حشر ... فندى ام شامس ص ٨٦)

التي ... في درب الحجر من وراء حارة
التي ... شقة صغيرة في حاردين مستى

وباستطاعت أن ترى أمثلة عديدة على «عقدة»
الحارة كما بدت في الأسطر السابقة ولنعد الآن

الى بعض الحوادث التي سبقت اطلاق الاسم على
شارع العزيز (الشوارع الخلفية - ص ١٥٤)

محجب ... ان يوفد مرسوماً يصل على
حارة اندفعتا في صراخ تحتجان على هذه المهانة ،

الأولى لانها من بيت يملكه أبوها ويطل على
الشارع الرئيسي في المنصورة والثانية لأنها من

أصل تركي وتقول « هوا وشي وش حارة ... »
(الشوارع الخلفية ص ١٠) والسكنى في حارة

أو عطفة أو درب أو زقاق معدود أنه انحدر الى
اسفل السلم الاجتماعي ، وبعين الذي هانت

أمة أشد العناء لكي تدفع مضاريف دوامته مع
أنها أرمل لا موارد لها يقتصره الطموح فهو يجده

من الهوان ان يسكن في عطفة بشميرا *

كل شيء يتحول ويتهد في شارع عماد الدين .
وبدلاً من جلال المسارح الذي يملأ القلب بالوجل
وبالة الحياة تزحف الصالات والسينما والفرق
الاستعراضية .. صرح برناتاليا كالقبد الخروب ومسرح
ومسرح انتهى ولم يعد له هناك وجود . حتى المسرح
الصغير الذي عمل عليه جيسورج ' يبقى أصبح داراً
للسينما !

الشوارع الخلفية ص ١٢٩

وعلى هذا النسق يتوالى السرد كان القاري في
غير حاجة الا لاسم لكي يتصور من غوره صفات
السمي ودلالته ، فان اسم شارع أو حي سكني
هو رمز يستدعي تجاوبا متوقفا وقد استغل
الروائيون قدرة الأحياء هذه بطريقتين *

الطريقة الأولى عند عرضهم للجدل القائم بين
عشاق العصر الماضي وانصار العصر الحديث ، ولا

دهشة هنا أيضاً اذا وجدنا نجيب محفوظ هو

أسماء هذه الطريقة ، فبطلة السبعينيات هي

التي ... شارع ...

أحدثه ... عن ...

رجل أحلام لا رجل أقدام ، فهو ادن يتعلق بثرات

الماضي (قصر الشوق - ص ١٩٨) *

« قال محدته ساخرا :

وطن أجل ، مغلفاته فيور وجث وهو يتشم

صوب الهرم) انظر الى الجهد الصانع .

قال كمال بهاس

- ذلك الخلود

وهو يدافع عن الأهرامات اسمه هنا هو كمال،

واسمه هناك هو عاكف (خان الخليلي) وهو

يدافع عن القاهرة القديمة *

« هذا الحي هو القاهرة القديمة ، فهو بقايا

متداية ، حقيقة بأن تزع الخيال وتوفقه العنان

وتستمر الرقاء ، فإذا نظرت إليها بين المل ثم

تر الى الدارة لتفتينا المحافظة عليها التوضيحية

بالشعر ، وما أجده ان تمحوها لتتج للناس فرصة

✽ نشر هذا المقال في المجلد الثامن من «حوليات اسلامية» التي يصدرها ويقيمها المعهد العلمي الفرنسي للدراسات الإسلامية بالقاهرة ، وقد خصصه للمد الإلهي للعامة .
انظر تعليقات الدكتور سامية أسعد على هذا المجلد في المجلات التالية .

المظهر الفني لمعانٍ من الدين

في الشعر المصري

بقلم: د. مصطفى الصاوي الجويني

قالوا عشقت وأنت أعمى
فبينا كحيل الطرف ألى
وحلاه ما عايتها
فتقول قد شفلتك هما
وخباله بك في لنا
م فما اطاق ولا الما
من أين أرسل للفؤاد
د وأنت لم تنظره سهما
وبى جارحة وصل
ت توصفه ، ثرا ونظما
فاجبت انى هوس
وى العشق انصاتا وفهما
اهوى بجارحة السما
ع ولا أرى ذاك المسمى

مقابلة تهز الفؤاد تلك التي بين عى الشاعر
وطرف محبوبته الكحيل ٠٠ ثم التعبيرات (عشقت
وأنت أعمى) ٠٠ (حلاه ما عايتها) ٠٠ (وخباله
بك في المام فما اطاق) ٠٠ (وأنت لم تنظره)
٠٠ (وبى جارحة وصلت) ٠٠ (أهوى بجارحة
السماع ولا أرى) ٠٠ كلها تصرخ بصرمان الشاعر
من نافذة تطل على جمال الوجود ٠٠ ولا يجد هذا

ان ميدان المعنى المصري كما نرى ذو سعة والقول
فيه سبيح تحوطه صلاب عملية لا تخفى على
المشتغلين به ٠ ولهذه الاعتبارات وغيرها فحديثنا
هنا مقصور على مجال الشعر المصري العربي خلال
العربين السادس والسابع الهجريين ، ومقصود
على ظاهرة فيه لافتة وهى - ان جارا لما يعنى -
استخدام معدن من معدن اسرار في اللفظ
لقد تجد البلاغيين في كتبهم يوردون بابا لا يسوي به
التضمن أو لما يسمونه الاقتباس أو الوجيه
أو ما شاموا من أسماء يخصصونها باستعمال الأدب
لاقتباسات من القرآن والحديث أو مصطلحات من
العلوم والفنون ٠ ولكننا لا نستطيع ان ندرج
الشعر المصري في الحقبة التي نعرض لها تحت
عنوان من تلك العناوين ، فتلك المصطلحات - في
كتب أصحاب البلاغة - مستخدمة في النصوص
التي استعملوها استخداما شكليا للزينة
والزخرف ٠

أما الظاهرة التي تعالج اليوم فهي امتزاج عنصر
المعاني الدينية امتزاجا عضويا بكيان البيت من
الشعر ، في صميم خلقه الفني - وفي المثال
والشاهد دليلنا :

(١) هذا الشاعر المصري الفرير موفق الدين
يمشق الجمال على السماع دون المعانيبة ٠٠ وفيهم
العجب وموسى كلیم الله ولم يره ٠٠

(د) وفي وصف الحمر يستقى الشاعر المصري
معاني من القصص القرآني :

مفتقة قد طال في الدن حبسها
ولم يدعها شربها بتت عامها
وقد أشبهت نار الخليل لأنها
حكمتنا في بردها وسلامها

(العاضى الجليس)

وكذا تصيح الحمر يلونها وفعلها عند الشاعر
نارا ، تعقب سلاما تتطامن له نفسه .

وبلغت النظر حقا أن الشاعر المصري قد أشرب
التعبير القرآني منزل من شعره بأصدق موضع
بريئا من تكلف وبخاصة في الغزل . . رأى
شاعر المصري في الحب نعيم هذه الدنيا وجنتها
محال على الطمع به وممارسته فجاء تعبيره
موسى شفيها صافيا ، ولتسمع الى أبيات

سراج

ساعة وساعات في الغلازل نسي

والملك حبيب المجتلى والمجننى

وردت فما نفي المآثم والرقى
وابيبك عن لحظات تلك الأعين

من كان يملك قلبه من طرفها
نال الخلود وليس ذلك بممكن

قال العواذل اننى في حبها

لا اوعوى لا أنتهى لا اثنى

كم قلت للعذار لا زرتها

هلى النى فى حبها لمثنى

ما كان أشوقنى لثمن بناتها

ولقد ظفرت بلثمها فليهنى

ودخلت جنة وصلها متزها

يا ليت قومي يعلمون باننى

العاشق الأعمى ملاذا الا فى رحاب المعنى الدينى ،
فى قصة كليم الله موسى .

(ب) واذا أن مسرح هذه القصة القرآنية مصر
وصحراؤها الشرقية فانا تلقى كثيرا من شعراء
مصر يتناولون جوانب منها . فيلاحظ الباحثون
حتى على غير الشعراء المصريين - كأبى نواس مثلا -
أنه حين وقد على مصر كثر فى شعره فى فترة
وقادته صور التبل والتماصيح وأطراف من قصة
موسى . ومثل هذا نجده عند غيره من الشعراء
الدين وفدرا على مصر ، ولجده بنسب متفاوتة .
وفى فترة مبجنتنا هذا نجد شاعرا كآبى سناء
الملك يتقلنا من عاطفة الحب للجنس الآخر الى
عاطفة حب الوطن ، فينشد وهو يمارق مصر لبعض
شئونه ، مستعبرا طرفا من قصة موسى فى التلويح
بأمل العودة :

أعيط من مصر ولما قد أشبهى

على الله افرو

فان عدت والابام عروج

لعد اساسى

. . . كان له حياة جديدة مولدة ، وهذا المعنى
قرآني ، ورجوعه بعد الميلاد مبعث جديد ، وهذا
معنى ثان من المعاني القرآنية ، والمبعث هنا فى
هذه التربة الخصيبة أرض المبعث الدائم والحياة
المتجددة .

(ج) ويختار الشاعر ابن قلاؤس زاوية معنوية من
قصة أهل الكهف اذ يتغزل :

تراه لما ان غدا روضة

أعل جسمى كى أكون النسيم

ليس خد نام عن سساهر

ما أجسد النوم بأهل الرقيم

فيطربنا بهذا التناغم المعنوى : الحبيب روضة
حسن ذات تسميم عليل ، هو العاشق النحيل . .
ومرقوم الحد نائم عن وصال محبوب . . .
الرقيم .

ولا يخرج في أن يجعله ظل الآله على الأرض ،
ولنر مديح ابن سناء الملك في القاضي الفاضل :

اعني واقني قاصديه فكلمهم
يشئ ولا يشئ عنا للثنا •
وغدوت في حبي له متشعيا
من ذا رأى متشعيا متسنا •

يأليت قومي يعلمون بأنني
أدركت من كفيك نادرة المني •

ولعلنا متنبهون الى العناصر الدينية التي تدخ
في بنية الأبيات •• (أغني واقني) •• (متشعيا
متسنا) ••• (يأليت قومي يعلمون) •

ولم يستمد الشاعر المصري من قصص القرآن
الذي نجد فيه ما في
الدين من أركان وأصول ••

(أ) فيعتد مثلا كل حب صلاة وعبادة
ولا أشع أحب في الناس له
وقاد قلوبا كيف شاء واليابا •

جلا الحسن للشماق وجهك قبلة
وصور فيه من عذاريك محرابا
(محمد بن هاني)

هكذا : الحب ملة •• والمحجوب محبوب ••
وجهه قبلة المايدين ••

(ب) ولعل أمثل ما في هذا السبيل نجده عند
البهاء زهير •• يفنيها :

ومن العجائب فعله بمعبه
يصليه نارا وهو من عباده

وما أبعه ما بين العمل والجسده ، عبادة
جزأوها نارا ! •••

(جـ) ولكنه مع ذلك دوما من عباده الحب ومن
مديح صلواته :

أرايت الى هذا النغم الحلو الساري ! ما فيه
من تمير متكلف ، ولو كان ليسان تشازه ••
(هـي التي في حبها لمتني) تلويح وتظليل لمعاني
الجمال فيمن يحب • ويحب الشاعر حين وصلها
باحساس غامر فوق طافته يود مقاسمة غيره له في
الاحاطة به خيرا (يأليت قومي يعلمون بأنني)
هكذا في تمير مطلق يشرح وراءه كل خيال •

(ب) يل ونرى الشاعر المصري حريصا حتى
على وزن اللفظة القرآنية وموسميتها ، كهذا
الشاعر الغزل :

طرفه جنة عن أزلت
ونجديه جعيم صاليه

شبهته العين لما ان بدا
دواسة ذات فتوف دائية
(ابن اصف)

(جـ) والحب واحد لكل المحبوب قد يختلف
والفنان الحق محبوبه فنه •• ••
عصر من يشخص منه تش •• ••
المدح •

جاءتك ما طرقت وفود جمالها
الاسماع الا فتحت أبوابها
(ابن قلاؤس)

(وفتحت أبوابها) هنا آية فن قول يفرض
نفسه على الاسماع فرضا •

(د) وفي المدح يشئ الشاعر المصري على مدح
باتلاف ماله مستعيرا له من القرآن اسلوبا :

ماله من فتك راحته
كاعاديه عسلى وجل

أبنا تتلو مواهبه
خلق الانسان من عجل
(ابن قلاؤس)

(هـ) وتعلم أن المدح يطبعه ملق في جوهره ،
ومن ثم يبالغ الشاعر المصري في التناء على مدح
المدح :

وإذا كان مستساغاً أن معاني من الدين يمكن
أن تعار للحب ، عاطفة واحساساً ، فإن الأمر
يكون مستغرباً إذا أعيرت للهباء ، لكن ما أيسر
ما يعبر الشاعر المصري في ذمه عن معاني يستمدّها
من الدين فيقول قائلهم :

فلان والجماعة يعرفوه
ونظاره التتسك والزهاده

يموت على الشهادة وهو حي
إلهي لا تمته على الشهادة
(ابن وهيب القوصي)

ويالحديث الشريف يستعان أيضاً في الهجاء
بمنظر شاعر كان المنجم المصري إلى قوله صلى الله
عليه وسلم « ما أصاب مالا من تهاوش » (حرام)
بمعنى « ما أتى به » (مهالك) ويتلطفه ليهجو به
في صورة المصري وكان سمساراً للكتب احترقت
أوراقه في النار

ولكنار فيها مارج يتقرم
كذا كل مال أصله من تهاوش

فعما قليل في نهار يدم

وما هو إلا كافر طال عمره
فجانه لها اسبطانه جهنم

ومعد فليس من الأمانة أن نزع من أن الشاعر
المصري قد وفق في كسل حاله - ومطلقاً - إلى أن
مرج معاني من الدين ببنية شعره مزجاً عضوياً
سويّاً ؛ فلقد كان يفويه الشكل والمظهر أحياناً
فتصبح التعابير عن المعاني الدينية اغراضاً في ذاتها
عبثاً لفظياً ، وينطق فقه حينئذ عن تكلف وتمصنع
ويصير شعره أولى بأن يكون مثالا من أمثلة البلاغيين
في باب الاقتباس .

لكنه يبقى أن هذه الظاهرة سمة مميزة من بين
سمات للشعر المصري في تاريخه الوسيط .

سأشكر جبا زان فيك عبادتي
وان كان فيه ذلة وخضوع

أصل وعندي للصبابة رقة
فكل صلاتي في هواله خشوع
(البهاء زهير)

(د) ولقد يكون في عبادته وثنيا :

لي حبيب عبيدته
ويج من يعبيد الوثن .

وإذا كان الحب عبادة فلا بد له من رسوم
وطقوس .

(هـ) وهكذا يصح المحبوب كلمة .

وكفيتي خود عجب
لها فداي

(و) لا تقدم الحجر الأسود .

ما كعبته لي حالها
حجر لو ابي أسلم .

(محمد بن عيسى)

(ز) ونعرف من دروس الفقه أنه لا تجب زكاة
في الذهب إلا أن يبلغ قيمه عشرين ديناراً ويكون
قد مر عليه الحول ٥٠٠ ولتر كيف طعم الشاعر
هذا المعنى الغفهي فقه الفزلي :

وغانية لم تعد عشرين حجة
أقول لها قولاً لديه ثواب .

علك زكاة فاجعلها وصالنا
لأنك في العشرين وهي نصاب

وما طلبى الا قبول وقيلة
وما ادبى الا رضى ورضاب .

(ابن سناء الملك)

أوبرا برلين..

تجربة

فريدة

بقلم:

د. سمحة الخولى

فن الأوبرا من أحدث فنون الموسيقى عهداً ، فهو قد ظهر للوجود في مطلع القرن السابع عشر ، وكانت إيطاليا مهد هذه الآول ومصدر إشعاعه إلى ألمانيا وفرنسا وإنجلترا ثم إلى بقية بلاد أوروبا . وبعد ما يرجع فضل خلق هذا الفن إلى إيطاليا ، فإن يرجع فضل تطويره وتمييقه إلى ألمانيا ، فإن المبادئ التي غرسها جوك و موتسارت ، ومن بعدهما فيبر وفاجنر في الأوبرا ، هي التي أعلنت هذا الفن من مرحلة « الحفلة الغنائية » التي تقيم على المسرح باللباس التاريخي (وهي الحال التي آل إليها فن الأوبرا الإيطالي في مطلع القرن الثامن عشر) ، إلى مرتبة « الدراما الموسيقي » التي خلقتها فاجنر في القرن التاسع عشر بكل ما تعنيه هذه التسمية من وعي كامل بأن الأوبرا « دراما » قبل أن تكون « حفلة غنائية » .

والأوبرا - إيطالية أو ألمانية أو غير ذلك - هي روح ومفاعل حبيب بين شعر مسرحي - أوبرا في مجموعة - - مدح في سيريل بجر - - الإلهام بيهب - - في معنى مواقف المسرح - - مسرحي - - دور محدد - - و يغيب للسلسل

والأوبرا الإيطالية (ممثلة في أعمال روسيني ودونيزيني وبعض أعمال فيردي) تضع القيم الموسيقية في المكان الأول ، بل وتضع اللحن على العذب في المكان الأول من القيم الموسيقية ذاتها ، والتقاليد الأوبرالية الإيطالية تسمح بإيقاف تيار الأحداث المسرحية ، في لحظة حرجة لكي تفسح المجال لفناء انفرادي بارع يستعرض فيه أحد نجوم الفناء أجياله الصوتية ، أما الأوبرا الألمانية (ممثلة في أعمال جوك و موتسارت وفيبر و فاجنر و شتراوس) فقد شغلت دائماً بمحاولة التوفيق بين الدراما والموسيقى ، وتنازلت في مسييل هذا التوفيق عن شيء من الصلابة



من أوبرا أريادني - مشهد لسيفينا باخوس وهي ترسو على شاطئ ناهوس

لأصغر صبية انعمانية، نازح خفيف الشرب
 يفتن، و خلدت العذارى في صمغية
 تجسيم العكسرة المبرجة حتى انبت
 لغوسجى الارستقراطية في الروس
 هوى هذه النساء.

بعد از موسم و بارش های ، هوای بسیار آلوده ،
و بسیار زیاده به دست ، ام مستوی اوداد
در نسری م . سرخ و اندیکور



مشهد من أوبرا
(هكذا النساء) لوتسارت

أخلص له الحب ورافقته في رحلة
على الجزيرة ، لا رفيق لها
في ثلاث مجلدات سويرانو - وتغنى آريادني
خربها على أبواب حبيبها منها ، ثم تدخل
الشخصيات الهزلية زربينيتا أحبابها المهرجون
الأربعة ، وعيشا يحاولون التخفيف من حزنها ،
ويشرحون لها فلسفتهم المرحية في الحياة ، ولكنها
لا تستجيب لمحاولاتهم وتنتسحب حزينة إلى
كنعها . حيث تعين بحوريات عن وصول سفينة
نشاهداها على المسرح ترمسو على شاطئ
الجزيرة ، وتوحب آريادني الحزينة بالقادم
الوسيم الغريب ، فلما منها أنه هرمس جاء
ليخلصها من أحرانها ، فتستسلم لقبلاته ، ولكن
القادم الغريب ليس إلا باخوس جاء لينتزعها
من أحرانها إلى بهجة الحياة ، ويستمتع المهرجون
الأربعة وصديقتهم ، إلى الثنائي العاطفي الحار
الذي تختتم به الأوبرا هذا الختام السعيد .

وقد أعد هذه القصة العجيبة للأوبرا الشاعر
هوفمنستال ، الذي تعاون مع ريتشارد شتراوس
في نظم كتيب (ليرتو) أغلب أوبراته ، وقد
أخرجت على المسرح لأول مرة سنة ١٩١٢ ، ثم
عرضت في نسخة ثانية معدلة هي التي تقدم الآن
عادة - وهذه الأوبرا الغريبة تقدم خليطا من

ولأنها تتطلب إمكانات هائلة من جانب آخر .

وقصة أوبرا آريادني في جزأين . في الجزء الأول
غريبة تقدم في فصل واحد قسطنطينة متقدمة وهي
ساول حكاية مؤلف موسيقى شاب لحن براجيد
عن آريادني في جزيرة ناكسوس ، لتقدم في قصر
أحد السلافي ، مبيتا في أواخر القرن السابع عشر ،
على أن يقدم بعدها مشهد هزلي مرتجل بعنوان
، زربينيتا وأحبها الأربعة . وبينما الفريق
الذي يمثل التراجيديا بعد عدته لتقديمها ،
اد تدخل المسرح فرقة المهرجين ومعهم زربينيتا
ويستعدون لتقديم مشهدهم الكوميدي ، ويحدث
الخلاف بين الفريقين ، ولكن النبيل يحسم هذا
النزاع قیام بادماج التراجيديا والكوميديا معا
في عرض واحد ، بشرط أن يستغرق هذا
العرض المختلط نفس الوقت . ويثور المؤلف
الموسيقى لعمله الفني المهدر ، ولكنه يعود
فيذعن ، تحت ضغط الظروف ، لرغبة النبيل
في تقديم هذا العرض الزدوج ، فيشرح أوبرا
زربينيتا ، التي ستولى اختصارها بهارتها في
الارتجال . وبعد هذه المقدمة يبدأ العرض
نفسه ، فنرى آريادني الجميلة وقد هجرها
حبيبها تزيوس على جزيرة ناكسوس المهجورة ،

التراجيديا والكوميديا يعيشان جنباً لجنب داخل
الإطار الخاص لهذا العمل الفني ، وقد تناول
« شتراوس » كلا من الجانبين باللغة الموسيقية
بلغة له ، فقصته « آريادني » قد كتبت بأسلوب
رومانسي ناعم دسم حار ، تأثر ب « الحبرة »
التي تتجلى في الآيات العاطفية الطويلة وغناء
الأصوات النسائية الثلاثة (الحوريات و الصدى)
التي يذكر عن قرب بفناء « الفالكريات » عند
فاجنر ، وثاني « ياخوس و آريادني » في الختام ،
والذي اجتمعت فيه كل الدسامة والامسهاب
العاطفي للأوبرا الرومانتيكية ، وكذلك الموسيقى
التي تصاحب وصول السفينة ، ففي الرغم من
صغر عدد الأوركسترا سيما « غاغاس » و « بوب
شتراوس » الأخرى ، فهي تغطي تأثيراً أوركسترياً
مجسداً وحياً لهذا المشهد الجليل ، أما الفقرات
الفكاهية فقد نحا فيها شتراوس منحى كلاسيكياً
في موسيقاها ، واستقل فيها الاكائيات التلوية
لصوت الكولو « تورا » (أخف أنوع صوت
السوربانو) استغفالا يصل في لحظة معينة إلى
درجة الإعجاز ، وذلك في الأربا الطويلة البالغة
لصعوبة التي يفنئها « زرينيتا » .

رومانسكي نامى دسم حافل بالآثار العجيرة
التي تتجلى في الآيات العاطفية الطويلة وغناء
الاصوات النسائية الثلاثة (الحوريات والصندي)
الذي يذكر عن قرب بفناء « الفالكيريات » عند
فاجور ، وثلاثي ياخوس وآريادي في الختام ،
والذي اجتمع فيه كل الدسامة والاسهاب
العاطفي الاوبرا الرومانتيكية ، وكذلك الموسيقى
التي تصاحب وصول السفينة ، ففي الرغم من
صغر عدد الاوركسترا سيمفونييا غراس انشور
شتراس الاخرى ، فهي تعطي تأثيرا اوركسترياليا
مجسدا وحيا لهذا المشهد الجليل ، اما الفقرات
الفكاهية فقد نحا فيها شتراس منحى كلاسيكيا
في موسيقاها ، واستقل فيها الاكائيات الثلاثة
لمسوت الكولورا تورا (أخف أنواع صوت
السوبرانو) استقلالا يصل في لحظة معينة الى
درجة الاجياز ، وذلك في الأربا الطويلة البالغة
الصورة التي يفنينا زوريتتا .

وبهذا العمل الغنى المزدوج أوجد ، تشارد شتراوس نمطا أوبرا له ، حيث جعله ، بطريقة فريدة ، من عدمه ، إلى غير محراب ، فصار ، وبذلك ، نوعا جديدا ، من المسرحية ، وقد كان السبع عدا ، في القرن التاسع عشر (Opera Buffa) ، في القرن التاسع عشر أن تقدم الفواصل الهزلية ، المسماة اترمتسو ، في الاستراحات التي تتخلل فصول الأوبرا الجادة كوسيلة لتخفيف حدة التوتر الذي يسيطر على موضوعاتها الجادة ، فتقدم فصول الأوبرا الهزلية بالتناوب مع الأوبرا الجادة ، ثم انتقلت الأوبرا الهزلية والعصفت وبدأت تحيا حياة خاصة ، فأصبح هناك نوعان متناقضان من الأوبرا ، إلى أن تمكن موسسات في القرن الثامن عشر من التوفيق بين العنصرين الهزلي والجاد وتوفيقا عضويا ، فأخذ الشخصيات الفكاهية صفة أساسية ضمن بنية الأوبرا الجادة إجماعا متنازعا كما هو الحال في أوبرا دون جوفاني مثلا .

أما وتشاهد شتراوس فقد حقق في أوروبا
أربندي حلا دائما ، وإن كان غير طبيعي لهذه
المشكلة ، واحتفظ بكيان الاوربا الهلالية مستقلا
عن التراجديا ، ولكنه استنبط شكلا قويا
مصطنعا يمكنه ان يحتوى الاثنى حنيا في جنب ،
وقد ساعده أسلوبه الموسيقي الرومانتيكي التقدم
على تحسين الشخصيات التراجيدية بصغة خاصة ،

1.2

والألوان في خشبة مسرحنا الصغيرة التي امتدت،
في أوبرا آريادني ، في عدة اتجاهات فبدت أكبر
وأعمق بكثير من حقيقتها .

وبعد ، فلقد كانت تجربة أوبرا برلين تجربة
فريدة لموسم من مواسم الأوبرا يتحقق فيه المثل
الأعلى الذي نادى به فاجنر : « العمل الفني
المتكامل » . فهو مزاج بالغ النضج والانسيجام
لحصول العناصر الفنية المتعددة الفنية ، والتي
تتصافر على خلق العرض الاوبرالي الجيد : غناء
جميل فيه موسيقية بلا تهويل ، وحركة
مسرحية واداء تمثيلي منطلق معبر ، وعزف
اركستراي بالغ التوافق والحساسية ، واخراج
باهر بكل معاني الإبهار ، واضاءة وازياء صممت
ونفذت بلوق فني ممتاز . ووراء هذه الجهود
المركزة المتعاونة ادارة فنية رشيدة تولاهها الفنان
Fishner

لمدة من الميع والبع واجمع الفترات
الحافل .

إن القاهرة لهؤلاء الفنانين
وأمل : رجاء أن تتاح قرص
للأعمال التي همم الرفيع في أعمال وعروض
فيهم . بعد هذه التجربة الفريدة التي
أبى . والتي تعد بلا شك أقيم ماشهدنا في
احتفالات العيد القاهرة حتى الآن .

ممتارا في قيادته المرحفة ، المثناة في اناقة ،
لموسيقى موتسارت ، كما أثبت يواكيم فراير
Freyer قدره الكبيرة في شحن المواقف
العاطفية الكبيرة في أوبرا آريادني بدفعة حيوية
أضفت على أسلوب وتشمارد شتراوس فخامة
حيث يحتاج الى الفخمة ورقة وخفة حيث يحتاج
لهما . ولقد كان الاركسترا يلتزم بمهمته
الطبيعية في المشاركة المتفهمة للعرض المسرحي ،
دون أن يطفئ على الاصوات أو يتواري خلفها ،
فكان هناك توازن فريد بين الغناء والاركسترا
لاشك أنه كان من أهم عناصر نجاح ذلك الموسم .

أما الاخراج المسرحي فإن لأوبرا برلين فيه
سمعتها المشهورة في أوروبا كلها وهو مسايير
لأحدث اتجاهات الاخراج المسرحي والديكور ،
وهي اتجاهات قد يحس مناقشتها أهل
التخصص ، ولكننا نكتفي بأن نشيد له وبالديكور
كعنصر من أبرز عناصر النجاح
ولا شك أن مشهدا مثل :
لرسو على شاطئ بحر
في اخراج ، صممت
به مشهدا مثرا ، ولقد أطلق
في موسم برلين هذا على وسائل حديثة وسبعة
في التصرف في المساحات والمستويات والأضواء





شهرية
الفنون
التشكيلية

يقدّمها: بدرالدين أبوغازي

معرض الفن الإسلامي

الخشبية الشاهقة ومحاريب الصلاة
من مصر ، من السجادة الى
شمال ، ومن الخزف ذي البريق الى
التشكيلات التي يشع منها لآله النور ، ومن
التي لها في سجدتها وسجدة الي
بعضها بالوجهين التصويري ، ومن شواهد القبور
الى حل الرتبة .. من كل هذا العالم الذي لا حدود
لروعه ولا حدود لجاذبيته يشرق نبض القاهرة
الاسلامية في ذلك المعرض الرائع الأنيق القائم
بفندق سميراميس ضمن برنامج احتفالات الفية
القاهرة التي نسقتها جهود الدكتور ثروت عكاشة
في عقد فريد يمتد خلال العام الألفى للمدينة
فأضفى بحماسه وإيمانه العظيم بتراث بلاده
وجوداً حضارياً رفيعاً على كل مظاهر الاحتفال .

وبهذا استطاعت القاهرة برغم كل الظروف
أن تقول كلمتها وإن تشرق بوجهها الحضارى في
هالة من النور -

ليس في هذا المعرض جديد سوى الإضافات
القليلة التي شاركت بها بعض متاحف العالم
نماذج من التراث المصري الاسلامي مشاركة
رمزية وفيها عدا ذلك فإن العروض التي قاربت
للمجموعة اجترت من مجموعة متحف الاسلامي



تمثالان من الخشب المكشوف (من لوكي)



تمثال لاسد ملوكي

تمثل كل الثقافات ومزجها ثم إعادة صياغتها
سواء الطامم الخاص والشخصية المميزة عليها .

أما كان للعرب في عهد النبي فن تشكيلي
الهم عندما فتحوا سوريا والعراق
و... و... و... و...
الطابع الإسلامي في الفن مشتق من مصدرين :
الفن البيزنطي والفن الساساني كما تأثر الفن
الإسلامي في مصر بالفن القبطي الذي بدأ يتميز
بأسلوبه الخاص في القرن السادس بعد أن
سقط عن الأسلوب البيزنطي وأصبحت سماته
لأخوية المشتقة من أصولها الشرقية . . . ولكن
في هذه المصادر أسي استولت عليها العنصرية
العربية غسستها في البنايات الإسلامية الفياضة
بالإيمان فأضفت عليها حياة .

واسمعت رقعة الفن الإسلامي من الصين حتى
الأندلس ولكنه حيثما حل إمكان تمثل عبقرية
المكان ومشخصاته الحضارية وأضفى عليها روحا
إسلامية تعرفها في هذا الفن حيثما كان ومن هنا
جاءت ظاهرة الوحدة مع التنوع في الفن الإسلامي
وكانت مصر أرضا خصيبة للفنان الإسلامي
وبخاصة منذ العصر العاطمي فلئن ظل العصر
الطولوني مشهودا إلى فنون ساسما أن

يباب الخلق ولكن المعرض مع ذلك إعادة اكتشاف
لفن الإسلامي فنحن نراه في إطار هذا التمسحي
الرائع رؤية جديدة تتيح استخلاص روائحه .

يحدد الإطار التاريخي للمصر
الحقبة الواقعة بين سنة ١٠١٧ م
من بدء ميلاد القاهرة في العصر العاطمي حتى
نهاية العصر العثماني ، وهو يشتمل كل نما
الفنون التي ظهرت في مصر الإسلامية ماعدا العمارة
بطبيعة الحال وإن تجل منطقها في كل ما صاغته
يد الفنان الإسلامي في هذه الوحدة مع التنوع ،
وفي التعدد مع التماسك ، وفي روح قدسية نورية
تشع من عقود المساجد كما تشع من المشكاوات
وأواني النحاس وغيرها من أدوات الحياة .

رؤية شاملة ترى السكل في الجزء ، وتترك
مكان الجزء من الكل .

وهو ارتبط بعقيدة دينية وبمجموعة من القيم
الإخلاقية سمته احترام الحياة والورع الديني ،
وقوامه بناء النفس وتعميق الوجدان - هو على
نقيض بعض التيارات الحديثة في الفنون يعكس
التفائل وإشراق الأمل ولا يشيع الهدم
والانقراض .

وهو أيضا فن يقدم أروع مثل لعبقرية التأثير



فئة رخام عليها رسوم نباتية وحيوانات وأدعي (أيوبي)

العاطمين وقد أصبحوا أصحاب دولة وخلافة كانوا أكثر انتماء الى المكان . . . لسوا فيه التجانس والوحدة وهذا السميت الجغرافي الواضح الرحيب الذي بقاير سمى بلاد المغرب التي قدموا منها .

وقبل هذا كله راعتهم شوامخ حضارية في
ومن هنا وجدنا المصري، فلا غرابة أن تأخذهم
وأن يحضروا لأكثر من اعتبار فنانيه
وسمعه ويمدوا اليهم أسباب التشجيع وأن تشهد
في فنونها هذا البهاء

٢٠١ ويتحرك ويخلد المحدث والتصوير في نفس
الغنى يفيض على ألواح الحشيب ومنحوتات
الرخام وأواني الخزف ، وقطع النسيج .

في الأمايز الحشبية التي كانت تزين القصر
الغربي العاطمي نرى الإنسان يأخذ مكانه في
أعمال الفنان المعاصر بعد أن كان الفن سجريدا
هندسيا يلجج صور الأشخاص وراء هذه الحقيقة
من الزخارف ونشهد عراكم في ساحات الصيد
واندماجهم في مجالس الفناء والرقص . . . مسرح
من التناسق التشكيلي مزج العناصر الهندسية
المجردة والعناصر التشخيصية مزجا موفقا
واستطاع بحطوطه المحددة أن يعبر عن الحركة
التي سرور كنهه بحسه برار راعا مع فئلاكه
سر التحويل والتبسيط الذي يسقط العارض
والنفاصيل من أجل تأكيد المعنى التشكيلي . . .

من هنا نحس نفسنا في الملامح أروحه في هذه
الأمايز ولئن رد الرأي التاريخي هذا الإسقاط



سراج من العنبر المكلف بالفضة من عصر
السلطان قايتباي

استهوى الشاعر العربي كما استهوى الفنان الإسلامي .

ويحدثنا ابن خلكان عن تمثال الأسد من الرخام الذي أمر الخليفة المتوكل بإقامته عند مقياس الروضة ، كما يصف عبد الفنى النابلسي في رحلته «الحقيقة والمجاز» تماثيل أسود قطرة الخليج القاهري التي ظلت رابضة في مكانها حتى شوها صائم الدهر المتصوف كما روى المقرئ في خطه .

وإذا كان الحشب والرخام مجال التعبير عن الوجدان النحتي للفنان الإسلامي ، فإن الحرف والتسبيح كانا من مساح الوجدان التصويري فيما احتوته النماذج التي وصلت إلينا من روائع الألوان ومشاهد الناس والطيور والحيوان وهذه الزخارف التي تمايلها كأنها حلم الفنان بفردوس قدسي تسبيح فيه الكائنات .. ويبلغ الحس اللوني عند الفنان العاطفي حد الإعجاز في حرفة ذي القرنين كما سلف التشكيل كماله المعجز في تلك الأعمال التي حفظت أسماء صانعيها وعكست عبقريتهم في حرفة الحرف المسلم يختلف عن البيطار المسلم في مختلف أساليب على البيطار مساحين .. أن الشخصية الفردية وجدت إبداعها في ظل الشخصية الجماعية العامة للفن الإسلامي .

وظل الحرف يستعير من الصمغ براعائها ، ومن الحيوانات الأسطورية الاغريقية التي أضفها إلى مشاهد البيئة موضوعاته حتى جاء العصر الملوكي

إلى التزام الفنان تقاليد لا يتخطاها وإلى الحرج في تصوير وجه الإنسان إلا أن هذا الرأي تعارضه الحاسة التشكيلية مجردة عن الاعتبارات الأثرية وترده إلى نزول الفنان العاطفي على مقتضيات التشكيل فهو في هذا النحت الخشبي قد جرد وجه الإنسان كما جرد ملاح الحيوان والطيور أيضا من أجل تحقيق الترابط والتناسق بين الحشد الزخرفي في خلفية النحت وبين التبسيط المطلق في الأشخاص والطيور والحيوان وبهذا حفظ للعمل الفني وحدته وارتباطه عن طريق المقابلة بين أسلوبين في التشكيل أسلوب النحت الزخرفي في الخلفية وأسلوب التبسيط وإبراز الأحياء في المجموعات ، ويؤيد ذلك أن هذا الفنان لم يتخرج من أن يصور على الألوان الخزفية وجوه الأشخاص صريحة واضحة مؤكدة ، وأن يمثل الرقصات والمآزني وتفصيلات الطيور والحيوان .

فهو يحفظ المعاصرين حبه للتبسيط التشكيلي ومقتضيات الحس الجمالي في التبسيط استلهاما لهذه المقتضيات مع تداخل التبسيط في النحت تلك التي تميزت بها الحيوانات من البرونز فهي تبسيطية في أسلوبها وتشكيلية وكأنها من النماذج المعاصرة . ونحن نعالج الحرف الإسلامي في أسلوب آخر فهو دائما يمتلك سر الخامة ويدرك معانيها وما تمايل الأسود الفاطمية والملوكية في المعرض إلا نماذج دالة على هذه القدرة .

ولقد كان الأسد محسورا من محاور الفن ،



الحرف خشبي من العصر العربي الفاطمي



شعبدان مملوك

في مملوك

ARCHIVE
B.S.



فتية من الزجاج المملوك
عليها رسم عازقات موسيقيات



فتية من البلور المصري (العصر
الفاطمي)



شبابيك العسل

من مجموعة من فناني الحرف اعطوا لهؤلاء
خصائصه في ذلك العصر من عبي

والنوع من آخر - من مجموعة من
من مجموعة من فناني الحرف اعطوا لهؤلاء
خصائصه في ذلك العصر من عبي

وآخذ دور الطراز مكانتها

من مجموعة من فناني الحرف اعطوا لهؤلاء
خصائصه في ذلك العصر من عبي

لم يبق من هذا النسيج الكثير ولكن الرواة
تقولوا اليينا ملامح من روايته وكان الشعر العربي
ايضا مصدرا من مصادر اثبات ما طمس واختفى
في معب الاسلام فانسى بغيره التوسيم
في خيمة سيف الدولة :

من مجموعة من فناني الحرف اعطوا لهؤلاء
خصائصه في ذلك العصر من عبي

والنوع من آخر - من مجموعة من
من مجموعة من فناني الحرف اعطوا لهؤلاء
خصائصه في ذلك العصر من عبي

هؤلاء العباون وغيرهم جديرون بأن تسجل
شخصياتهم وخصائصهم من خلال هذا الخط
عمامي منسج على لاسلامي في عصر

ولعل في القبة القاهرة الجدل لأن نخرج
عبائهم وسمايم من اجور - وقد حك معبد
هذا فنون لاسلامية بدمعة مستحقة من
سنة ١٩٣٥ على اعداد معبد مستحقة من
شخصياتهم في كدنة لاجتماع في عام
كله وسنوم من - استندى في شخصيات
والمعنى الجندى و - منسج و - منسج
والتحف الزجاجية وبدأ ينشر دواشانه منذ سنة
١٩٣٨

وما اجدرنا بأن نعيد من هذه الجهود وغيرها
من فنونها - بزاد عرو و - منسج
العصر الاسلامي ما نقى لنا من معالم حياتهم

والملوكي وتبهرنا هذه الثياب بوشيتها ونقشها
ومصبتها وبهذا الثراء في اللون والأشكال التي
يدل على مجتمع بلغ في الحضرة حد الرفاهة وكان
الغن في أدوات معيشته صنوا للحياة .

كما تحت الفنان الاسلامي الخشب والرخام
فانه أودع حشوات العاج الرقيقة حمسة المي .
براعة تلقاها عن أسلافه في هذا المكان ، لمصر
في فن العاج باع يرجع الى القديم ، ولقد كانت
الاسكندرية مركزا من مراكز هذا الفن الذي أبدع
فيه العاطميون وخلفوا لنا مجموعة من تحفه بلغت
حد الروعة في تكويناتها وزخارفها .

أما فن التذهيب وتصوير الكتب وزحرفها
وتصميم غلافاتها فجعلنا يرجع الى العصر الملوكي
.. هو عصر شفق باللون اضافته الى العمارة وأحله
في الأفاريز الخشبية مكان النحت عند العاطميين
وأبدع تلك الزخرفة الذهبية النورانية لصفحات
الكتاب كما نغس مرقمه في ألوان جعلت رسوهم
جيش حرارة الحياة وتخلب الألباب ترى ذلك في
صفحات من مخطوط الجزري وكتاب في معرفة الحيل
والصناعات العارفين من متحف بوسطن ، وفي
مخطوط مقامات الحريري مارة من



حشو من العاج العصر العاطمي

وفوق حواشي كل ثوب موجه
من الدر سميت لم يشبهه نازحه

ترى حيوان البر مصطعبا بها
يحصار في حصاره وسهله
ولكن المعرض الاسلامي منهم للمتاح في آ
بلى من نسيج الكتان والحرير في ٥٠ من العاطمي



رسم من مخطوطة
على ورق يردى
العصر العاطمي



عمود اكل من النحاس
المنقوش - مملوكي

عاجله العنان الاسلامي بورع ديني ينصب بلوامسح
من جامع راج

من جامع عصب حسن
من منه لمستقر في المتحف الاسلامي ، والى
من الزجاج الديوي تشيدي في
الرق والكؤوس منها ما جاءنا من
من عصر ساساني

لحدود لروعه في هذه الجولة بين بحف
عصور هي فرحة للروح ومتمعة للأبصار .. شيء
حتى فيها يحرك وجداننا ويشيع في النفس
سمات كالربيع الخالد

ما أكثر ما نقوله هذه الآثار همسا وجهرا ..
ولكن أروع ما تحركه فينا دعوة الى العودة لهذا
الثرات لا من أجل نقل انماطه وانما من أجل
الارتباط الحميم بهذا الخط الوجداني الذي امتد
من صف حتى القاهرة بعد مطاف طويل عبر
مسافات الزمن والمكان ، اهتدينا اليه أحيانا في
نازحنا العتي المعاصر ولكننا بعدنا عنه في كثير
من الأحيان

واحفال الألفية ليس مجرد ناحية لمدينة
وعاصمة وانما هو قبل كل شيء مراجعة للقيم
وعطية لتعاصر يقدمها التاريخ

هذه المتعة الفنية للمجسم كذلك في اواني
لعمدس من عصر ساساني

.. هي أيضا كانت من الصاغات بعد
منذ العراغة أصاف اليها اعاطسبون
فيما بقشوا وزحرفوا حتى عهد
لعنة الروح وتلقى عنهم المدايا
جلالا بهذه الأشكال من الأ
من عصر ساساني

قدرة فائقة على تكيفات المعادن بالنسب والعصب
حتى كان عصرهم العصر الذهبي لهذا الفن

هي أدوات للاستعمال ولكنها أيضا لامتاع
الرؤى وتحفيق العنة للنفوس

ذلك مسعى يتطلع الفنان العربي الى تحقيقه
سواء رسم على الورق أو نقش على المعادن أو نحت
الأحجار أو زحرف النسيج .. ولقد أدرك
عبد القاهر الجرجاني في « أسرار البلاغة » هذا
المعنى حين قال :

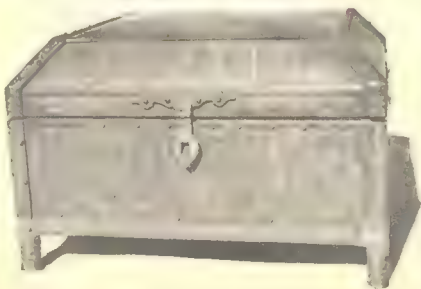
« ان النصب اوير التي يشكّلها الحذاي
بالخطيط والمقش أو بالنحت والفسر يعجب
وتحلب ويجعل النفس يشاها صرب من الصه»

هناك اراء من يوراني يشع من ملك
المشكاوات تزيينها نقوش المينا الملونة .. للمشكاة
عند المسلمين قداسة ارتسمت على هذا العي الذي



ARCHIVE

سنة من النظم في العصر العثماني



صندوق مصحف من عصر السلطان لاوون

مرض الحفر الإيطالي

كان من دلائل التوفيق أن يختار المعهد الثقافي الإيطالي للاحتفال بالآلية القاهرة مرض مؤسسة الحفارين البندقيين الذي أقيم بالمعهد تحت إشراف وزارة الثقافة المصرية والسفارة الإيطالية بالجمهورية العربية المتحدة ، ذلك لأن البندقيّة والقاهرة مدينتان ترتبطان بـ مسح قديمة من التاريخ .. وفي آثار البندقيّة وقنونها غير شرقي ما زال يصرها .

ولقد أثبت هذا المعرض أن من الحفر مازال يستطيع بأدواته التقليدية أن يجدد وسدح دون حاجة إلى إضافات أو خامات حديثة .. وأن الصادق يستطيع أن يهر استخدم خامات الأسلاف و لا يأتي أفنعاا ولكنه عمليه صدق لله في التجربة يتحقق بهما نماء الأسلوب وازدهاره .

معظم اللوحات التي قدمها الحفاريون الإيطاليون المعاصرون حقرت بطريقتين هما من الطرائق التقليدية لهذا الفن .. الحفر على النحاس والحفر على الخشب ولكن فيهما أيضا تكمن أصالة هذا الفن ولغته الميرة بين الفنون ..

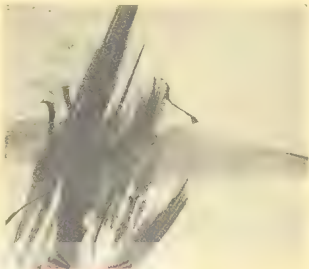
ومن هذه الأصالة استطاعت مجموعة الفنانين المشاركين في المعرض أن يقدموا تنوعات رائعة من خلال هذا التناغم المرئي بين الأبيض والأسود في مجموعات من الأشكال والتكوينات نستطيع أن ندرك منها سر النهضة التي بلغها فن الحفر الإيطالي المعاصر خلال السنوات العشرين الأخيرة .



أساسيات - حجر صلب - الحطب - ١٩٦٧ - رمبو ولغ



سوزانا - ليتو ليوم - ١٩٦٥ - بينوغورطان



الولية - حفر على النحاس -
١٩٦٦ فرانسيسكو فرانكو

ARCHIVE

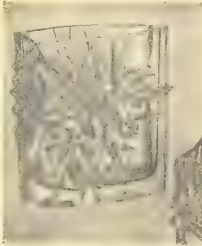


هجرة واحدة حفر على النحاس ١٩٦٦ -
ستييفانيا جويدي



الكرنفال في سريبولي - حفر على الخشب
١٩٦٧ - ايليترا مينالينو

معروض الزجاج القسيكوسلوفاكى



مر معرض الزجاج السيكى

يشير هذا المعرض الذى قدمته تشيكوسلوفاكيا الى القاهرة فى عيدها الألفى أكثر من قضية من قضايا الفن .

وهو قبل هذا تحية لها دلالتها لتلك المدينة التى كان لها إبداعها العظيم فى فن الزجاج والبلور ارتفعت به من مجرد المنفعة والاستخدام الى رفاة فن يعكس فى صفاته حضارة جعلت فنونها صنوا للحياة .

وباقول هذه الحضارة العنية تراجع فن الزجاج وكاد أن يتحول الى مجرد صناعة تغلبت فيها اعتبارات الاستهلاك والعوامل التجارية على الاعتبارات الفنية . وان ورتت بعض الحضارات المعروفة سر الإبداع فى

الزجاج وحفظت لحة منه فى الشعبية بألوانها الزرقاء والبنفسجية والبيضاء التى تجتذب النظر عند صناع

أما هذا المعرض التشيكوسلوفاكى فيقدم مجموعة من الإنتاج الفنى الرفيع نلمس فيه احتفاظ هذه الأمة بآثارها القديم وما اكتسبته من قدرات واستطاعها تطوير هذا التراث والإمادة من الخامات والخبرات والتكنولوجيا الحديثة مع المزاوجة بين المنفعة والفن مما

فادوات الحياة اليومية يضيف عليها الفنان ابتكارات فى التشكيل تجمع البساطة والذوق الرفيع .

أما القطع الفنية الأخرى التى يحفل بها المعرض فهى فى تنوع أشكالها وألوانها مسرح رحب لخيالات الفنانين احترموا هذه الخامة واكتشفوا أسرارها وعرفوا كيف يرتفعون بأدائهم التشكيلي فيها الى مستوى اللوحة والتمثال كل ذلك مع احترام للخامة وفهم عميق لمعطياتها ومع استيعاب لنظريات الفن الحديث ، وبهذا أصبح الزجاج فنا خالصا .

ذلك مجتمع عرف لهذا الفن قيمته بقيا وحسنه عنية وصناعية تعاونت على العيون التشيكوسلوفاكى الفنية فى براغ حقا سويسرا سابع مر دعت هذا الفن معارض العيون للتطعيم الدولة الى القدم الأول .

ويمضى ذلك كله فى إطار من تشجيع الدولة ليؤكد ارتباط الفنون بالحياة عن إيمان بأن مجال الإبداع الفنى ليس مقصورا على الفنون التشكيلية البحتة وإنما يمتد فى المجتمعات الحضارية الى كل أدواتها واستخداماتها ليصبح الفن جزءا من حياة الناس .

وفى مصر كان للفنون التطبيقية منذ عصورها الفرعونية مكانتها من الحياة وحفلت الفنون الإسلامية أكثر ما حفلت بإبداعات هذه الفنون العربية التى عكست رفاة الحس الإسلامى وصدته وانفعاله بالحياة ومازال الفن التطبيقى يقوم بدوره فى المجتمع ولكنه لم يأخذ بعد المكان المأمور به كما أنه لا يلقى المناخ اللائق لازدهاره وكثير من الفنانين التطبيقيين ينصرفون عن فنونهم الى بوحه . حال احسانا بأنها أفضل فى مراتب

أخرى إلى استكشاف الأنماط الرفيعة التي حفل
بها تراث مصر العتي في حياتها اليومية وربط
حلقات الماضي بهذا الحاضر ليدفمه ويتطور به .
ويتطلب ذلك دعم معاهد الفنون التطبيقية وربطها
بمراكز الصناعة والتكنولوجيا وتشجيع المعارص
التطبيقية وتنظيم المسابقات التي تكفل عودة الفن
إلى أدوات الحياة وتشجيع الابتكارات والتصميمات
الجديدة وتطوير الحامات وفقا لأحدث اكتشافات
التكنولوجيا .

من أجل هذا فإن هذا المعرض ليس متعة فنية
فقط ولكنه محرك لفضية الفن والحياة وما يصاحبها
من مطالب أهمها تصحيح مفهوم النظرة إلى الفن
بمسجيع ارتباط الفن بأدوات الحياة اليومية
باعتبارها علامة حضارية وتأكيد الحاجة إلى تدر
مصر العتيحة
مصر العتيحة
مصر العتيحة

التقدير العتي من الحزف وقطعة النسيج وفنون
الزجاج والمينا ، وبهذا تهجر مواهبهم وجبراتهم
أفضل مجالاتها ونتيجة لذلك تحتشد المعارص
بعشرات من اللوحات والتماثيل الدارجة بينما
تتوارى التحف العتيحة المبتكرة وتصبح كالجوهر
النادر .

والتماثيل واللوحة الدارجة أدنى في مراتب
الفن من الفنون التطبيقية الرفيعة فليس الأمر
أمر متاضلة في النوعيات بقدر ما هو متاضلة في
المستوى والامتياز .

هذا مفهوم ينبغي أن يستقر ويتأكد ليعود
للفن مكانه من الحياة وهو يتطلب نظرة موسعة
للفن لا تنحصر في حدود اللوحة والتماثيل وإنما
ينبغي أن يكون الفن عنصرا مساهما ومشكلا لكل
مظاهر الحياة وأدواتها كما كن دائما في عصور
مصر العتيحة
مصر العتيحة
مصر العتيحة

ARCHIVE

في العدد القادم من :

المجلة

- نمط صعب ونمط مخيف (٢) بقلم : محمود محمد شاكر
- قضية التاريخ اللقوى بقلم : د . حسن عون
- أحمد راسم وذكريات مدرسة الشعر الفرنسي بمصر بقلم : نفولا يوسف
- قصة الصراع بين حورس وعمه ست بقلم : د . أحمد عبد الحميد يوسف
- حول أصالة العقاد بقلم : الحسانى حسن عبد الله



مكتبة المجلة

دفع الإصر

عن كلام أهل مصر

تأليف يوسف المغربي

قدم له واعد فهارسه د. عبد السلام عواد
سلسلة آثار الآداب الشرقية
موسكو ١٩٦٨

بقلم: د. محمود فهمي حجازي

١ - سيهتم الباحثون في تاريخ اللغة العربية بكل كتاب يوضح جانباً من جوانب تطور العربية أو لهجاتها ، وكتاب يوسف المغربي في اللهجة المصرية في القرن السادس عشر الميلادي أحد المصادر القليلة في هذا الميدان ، وهذا الكتاب منطلق طيب للبّاحث وهو يحاول التأريخ للاستخدام اللغوي في مصر ، إذ يضم عددا لا بأس به من الصيغ الصرفية والتراكيب والدلالات المستخدمة في مصر في عصر المؤلف . ولهذا اهتم بكتاب يوسف المغربي عدد من الباحثين ، كان المستشرق الروسي فكتور روزن (١٨٤٩ - ١٩٠٨) أول من نبه إلى أهمية هذا الكتاب ، بعد أن كان الأزهرى المصرى محمد عباد الطنطاوى (١٨١٠ - ١٨٦١) أحد مؤسسى الدراسات العربية في روسيا قد أحضر معه المخطوط الوحيد من الكتاب إلى حيث يعمل في

بترسبورج (ليننجراد) ، ولم يكن روزن من اللغويين المهتمين بتاريخ العربية ، فأشار على المستشرق الألمانى توربكه (١٨٣٧ - ١٨٩٠) الذى عرفه المتخصصون سنة ١٨٧١ - بجمعه لكتاب درة العواص في أوامم الخواص للحريرى (٤٤٦ - ٥١٦ هـ) أن يقوم بتحقيق الكتاب ، وفي حصر روزن توربكه بهذا لما عرف عنه من اهتمامه بتاريخ اللغة العربية ، فما كان تحققة

لدرة العواص إلا نقدياً لنص عربى يسد ثغرة

في علمنا ، لأن توربكه انصرف عن هذا العمل بعد ذلك

سنوات طوال جاء المستشرق

اشقوفسكى (١٨٨٣ - ١٩٥١)

إلى دأكرة الباحثين كتاب يوسف المغربي ، بوصف مخطوطة الكتاب وأشار إلى أهميته - ول الأيام الأخيرة من العام الماضى ١٩٦٨ ظهرت المخطوطة مصورة في كتاب أصدرته دار النشر العلم ، بوسكو ضمن سلسلة آثار الآداب الشرقية ، وقد قدم له يبحث عن المؤلف - بالعربية والروسية - وذيله بفهارس دقيقة كثيرة متنوعة باحث عربى هو الدكتور عباد السلام عواد (القاهرة) ، وكان الدكتور عواد قد أقام في الاتحاد السوفيتى نحو خمس سنوات (١٩٦١ - ١٩٦٦) كان يقوم أثناءها بتدريس اللغة العربية بالكلية الشرقية بجامعة ليننجراد ، وأجيز في عام ١٩٦٤ بدراسة عن الكتاب حصل بها على درجة الدكتوراه من نفس الجامعة - ومنذ أسابيع القى المستشرق الروسى شرباتوف بحثاً عن الكتاب - بعد أن سددوه الدولة - تاريخ القاهرة ، ونشر بحثه هذا قريباً .

٢ - حاول المؤلف أن يحدد في مقدمته

موسموسوع كتسابه ومنهج تأليفه ، قائلا :
 « ... فقصيد الفقير يوسف المغربي ... أن
 يرتب هذا الكتاب على أبهج ترتيب ، ويهبط
 ما يقع من عوام مصر بأن يرجعه إلى
 الصواب ، وهذا هو المغرب ، مقترفا من
 القاموس والمعاني ، مما لا يحكم بخطئه ،
 صواب ، وسميته : « الفضل الصام وقاموس
 العوام » ق ٢٢ »

ويبقى أن نقف قليلا عند هذا النص فالاسم
 الذي اقترحه المؤلف عنوانا لكتابه هذا ، كان :
 « الفضل الصام وقاموس العوام » - وهذا
 العنوان وارد في صحيفة الغلاف ، وكذلك في
 النص المذكور من الورقة الأولى ، ولكن المؤلف
 نفسه قام بعد ذلك بمسح هذا العنوان
 بعد ذلك ، فذكر العنوان الجديد عدة مرات ،
 هذا وقد شطب العنوان القديم في الورقة الأولى
 على نحو يحيلنا إلى هامشها حيث العنوان الجديد
 مذكور به ، وهو : « دفع الأصر عن كلام أهل
 مصر » ، وفي أماكن أخرى ورد عنوان الكتاب
 بصيغة أخرى : « دفع الأصر عن لغات أهل مصر »
 « قارن الأوراق ٢٦ ، ٢١ ، ٢٤ ، ثم ٥١ ، ١٩١ ،
 ١١٩ ، ١٢٩ ، ... »

يؤخذ أن اسم الكتاب قد عدل إلى « دفع
 الأصر » ، وهكذا أثبت الدكتور ...
 الكتاب ، « غير أن المستشرق الروسي ...
 آثار هذه القضية من جديد ، ...
 الكتاب » دفع الأصر ، اعتمادا على ما جاء به
 كتب محمد بن أبي السري ...
 ت ١٠٨٧ : القول المتضمن فيما وادى لغة أهل
 مصر من لغات العرب - القاهرة د . ت ، وكذلك
 استنادا إلى وجود كتب أخرى باسم : « دفع
 الأصر » ، وهذه أدلة ثانوية لا ترقى حجة إلى
 ما كتبه المؤلف بخطه في أصل كتابه ، فالدال
 متميزة عن الراء في المخطوط على نحو لا يدع
 مجالاً للخلط بينهما ، واسم الكتاب مدون في
 المواضيع المذكورة من المخطوط : « دفع الأصر ... »
 بدال لا تقبل الشك ، وأما أخذ اسم الكتاب
 مما ذكر في كتاب آخر ، ففيه نظر ، قد يكون
 تصحيحا ، أما كتاب يوسف المغربي فهو : « دفع
 الأصر » ، ولا أصل لتأني من نسخة بخط
 المؤلف ، وهذه هي حال مخطوط هذا .

تتفق الكتب التي ترجمت ليوسف المغربي على
 أنه عاش في القرنين العاشر والحادي عشر
 للهجرة ، وبالنظر في الورقة ١١٣ من المخطوط
 المصور ، نجد عبارات صريحة تؤرخ لتدوين
 المخطوط : « البداية في نصف شوال عام أربعة
 عشر وألف ، وانحتم ليلة النصف من جمادى

الأولى عام خمسة عشر وألف » ، فالمخطوط
 كتب على هذا في عامي ١٠١٤ ، ١٠١٥ هـ ،
 ويؤيد هذا أن تاريخ التدوين ١٠١٤ صريح في
 أكثر من وضع في المخطوط ، الورقة ١٣ أ ،
 والورقة ١٦ ب . وفوق هذا فهناك تعديل سجله
 كاتب المخطوط وأرخه بعام ١٠١٦ هـ ، وأضافه
 إلى الكتاب نكاح في سنة ١٠١٣ هـ ، ولكن هذه
 التواريخ تدخل في سبب حياة المؤلف ، فلا يعد
 أن يكون بخطه ، هذا والمخطوط عبارة تدل على
 كونه أصلا بخط المؤلف ، وما هي العبارة
 الواردة في الورقة ١٣٣ أ ، نصها كتبه الفقير
 يوسف المغربي عني عنه : « وفوق هذا فتعديل
 العنوان من : الفضل العام ، إلى : دفع الأصر في
 مواضع عديدة يشهد بأن المخطوط الذي قدم لنا
 مصورا هو أصل بخط المؤلف ، ولكل مصنف
 أن يسمي كتابه ما يشاء ، وعلى الباحث أن يعرف
 الكتاب بالاسم الذي سماه به مؤلفه دون تعديل
 أو مصر » .

ولننظر بعد هذا إلى باقي عبارات مقدمة الكتاب
 « ... العربية الفصحى ، وهو يحاول تهذيب
 ما يقع من عوام أهل مصر بأن يرجعه إلى الصواب ،
 ... بحث بعض ما جاء مناقشا إياه مدافعا
 ... لا يعتبر محاولة شاملة
 ... لمؤلفي بعضه ، وقصصاره أن
 ... ما عرفت له اللهجة العربية في مصر
 في القرن السادس عشر ، ليجمعه - أن أمكن -
 ... للمعري والنحويين ...
 ذكر المؤلف من مصادره في أحكامه بالتصحيح
 أو الرصص محسن . ذكرهما في مقدمة . وهذا
 القاموس المحيط للفيروزابادي ت ٧٢٩ هـ ،
 والعباب للصاغاني ت ٥٥٧ هـ . وكل هذا في
 محاولة للدفاع عن صحة كثير من الصيغ
 والتراكيب والدلالات مما اعتبره لفسوي عصره
 مطرحا مرفوضا . وقد أدى اعتماد المؤلف على
 القاموس المحيط مرجعا له في التبرير والتصحيح
 أنه رتب المادة التي ناقشها من اللهجة المصرية
 ترتيب القاموس المحيط ، ولكن يتضح لنا موقفه
 فلابد وأن نشير إلى أن يوسف المغربي لا يحاول
 دائما الدفاع عما ورد في اللهجة المصرية ، فهو
 يطرح بعض الصيغ والتراكيب دون محاولة
 لتبرير صحتها .

٣ - ترجم أهمية كتاب : « دفع الأصر عن
 كلام (أو عن لغات) أهل مصر ليوسف المغربي
 إلى تسجيله عددا من الظواهر اللغوية تفصل

في القرون الأولى من عصر الحضارة الإسلامية ، ولكن الاستشهاد بالحديث كثر في القرون التي تلت ، وها هو المقرئ يستشهد بعدد كبير من الأحاديث ضمت في فهرس من أربعة أعمدة أعده الدكتور عبد السلام عواد في آخر الكتاب .

ولنتظر في نص آخر من كتاب دفع الإصر ، يقول يوسف المغربي : ويقولون زحلفة على الدابة المسماة سلحفاه ، وأما الزحائف كما في القاموس دواب صغار لها أرجل تمشي شبيه النمل ، والزحلوقة آثار نزع الصبيان من فوق التل إلى أسفلها أو مكان متحدر ملس ، وزحلفه دحرجه ، فالحاصل الزحلفة بالغاء كـ الزحلفة بالقاف (الورقة ٢٣ب) . وهنا نلاحظ في تحول كلمة «سلحفاه» إلى زحلفه ، تطبيقاً لمبدأ من القوانين الصوتية ، منها مثلاً تحول السين المهملة إلى الزاي المهملة على سبيل « المائلة » مع اللام المهملة ومع الإصه التي هي السين (الزاي) واللام ومنها كذلك حدوث « قلب مكاني » فتبدلت «لام» الحاء مكانيها في كلمة «لكن» «سب» «حمر» جعل هذه كلمة وتلك كلمة أخرى ، وعاد إلى «سب» «سبا» عن دلالة الكلمة الناتجة ، ولا عراة أن وحدها مخالفة ، وأنا هنا نعيد من «للفاهرة» وللكلمة وإن كنا نخالفه في «س» «ه» .

وهناك كلمات كثيرة سجلها يوسف المغربي منسوبة بدلالاتها إلى مستوى استخدامها ، فهو ينسب إلى بيتات لفظة متعددة : عامة الفلاحين ، عوام أهل مصر ، العوام الصرف ، عوام مصر ، أهل الصعيد ، الشوام ، أهل الحجاز ، أهل الريف ، أهل الأرياف ، فوق أنه ينسب بعض ما جاء به إلى كلام « بعض الخاصة » . وهذه العبارات على تداخلها وإبهام بعضها ترشد إلى ربط الظاهرة اللغوية المدونة بمستوى استخدامها مكانياً وطبقياً وثقافياً ، أو ترشد إلى التحول في مستوى الاستخدام . يقول يوسف المغربي : « ويقولون - ويقع من أهل الأرياف - على الفم : الحنك » ، « ورقة ٥٧ ب » . وهنا نلاحظ أن كلمة الحنك التي كانت في عصر سيميوي في مستوى المصطلح العلمي قد تحولت فإذا بها تصبح في عصر يوسف المغربي عند « أهل الأرياف » ، ومؤلفنا يعود على عاداته إلى القاموس المحيط ليشرح الكلمة ، مستشهداً بآية كريمة توضح معنى المادة ، وفي موضع آخر (الورقة ١٣٠ أ) يقول المؤلف : سمعت من أهل مكة من يقول على نوى التمر : « فص » ، ويقولون على نوى التمر

منطلقاً لتأريخ اللهجة المصرية في القرن السادس عشر الميلادي . يقول يوسف المغربي : « الناس في مصر يقولون - حتى بعض الخواص - يغير فكر : « فلان أد هوا عمل كداء أو «أد هوا جاء » ، هذه اللفظة لا حيلة في تصحيحها ، ومرادهم معنى : « ما هو » ، أو « هذا » . وهذا النص في حاجة إلى مناقشة ما به ، فما الصوت اللغوي الذي كان يقابل الدال المصححة في اللهجة المصرية في القرن السادس عشر ، فعبارة : « أد هوا » تقابل في المصحح « هذا هو » . ولتقف عند العنصر الإشاري « الدال » وقد تحول إلى دال ، وهو ما نعرفه إلى اليوم في اللهجة المصرية : « ده » ، « دي » ، « دول » ، « الق » . لنقرر أن الدال المصححة عرفت الدال مقابلاً لها في مصر في القرن السادس عشر على مستوى «المحيط» ، «إطلاق من العول بالمراد» ، «قواميس الصوتية» ، فإن التساؤل المطروح هنا يزدى بالضرورة إلى فرضين ، أحدهما صحيح . العنصر الأول أن تكون الأصوات بين الأسماء قد بدأت تتحول في عصر يوسف المغربي إلى «الده» ، «الده» ، أي الدال . وفي الظاهر ضاد . والعرض الآخر أن يكون هذا التحول قد تم فعلاً على مر الأجيال السابقة على عصر المؤلف ، ولنا مع تحليل الظاهر سمعة في كتاب دفع الإصر لقاء في عدد ١ م ، حيث هنا أن يعرف أن الكتاب يتم «سبلاً» «ك» «تكم» في أحيائها تكوين نكتات في تاريخ العربية ولهجاتها .

وفي نص آخر نرى المؤلف يورد لنا ما يفيد أن اللهجة العربية في مصر في القرن السادس عشر كانت قد تحولت من تحقيق الهمز إلى تخفيفها ، يقول صاحب دفع الإصر « ويقولون ، « فلان جا وراح » ، أما جاء فهو صحيح جا وإن كان أصله ممدوداً ، وراح يطلقونه على ضسد جاء ، فتخفيف الهمز في آخر الكلمة عرفته اللهجة المصرية في القرن السادس عشر ، وغنى عن البيان أنه عرف في لهجة الحجاز قبل ذلك بشماتية قرون على الأقل ، وما زال الباحثون يجمعون هذه اللبئات لدراسة التطور الصوتي للعربية ولهجاتها . ويمضي يوسف المغربي بعد ذلك شارحاً التطور الدلالي لكلمة راح ، يقول : « وراح يطلقونه على صد جاء ، وهو بمعنى جاء لفة ، ومنه الحديث : (لو أكل أحدكم حق أكلاله لزرق) كما تزرق الطير تغدو خلاصاً وتروح بطاناً » ، أي ترجع إلى أوكارها . وهكذا يتوصل يوسف المغربي بتخصص الحديث الشريف كشواهد لفوية ، وهذا الموقف كان نادر الحدوث

« عصريين أساسيين يتقاسمان رقعة المدينة ،
تخطيط - أو بالأصح لا تخطيط - عشوائي
بمعاني يمثل الخط التيق في المدن ، بل والقرى
المصرية عامة ، ويمثل في العاصمة مناطق النواة
القديمة منها ، وتخطيط هندسي مصمم منظم في
أشكال مربعة أو مستطيلة أو مضلعة أو دائرية
يمثل بدوره العصري (الأوربي) الجديد
في تركيب المدن المصرية الذي أدخل منذ القرن
الماضي فقط ، وهذه الثنائية الأساسية في الخطة
ترمز بسهولة - فيما يلحظ د - جمال حمدان -
إلى الثنائية المعاصرة ، حيث يتعايش القديم
الجديد والأصيل والدخيل .

فإن سرت في واحد من تلك الشوارع فسترى
الدكاكين الجديدة لا تزال تحتفظ بينها بـ مكان
قديم يبيع المطارة والبخور ، توارثه الأحماد
عن الأسلاف ، وستتعرف في المقاهي الجديدة على
« حسيه » المعلم ، صاحب المقهى القديم بلطفه
« حرب وبشاشته وحة دمه ، بنكاته وقفشاته »
بـ مكانه ، « حصور بدنيته » ستتعرف فيه ، وإن
« لطرايش أو كان عارى الرأس
« بلحمه وشحمه » فالقاهرة ،
« أنب المدن الأوربية الحديثة التي تتميز
« حصر حصار حسا لن حسب مع الناصر
البشرى ، القاهرة على خلاف ذلك تتميز بالتجانس
البشرى الذي انصهرت وذابت فيه على مر الأيام
كل العناصر الغربية والدخيلة وظل الطابع
الأصيل لأبنائها هو المظهر الذي يطل به هذا
التجانس البشرى ، ودعك مما يحيط به من
نساخر ، أو أن شئت فقل ما يحيط به من عدم
تجانس حضارى - « وقد يبدو ابن البلد في نظر
السائح الأجبنى الهباب شخصاً متنافراً مع
عاصمة تترام عليها المدنية الحديثة ، بل قد
يبدو شخصاً يثير التجسس ، أما الذين يكلمون
انفسهم عنه مقابلته - وهو سهل المثال في دكانه
الصغير أو في مقهى المaulوفة ، يجدون ابن البلد
« مد - ملح الأرض - شخصاً يتصف بالتواضع
والصراحة وحس الفكاهة والمساواة بين الناس ،
فإن كان شيخاً فتوقع عنده ما شئت من مراسم
حفاوة رب البيت الكريم ضيوفه . إن أساس
نظم معيشتهم قد رسخ في أقدام أحياء القاهرة
حيث تراكم الزمن طبقة فوق طبقة ، بحيث تقوم
دور متداخلة فوق خرائب قصور الخلفاء أو فوق

لم ينفوس مظهره وغو يروح بحسن استريح المنح
عليه ، أو في مسجد عتيق ، لا سوء أعمده بحسن
سقفه - ولطفاً لحملته - بقدر ما تثنى بأعياء الزمن
يتراكم عليها يوماً بعد يوم ، أو متذنبه تكايد الزمن
يود لو احتنها شيخوخه وتآبى إلا أن تبقى شامخة
مستقيمة ، ولعل الزمن المتصاقب عليها قد
استطاع أن يعيث بوجعها فخط تجاعيد دقيقة
بين أحجارها ، أو صمغ سعتها بلون الشيب أو
باصفرار القدم ، لكنه توقيع الزائر في سجل
مضيف كريم لا بصمة الجاني على وجه ضحيته ،
وظلت « باقية ناجية بشمها وشموخها » لم
يحس صراعاتها في غمرة الضجة الهائلة التي
اندلقت عليها من كل جانب ، « يخشع لها القلب
وتطرب الأذن عند مولد كل فجر » .

ستجد هذه الآثار شامخة قائمة متشبثة بالحياة
بين أكادس العمارات الشاهقة وبرغم عواذى الزمن
ومعاول التنظيم الفسومة ، باقية كشهادة ميلاد
مطوية بين صفحات كتاب جديد ، تشهد بالطابع
الأصيل للقاهرة وبجلالها المكنون ، إن كنت تأس
لجمالها حين يطوف به خيالك أو هو تأس
قصره ، في عز مجده ، فإليك أشد أنسا به وأب
بروره يوم فراره منكش - «
« وإن أرقت أن لا يتبدد بعد - «
رحلتك بين آثار الماضي - «
« القاهرة » لديموند ستوارت ، ليدلك على خير
مكان تقصد ويزودك بمعلومات كافية عنه في
أسلوب شيق طريف .

ستلحظ منذ اللحظة الأولى من رحلتك نوعاً
من الألفة والود بين القديم والحديث ، فكلاهما
متجاوران في كل مكان دونما نزاع ، بل هما
متناقن في أغلب الأحيان ، بينهما بذل وعطاء
في سخاء المحب لطبيعه ، ولعلك في هذه اللحظة
الأولى بحاجة إلى طائفة لتطّل من شاطئ على
شوارع المدينة ، سترى القديم منها كالساخر من
غير مقصد ، يتعرج به السبيل وقد يلف ويدور
حول نفسه أو يتوقف فجأة حيث هو ، وسترى
إلى جواره شارعاً حديثاً واسماً ومستقيماً عندما
يلتقى القديم بالجديد يتصافحان في لهفة المشتاق ،
وقد يسيران في درب واحد ، أو أن افترقا ظل
مكان لقائهما رمزاً لذلك الحب ، وسجل كل من
العاشقين اسمه على تاصمة مكان اللقاء .

وقد تنعيك عن الطائفة نظرة متأنية
في خريطة للقاهرة ، وسوف تلحظ وجود

أكوام النفايات .. « ستجد هذا اللقاء بين القديم والجديد في أحدث أحياء القاهرة ، في هليوبوليس (مصر الجديدة) ، فشوارعها الخلفية تعج بمنازل على غرار منازل الأحياء السكنية في القاهرة القديمة ولكنها تستوعب أجهزة الرافزستور والفسلات الكهربائية وغيرها من أدوات الحضارة الحديثة . بل لعلك - إن مرت بك أو مررت في شوارعها بعيون زرقاء أو خضراء في وجه أسمر - أن ترى فيها عيون الممالك التي أوروها للمصريين .

ود أميل بين القديم والجديد في كل مكان ، ود متين لا يقطع الموت نفسه ، وفي مدينة الأموات خير دليل على دوام الصلة بين أهل القاهرة اليوم وأهل منف قبل أربعة آلاف سنة .

سنرى بعد ذلك أن القاهرة قد علب عليها دائما طابع إسلامي ، وللقاهرة عند المسلمين مكانة مكانة مده نفسها - فإن شئت بصحت صاحب هذا كتاب في جولة بين الأثار الإسلامية وسيعطكم على « سجل حصاره بنماها حسن على الحجر والاجر والحطب طوال زمن ... » ثلاثة عشر قرنا هو الآن معروف ... وسيستغل بك ديرموند ... الطرف الجنوبي للقاهرة يست اليوم لما فتح القمام مساجد القاهرة الذي به ...

كانت الفسطاط القديمة ، ثم يعبر بك أول موقع للقاهرة الإسلامية حيث أقام ابن طولون (سنة ٨٧٠) مدينة جديدة يؤلف فيها الدين الإسلامي بين مختلف الأجناس من عرب وأتراك وعندما تصل الى جامع ابن طولون ستأخذك الهرمية ، سيذكرك بالبارثينون على قمة الأكروبول في أثينا ، أو بالعباد العروبية ، ومرة أخرى ستجد امتدادا لتراث البلد القديم ، وأنت في هذا المبنى لا تستشعر الله في رؤيتك لنمثال - فليس في الجامع طبعاً تماثيل - و لتفاصيل من رخارف ، ولو أن الزخارف الحمضية حول الشبايك بديعة الجمال ، بل تستشعره في هذا الانسجام الكامل المطلق حيث لا عوائق بارزة وحيث تجد كل حنية من حنايا الروح ومزما - وبعضى بك ستيوارت بعد ذلك الى الشمال من جامع ابن طولون ، الى حيث تقع المدينة الإسلامية الثالثة - تلك التي اتخذت لأول مرة

اسم القاهرة وخلعت على العاصمة كلها ، مازا من وابنها الجنوبية (باب زويلة « أو « باب المنوية » بجناحيه المصننين ترتفع فوقها مآذن رشيقة حيث في عهد لاحق ، ليدخل بعد ذلك الى سوق الفورية . وهذا السوق المسقوف هو المكان الوحيد الذي يرسم لك أقرب صورة الى الصدف بداية الى اليوم من حياة الناس في عهد المماليك ، أبواب ضخمة - متروكة الآن مفتوحة دائما رشقت فيها كرات من حديد ، وكان التجار يعلقونها بالضريبة والمغتصاة اذا ثارت ثائرة الممالك . »

وفي قاهرة جوهر التي تتجول فيها الآن سترى أوضح مثال على لقاء القديم بالحديث في جامع أو جامعة الأزهر ، فجزء من البناء كان قد شيده جوهر مسجدا وجامعة (في ٣ أبريل ٩٧٠) وبدأ يستقبل طلابي العلم (٩٧٢) ... والبناء ... والبناء ... والبناء ...

وعندما يتبقى لك ستيوارت من باب زويلة « باب النصر في الشمال ، سترى مع روين آخر في مسير ديفونشير وكتابهها « جولات في القاهرة » لترشدك « في لغة سهلة صريحة ، وعن علم حال من الحذلة ، الى ما احتجب من آثار الماضي في ماكنها غير الجلية ، لكنها قد تستأنس بك وتسعد لرفقتك فلا تتركك الا بعد سبعة أيام ، فإن كسب في عجة من أمرك ، عد الى ستر ستيوارت الذي ينتظرك على مقهى أمامها ضعيفة ، بلدية لكنها مريحة ، عليها لافتة تقول « قهوة محمد ناصف وأولاده » يشرب قبوة ناصف التركية « السادة » التي لم ينس ستيوارت أن يذكر تمها في كتابه ، اجلس معه قليلا ليحدثك عن جهود صديق عجز هو ادوارد لين الذي كتب عن المصريين المعاصرين ، ثم يواصل سمك الجولة مارا بمستشفى قلاوون وآثار عصور الممالك فشارع بين القصرين الذي يصل باب زويلة بباب النصر ، ثم الى الجامع الكبير الذي شيده الحاكم بأمر الله ، والذي يقف عند نهاية سلسلة من الجوامع ذات طابع واحد ، طابع

تمر بها ربما كل يوم ، وبلغت براعته في الوصف حدا يحطك تتمثل الصورة قبل أن سم الكلمة .
 ويرغم ما يشمه الكتاب من معلومات وفرة عن فاعره
 الأملس واليوم فقد حلا من الجفاف والخشونة
 اللذين تتميز بهما في أغلب الأحيان الدراسات
 الأكاديمية المتخصصة ، وهو ان كان قد افاض
 في تفاصيل لا أهمية لها بالنسبة لنا فمخره مقبول
 لأن الكتاب مقدم أصلا لراثر أجنبي لا يعرف البلد ،
 والقلم الثاني هو قلم المترجم ، والقلم الثالث
 هو قلم صاحب المقدمة التي تخلق نوعا من
 التوازن بين شطرى الكتاب . فبينما لا يفارقك
 المرح وخفة الروح والبساطة في الجزء المترجم ،
 لا يفارقك الإحساس بالجدية والصرامة في الجزء
 المؤلف ، وبينما يجد طالب المتعة السريعة بفتته
 في مطالعة ما كتبه ستيوارت يجد طالب العلم
 وسعد بفيه في الدراسة الأكاديمية الجادة
 . نرجو جمال حداد كـ
 « نرجو » أردت مثلا على ذلك فأقرا وصف
 « نرجو » ستيوارت لأعداد الطعمية من فسات
 الخبر وأقول أنجروش ، ثم أقرأ هذا الجزء القصير
 من المقدمة الذي يصطبغ بأصوات المصطلحات
 في آخره :

« ولعل بعض الدرس المستفاد هو أن القاهرة
 الكرى بحاجة حقيقية - مع أو قبل الانفاق -
 إلى عملية « هسمنة » Haussmannisation
 كما تسمى ، جريئة واسعة الخيال دون أن تكون
 راديكالية بتارة بالضرورة ، فتفرض على أوصية
 حطتها الفسيفساء نظاما متشعرا ، متعدد البؤرات
 - منها لتركيز المشكلة في نقطة واحدة - من
 البوليفارات المحورية الشرايانية ذات التوقيع
 الأسرانيحي بحيث تتحول هيدرولوجية النفل
 في قلب المدينة إلى نهر قليل الروافد كثير
 المصاب »

العزة الدينية التي تبعت من هذا الدين بما
 يسرع اليه من ديموقراطية في أحد نواحيه ، حيث
 يقف الناس جميعا سواسية في صفوف الصلاة
 مهما كانت أنسابهم أو طبقاتهم الإجماعية .
 ينتقل بك ستيوارت بعد ذلك إلى الجامع الأحمر
 فجامع السلطان حسن الذي سيشهد لك بأن
 المستوى الحضارى للدين قد ناله بعض التغيير ،
 كما أن المياني قد تغيرت في الشكل والروح .
 فإذا كنت نمشي مرحي القيادة ، غير مترث لتنازل
 أثر معماريا تقصده لذاته ، وإنما تشرب بنظرة
 شاملة هذا السحر الذي تنفثه عمار ، مسلم لها
 كمالها ، وإن تعرضت للبلبل ، فإن سيرك في هذا
 الطريق - أو في طريق آخر يصفه لك ستيوارت
 سيمدك بحيوية وتنشوة لطيفة بنما - بأن
 مع علو النهار ، ويناقضان ما بقي في بعض
 من جو القبور التي تجلت لك تحت أ
 عند جامع عمرو . ثم في
 في اسرمد منها جامع
 الأساسية »

ويعد أن ينهى ستيوارت رحلته معك بزيارة
 الفرافة شرقى المدينة سيختتم يومه معك بنزهة
 في فلوكة على النيل حيث يقبل التسميم كآبة
 تعلقت من زيارة القابر .



والحق أنك قد تستطيع أن تختصر الساعات
 الطوال التي تقضيها في التنقل بين آثار الألف
 عام إلى ساعتين تقرا فيهما كتاب ديزموند
 ستيوارت ، فقد توفر لهذا الكتاب ميزات
 كثيرة ، إذ اشتركت فيه أقلام ثلاثة لكل مهنها
 مميزة كبرى ، أولها قلم المؤلف الذي بلغت
 حساسيته حساسية عدسة تصوير دقيقة النقطت
 تفاصيل أعفلناها - ونحن أبناء هذا البلد - بينما

جامع
ان طولون
من الداخل



بمناسبة أعياد القاهرة أصدر المعهد العلمى العربى للاثار السوفيه بالقاهرة العدد الثامن من مجلته Annales Islamologiques « حوليات اسلاميه » . حرر ماده هذا العدد نفر من كبار المستشرقين .

الإسلامية الحديثة . كان وصفه للقاهرة مثيراً
تماماً عن وصف من سبقوه . وثابت ابن جبير
في كتابه « رحلة البحر » أنه قد
وسمى مصر ، أن يرى في عهد من القضاة
كاتباً يعرف كيف يترك الجماهير ويصف حماستها
جبير ، أولاً وقبل كل شيء
التي . لقد رفض في رؤياه للقاهرة ،
لنسر الأشياء والحياة الدنيا الزائلة
الحاد على القيم الباقية ، وتخطيت دور
الفساطط كله ، وحده
الحسن ، جعل خلق العالم
جاءه من المؤمنين أو المحايدين

أما ابن سعيد الأسباني الأصل فقد زار
أفامه عر من جهة الشرق استوفاه سحر
شفي وعظمه قدمه أنه قاصد لحجر
المرمر في الجبل وأما ماعذ جاء منه
من الطين في العلم الذي ودمعه حبه
أبلى في صفة ما رآه من قبال أدبه

وصف الرحالة الأربعة عظمة القاهرة وهو يراها
 وهي بعد عن السماطى الشرقى نهر حبل عظيم .
 ويعرض على من رآها المقاربة بينها وبين بغداد .
 ويأريها طول رافع . ومنذ أن حل الإسلام
 على ضفاف النيل . لم توقف عاصمة الأديان
 الكبرى . في المساجد والمباني . طوع الفن نفسه

في المال الأول ، تحدثت بلاشعر عن العاهة
كما رأها أربعة من الرحالة العرب في العصر
الوسط ، هؤلاء الرحالة كما يقول كاتب
المال ، هم أعضاء من 'أربز الأعماس' والذين
الي يمكن أن يوجدوا في النجس مرقى في
أربعة الشوارع المتجاورة في العالم - ولهم العرب
إثنين حول (القرن العاشر) ، وإثنين
القدس (القرن العاشر) - كلاهما جاء من الشرق
كلاهما يشبه الآخر ، خاصة من الناحية الفكرية
كلاهما حريص على استعماله في قواه وتنهض
كلاهما شغبي شغبي ، أو شغبي شغبي -
لنذكر كل ما ينبغي أن نذكره في كلاهما
شغبي حريص على العمل - في كلاهما

كتب ابن حوقل صفحاً هاماً ، لا بالنسبة لمن عاشوا في عصره فحسب ، بل بالنسبة لمن أصبحوا ولا يستسلم ابن حوقل للانفعال . وبني القاضين ووقعها أكثر من مائة نعت الحياة فيما كتب . والشئ الاسمي في نظره هو ألا يسوق شيئاً لا يكون صحيحاً فهو ، على سبيل المثال ، لا يذكر الأهرامات أو عرشاً . ولا يولد لجلال الليل في قصة أي عمه .

بتحدث نلا شمر بعد ذلك عن اثني عشر من الرجال
 قداما من الغرب ٥٠ أوليها ابن حجر قدم من
 الأندلس وتوقف في مصر وهو في ثمر عه
 بيت الله الحرام ٥ دفعه الى الرحال ٥
 لا حب الاستطلاع ٥ لقد جاء لسهل من مصادر

وتعبر بلاتين (الجمع القاهرة) كما يراه أربعة من الرحالة العرب في القرون الوسطى : « كلود كافين » ،
 لم يسبق نشره يرؤى ولده فرغان للوزراء ، حبان كلود جارسان (القاهرة) ، وإلف - إلف - إلف (البحر) ورويس - إلف -
 إلف (البحر) ، وإن كلود سادو - آراء خطباء المساحدين العرب الرابع عشر ، « إلف (البحر) » ، حبان برك (العاصم)
 الإسلام في البحر الأبيض المتوسط كما رآها ، « إلف (البحر) » ، حبان برك (العاصم) ، حبان برك (العاصم) ،
 والإلف في القاهرة » ، « إلف (البحر) » ، حبان برك (العاصم) ، حبان برك (العاصم) ، حبان برك (العاصم) ،
 في الرواية (القاهرة) ، حبان برك (العاصم) ، حبان برك (العاصم) ، حبان برك (العاصم) ، حبان برك (العاصم) ،
 بالقاهرة - إسكوب جديد لثلاثة حيلة » ، « إلف (البحر) » ، حبان برك (العاصم) ، حبان برك (العاصم) ،
 وتعد ترجمة هذا شاول فيال صفحة ٨٧ من هذا الصدم من الحيلة »

عيد النوروز - ولقد روى الكتاب العرب ثائرين ما كان يرتكب في مدينة القاهرة من فظائع في ذلك اليوم - كانوا ينتخبون اميرا ، له حاشية ، ويمارس سلطات تتناسب مع مقامه - كان يمر والحاشية على الجمال امام منازل الشخصيات المرموقة ، ويطلب منها ، على سبيل المزاح ، أن تمثل بين يديه - وكان المازفون وبنات الهوى يتجمعون حوله ، حاملين الآلات الموسيقية ، ويطلقون الصيحات ، ويعبون النبيذ والبيرة عبا . وكان الناس يرش بعضهم بعضا بالماء - ولقد ألغى السلطان برفوق هذه الاحتفالات رسميا في القرن الرابع عشر .

ويتجلى فيحت فبيحت عن مناسبة شعبية هامة ، الاحتفال بوفاء النيل ، وصفها ليون الأفريقي على هذا النحو : « كان يقام في القاهرة احتفال عظيم في بداية أيام الفيضان » - تأخذ كل عائلة مركبا ، وتزينه بأرق الأقمشة ، وأجمل السجاد ، وتأخذ معها الزاد والحلوى ، ومشاعل جميلة من الشمع - السكان جميعا في المراكب ، يلهون كل حسب امكانياته - ويشترك الحاكم نفسه والقادة والعظماء في الحفل - يذهب الحاكم الى قناة تسمى القناة الكبرى ، أقيم عليها سد - ويتناول قاسما ويشق الجدار - وتتحو نحوه كبار الشخصيات ، حتى يشار اليهم الذي كان يحول دون وصول المياه - وفي الحفل ، يتدفق النيل بعنف ، ثم ينساب في القنوات الأخرى - كانت القاهرة في ذلك الوقت المدينة البديعة البندقيّة ، وكان يمكن الذهاب بالمراكب الى أي منطقة أهلة بالسكان - ويستمر الاحتفال سبعة أيام وسبع ليال - وكان الحفل يمتد الى المساء ، حيث تفسأ الأنوار ، وتطلق الصواريخ .

وفيما عدا الاحتفالات الموسمية ، كانت هناك أحياء تحتشد فيها جموع الشعب طلبا للمتعة واللهو .

يحدثنا المقرئ عن ميدان باب اللوق ، حيث يتزاحم « أصحاب الحلق والحرف وأصحاب الملاعب ، والمشعرون ، والحواة » - وكانت تختلف اليه أعداد مهولة من السكان ، وكانت المبائع الطائفة تنفق في القسق والفجور » - ويقول لبيون الأفريقي أن مدرجى الجمال ، والكلاب ، والحمر كانوا يجتمعون في ميدان الأزيكية - ويصف مشهدا مسليا لفت نظره : « نمر » الحمار الذي ينصاع لأوامر صاحبيه ، فيتظاهر بالثور تارة ، والفرح تارة ، وتنتهي الشرة دائما بوقوف الحمار أمام أجل من يشاهدن العرض - وكان هناك أيضا من درب العصافير على التقاط قصاصات من الورق كتبت عليها ،

الايمان - وأحسن الرحالة الأربعة وإن اختلفت درجة احساسهم ، بإزدحام العاصمة بالسكان ، ونشاط الحياة ، والبساعة ، والجمالين - وورد في كتاباتهم أكثر من مرة انطباع يتفق مع انطباعنا اليوم إذا ، هذه المدينة العتيقة ألا وهو التناقض بين الثراء والفقر ، وفخامة المباني والأحياء المتداعية ، واستمرار الماضي بين ما يخلقه الحاضر ، في منطقة من العالم ظلت فاقث فيها أعمال الانسان طاقته وقدراته .

في المقال الثاني ، يحدثنا جاستون فيحت عن احتفالات القاهرة وضروب اللهو فيها ، يلاحظ أولا أننا نجد في تاريخ الاسلام الاجتماعي ، من يعملون على تسليية الناس جنبا الى جنب مع رواة القصص الشعبي - كان الشعب المصري قد اعتاد التجمع في أماكن بعينها ، في مناسبات بعينها ، لكي يستمتع بما يقدم له من متعة ولهو : من تلك الأماكن بين القصرين ، الذي يقول المقرئ عنه : أنه كانت تعقد فيه اجتماعات عدة للاستماع الى السير الذاتية والقصص التاريخية والشعر ، أو الاستمتاع بالمسرح والمسيلة المتنوعة - وكان هناك أيضا استاذة في فن المبارزة ، يعرفون كيف يستخدمون مختلف أنواع السلاح ، خاصة الفصح ، وغازفون يصحبون منشدي المواويل - وكان السير في شارع الحسينية متعلقا بسبب تجمع أصحاب اللهو والملاعب - ويقال أن « كانت ليلة اليلة » كانت تروى في بين القصرين منذ القرن الثاني عشر - وظل الرواة يواصلون نشاطهم بنجاح ، حتى ظهور خيال الظل ، وفي العصر الحديث الراديو والسينما .

وكان الرقص والموسيقى يحتل مكانة كبيرة في المجتمع الاسلامي ، خاصة في بعض المناسبات ، وأهمها الزفاف والظهور ، وعلى ما يبدو ، لم تكن هناك حفلات موسيقية تقام في أماكن أعدت خصيصا لهذا الغرض - كان المازفون والراقصون والمغنون يدعون الى البلاط ، أو يصاحبون الحكام في تنقلاتهم - وكان نجوم الغناء ، شأنهم شأن نجوم الغناء اليوم ، مادة لأحداث المجتمع - ويذكر كاتب المقال من يبينه ابن رباح الذي عاش في عهد قايتباي - وكان الراقصون والراقصات خاصة ، لا يبيعون الا الحفلات الخاصة ، وكان يطلق على الراقصة المحترقة اسم العامة أو الغازية - ولم يكن الشعب ليدعى الى هذه الحفلات الا بصفة استثنائية - لكنه كان يحتفل ، من ناحية ، ببعض الأعياد والمناسبات العامة ، من بينها احتفال مدني أكثر منه دينيا ،

عبارات تنبئ بالخط السليم أو السعيد . وإلى جانب هؤلاء وأولئك ، القرداتية ، والعرفات ، وخيال الظل ، الخ . . .

ويقف فيبت لحظة عند الرفاعية ، مشيراً إلى ما كتبه عنهم كيمر . وفي مقام آخر ، يقف عند الصارعة . مشيراً إلى كتاب كانار الذي تحدث عن أصول هذه الرياضة وقواعدها . كانت المصارعة تحظى بمكانة خاصة في مصر . وكان المصارع أو البهلوان محل تقدير الجميع وأعجابهم . ويلاحظ فيبت أن كانار قد أشار إلى مشاهد الصراع التي صورت على بعض القطع الفنية والمينياتور . كان المصارعون يسرون وراء الزفة ، ولقد تحدثت فلوير عن « اثنين من المصارعين » دحنا جسميهما بالزيت وليساً لباساً جلدياً ، لكنهما لا يتصارعان » . وأشار ليون الأفريقي إلى مبارزين يستخدمون السيف أو العصا . أما عن المبارزة بالسيف فقد أصبحت رياضة . لكن المبارزة بالعصا لم تخرج ، حتى أيامنا هذه ، عن نطاق الأسواق .

ويختتم فيبت عرضه بالحديث عن البهلوانات الذين اشتهروا منذ عهد الفاطميين . ويشير إلى نصوص لم تنشر بعد عثر عليها السيد أحمد دراج ، من بينها النص الآتي :

« في بداية ربيع الأول من عام ٨٢٩ / ١٤٢٦ ، قام رجلان بأداء تمرينات مذهلة . كان أحدهما ، وهو أوروبي اعتنق الإسلام ، والآخر ، كان يلبس زياً عسكرياً . لقد مدح جلا من أعلى مثذنة مدرسة السلطان حسن . . . حتى أعلى الاشرفية داخل أسوار القلعة ، مما يعادل مسافة تفوق مدى السهم بقليل . . . سار الرجل على هذا الجبل مبتدئاً من المثذنة ، ووصل إلى الاشرفية وهو يؤدى ألواناً من الحركات البهلوانية . كان السلطان حاضراً ، وكذا سكان المدينة كلهم . لقد كان مشهداً خارقاً للعادة ، لم يكن ليصدق أحد لو لم يره مرأى العين . »

أما المقال الثالث فيقيم ندا توميش ، وفيه حديث عن لغة الصحافة في القاهرة وأسلوب ثقافي جديد . تخلق الصحافة اليومية والأسبوعية في القاهرة لغة عربية حديثة تخضع لمطالبات الإعلام الجديدة . وإذا استخلصنا من طرق الاتصال هذه ، وهي في حيوية دائمة ، عملية تكيف الأدوات اللغوية والجدل الانفعال والثقافي في القاهرة اليوم ، استنتجنا أن نلمح التطور الداخلي للعادات الفكرية في تلك المدينة . وتكتفي صاحبة المقال بالحديث عن بعض المشاكل الخاصة باستعمال اللغة اليوم ، وبعض الأساليب النحوية

الخاصة بالجبل الجديد ، ذلك الجبل «الذي لا يقرأ حسب قول طه حسين ، » ولا يدرس » حسب قول محمد حسين هيكل ، و « لا يتعمق » حسب قول أحمد بهاء الدين . بأي لغة يكتب جبل البيروقراطيين هذا ؟ منذ سنوات ، وضع أطباء اللغة يدهم على موطن الداء . وعام ١٩٦٠ ، كلف محمد مندور بخصص بعض الروايات الجديدة المرشحة لنيل الجوائز الأدبية . فلاحظ أن «ضعف اللغة الفصحى حالياً ظاهرة عامة » يتضح من هذه الانتقادات أن هناك ثورة كامنة في عالم التعبير الأدبي ، وأن انصرار اللغة المظهرة من الشوائب، أو على الأقل الصحفية ، يتأصبون الجبل الجديد العدا . لقد حملهم تعلقم بالأساليب القديمة إلى افعال طلب الشباب للجديد . ولا شك أن هناك farka كبيراً بين طريقة التفكير عند الجبلين ، وبالتالي ، بين لغتيهما . والتعبير في حد ذاته لا يقلق الجبل السابق بالقدر الذي تقلقه به مناهج التفكير عند الجبل الجديد .

لقد أدخلت الحضارة على اللغة كلمات جديدة ، بعضها محسوس مأخوذ عن الحياة المادية ، والبعض الآخر مجرد متفق والحياة السياسية والإدارية . مثال ذلك كلمة تليفون ، وفيلم ، وتاكسي ، وجرمان ، وقنس ، وبوليس ، وكازينو ، وسيرك ، وريو ، وكافيتريا ، الخ . . . واستبدلت ببعض الكلمات بأخرى أبسط وأسهل .

ونستعمل كلمة المال : هل نستطيع الحديث عن أزمة في القيم يسر بها الشباب ، أزمة تخضع لقانون الجهد الأقل ، والانتهازية ، والوصولية ، والمكافيلية ، ولا تبالي بالموضوعية ، كما قال أحد النقاد ؟ ألا تشهد ، بالأحرى عملية تكيف بين أولئك الذين يسعون إلى أن يفهمهم من يقرأ - الصحفي ، والنقاد الأدبي ، وطبيب الأطفال والمفكر الحديث ؟ عند هذا المستوى ، لا ترتبط التغيرات اللغوية بالتفسير أو المقاربة بالقواعد التي يسوقها النحاة فحسب ، بل بتكيف وطرق العرض والتفكير في مجتمع يتكون فكره بالاتصال اليومي . وطرق التعبير الجديدة تنأقش الجملة التقليدية . الأمر يتعلق إذن بأسلوب جديد في التفكير . ويجدر بنا ، قبل أن نحاول التفسير ، أن نواجه الاستعمال الجديد للغة الحديث والكتابة في الصحافة بمختلف مجالات التعبير : القانون ، والأدب ، والفلسفة . . . عندئذ فقط ، يمكننا أن نتساءل : أو ليس هذا هو الأسلوب الثقافي في المجتمع القاهري ، والمجتمع المصري ، بل وعند المثقفين العرب الحديثين ؟ * سامية أحمد أسعد

القراء والكتاب

حقا انه لمنط صعب ومغيف !

استاذنا الكبير يحيى حقي

تحية طيبة وبعد ..

١ - قرأت المقال المنشور في العدد الأخير من المجلة للاستاذ محمود محمد شاكر فلم يؤثني تجاهله التسام لي بقدر ما أثنى لهجته الغريبة المتعالية . وأحب أن أسأل الأستاذ الكبير: ما الذي يعطيك الحق في اتهام الناس ومعاملتهم كأنهم حشرات أو عبيد ؟ ألم يكن الألمان يحترمون الناس بعضهم بعضا في هذا البلد المسكين ؟ ألم يكن الألوان تختفي هذه اللهجة الكريهة من حياتنا ؟ ومتى نفهم أن ثقافتنا لن تضيع أو تزول حتى نفتح نوافذنا على الثقافات الأخرى وتصل بها وتدخل في حوار مستمر معها ؟

٢ - لا أدري ما الذي يريده الأستاذ الكاتب على وجه التحديد . هل أصبحت الكتابة عن شاعر عظيم - اعترف ملايين الناس بمبقرته منذ قرنين ونصف من الزمان - جريمة يوضح الإنسان من أجلها في قصر الاتهام ؟ أم أغضبه أن يهتم شاعر أجنبي بأدبنا ويفهمه بقدر ما أتبع له في عصره من أساليب ؟ وإذا كان يريد أن يعلمنا شيئا جديدا عن الشعر الجاهلي ، فهل يستحيل عليه أن يفعل ذلك بغير أن يهين الناس ويذلهم ؟ انني أترك للقارئ تقدير هذا النمط الصعب الخفيف من التفكير .

٣ - لم يكن هدفي من نقل ترجمة جوته لقصيدة تأبط شرا هو الترجمة في ذاتها بل التنبية الى اهتمام شاعر أجنبي بأدبنا القديم

وتقديم نموذج لدارسي الأدب المقارن يدل على فهمه له . ولقد قلت بالحرف الواحد : « لا شك أن ترجمة هذه القصيدة يمكن أن تكون درسا شيقا لعلماء الأدب المقارن والمهتمين بتأثير الآداب والحضارات وانتقالها بين الأمم » . أما عن عجز الترجمات وقصورها فانا أدري الناس به وطالما نبيت اليه في كتاباتي . ولقد قلت أيضا بالحرف الواحد في مقال الذي يصفه الأستاذ بأنه « كلام » : « مبهات أن يستطيع الإنسان تقدير هذا الشعر أو أي شعر آخر حتى يسمعه ويتذوقه بلغته وإيقاعه وحرسه الأصلي » . وأما أن الترجمة بلغت غاية الركاكة والسقم ، فشيء أترك للقارئ أن يحكم عليه بنفسه . ولقد أخرجت للناس أربعة عشر كتابا يستطيع الأستاذ أن يسأل الذين قرأوها ليعلم أنها بحمد الله لا تحتوي على عبارة سقيمة أو ركيكة . ومادام الأستاذ قد عرف اللغة الألمانية ، مما كان من سوائف الأفضية ، وقضى « دحرا » بتعلمها ، فلماذا لا يتحفظا بترجمة تعيد الى القصيدة المسكينة اشراقها المفقود وتقنيته عن الاشاعة الى كرامة الناس ؟

٤ - انسا على أتم استعداد للاستفادة من الأستاذ ومن علمه الواسع الغزير . ولكن اذا جاء هذا العلم مصحوبا بالتعال والإهانة فما أغنانا عن علمه واماناته جميعا . وليتأكد الأستاذ أننا لسنا عبيدا لجوته ولا لغيره ، بل نحن نخدم أدبنا وأمتنا بقدر طاقتنا ، ومازلنا على استعداد للتعلم من أي إنسان ، بشرط أن يقوم هذا العلم على أساس من التجرد والانصاف والاحترام .

د . عبد القادر مكاوي

ثم يكن الزجاج من ميكرات القاهرة الاسلامية وانما كانت له جذور ممتدة في تاريخ هذا المكان تشبثها حفاظ تل الصنارة ومقابر وادي الملوك ، وظل لهذا الفن في مصر اشرافا في العصر الاغريقي والروماني ولكنه انطفأ ليعود له في العصر الاسلامي بهاء .

وكانت مصر الاسلاميه منذ العصر الفاطمي امتدادا لمصر قبل الاسلام في هذا الفن الرفيع ، ولكنها تطورت به وزادته ثراء في الاشكال والالوان . ولقد كانت حلب الى جانب القاهرة مركزا آخر من مراكز هذا الفن الذي يهر السامع الايراني سعدى كما بهرت الصور على افراح الزجاج الاسلامي غيرة من الشعراء وصفها ابو فراس حين قال :

اقسام ما يدور : ما اقولنسا والكيل تحت النخع كالاشباح
نظف وترسب في الدماء كانها صور الفوارس في كؤوس الراح
وبلغ فن الزجاج في مصر ذروته في العصر المملوكي في التشكوات
والقناني والافراح ، وانسالف الى قدرات الفاطميين في التلون فن تتبع
الزجاج بالينا فانسب ثراء اخلا وزاد شغافية ورهافة في التشكيل
والتصوير .

كانت للمشكوات قداستها النورانية ، وكان للافراح والقناني
بدخها العنوي .

ولوحة الغلاف تمثل فنية من العصر المملوكي فتن صانعيها في
تشكيلها الرائع ، على ابداع وشبهها بيزاج من ألوان الميناء الطغراء
والعصراء والزلفاء وجميها سرحها لالم من الطيور والانساج اجتمعت
فيه مشاهد الشراب وزحف الموسيقى وتطيق الطيور وفراء الدبكة .

كانهم والخمر من فرهم كتاب في لجة تفرق
هذا البيت من شعر ابن نوايس في وصف الصور على اناه من الزجاج
يضيئ على هذه القننة الملوكة ذات الرسوم الرائعة والزخارف
البارقة .
انها نموذج من ادوات الحينسة حين ترتفع الى قيم الفن .



فنية من العصر المملوكي
مجموعة متحف الجزيرة

الغلاف الخلفي :

للكاد نجانز باب التوح حتى تدره انك في حفرة من جلال التاريخ يروبه
هذا المتحف المصاري الذي جمع روائع الصنارة الاسلاميه ولطائف
فنونها في تلك المساجد الممتعة على الطريق . . تدلف من جامع الحاكم
الى الجامع الاقمر ثم نلقانا مدرسة السلطان البرقوق التي اقيمت في
القرن الرابع عشر الميلادي يهزنا بناؤها السابق ومدخلها العظيم
وتأخذ روعة بابها المذهبي المطعم بالذهب وهدائه الزخرفية التي
تمثل كونا هو مزيج يوحى بغيباء الشمس ولما الارض . . بل هو
عالم من الاكوان احتل له ورع الفنان الاسلامي فنان وجدانه التشكيل
بتجريدات زخرفية هي جواهر صادرة لفتت فيه الصنارة مع النحت
والوجدان التصويري فطقت هذا التناسق وملكت سر الموسيقى
التشكيلية في العمل الفني . . . وهي بهد هذا صنعة محكمة ارتفعت الى
ذروة الفن



لتفاصيل الباب المذهبي
للمطعم بالذهب
لمدرسة السلطان برقوق
بالجماية

بدر الدين أبوغازي